العدد ٨٨ - جمادى الثانية ١٤٠٣هـ - ابريل ١٩٨٣م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

- **مطلوب مدخل عربي للتجربة اليابانية**
  د. محمد جابر الأنصاري
- **انتبهوا أيها السادة: الصحراء تغزو العالم**
  د. عاطف كشك
- **بين جمال عبد الناصر وجون كيندي**
  جمال الكناني



السيف العربي: رحلة مع الإبداع الفني



بيبسى

إجعَل نهارك عيد مَع

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٨٨ - جمادى الثانية ١٤٠٣هـ - ابريل ١٩٨٣م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : - 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الاشتراكات :

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
فى باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
فى باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٥ ريالات
البحرين	٣٠٠ فلس
الامارات العربية	٥ دراهم
عمان	٢٥٠ بيسة
الكويت	٣٠٠ فلس
السعودية	٥ ريالات
الجمهورية اليمنية	٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية	٣٠٠ فلس
العراق	٣٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٢٥٠ فلسا
سوريا	٢٥٠ قرشا
لبنان	٢٥٠ قرشا
مصر	٢٠٠ مليم
ليبيا	٤٠٠ درهم
السودان	٢٥٠ مليما
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
المغرب	٤ دراهم

باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

- السودان — مؤسسة دار التوزيع — ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم
- مصر — مؤسسة توزيع الاهرام — شارع الجلاء - القاهرة
- سوريا — المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات — برامكة - تجاه ثانوية فايز منصور — ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق
- العراق — الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان — شارع الرشيد - ساحة الوثبة — ص . ب ٦٢٤ - بغداد
- ليبيا — المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان — فرع طرابلس : ص . ب ٩٥٩ - طرابلس — فرع بنغازى : ص . ب ٣٢١ - بنغازى
- الاردن — وكالة التوزيع الاردنية — ص . ب ٣٧٥ - عمان
- البحرين — دار الغد — ١ شارع المعارف - بنادية الدرازى — ص . ب ٥٠٥ - المنامة
- سلطنة عمان — المؤسسة العربية للتوزيع والنشر — ص ب ١٠١١ - مطرح — مسقط
- تونس — الشركة التونسية للتوزيع — ٥ شارع قرطاج — ص . ب ٤٤٠ - تونس
- السعودية — مؤسسة الجريسى للتوزيع والاعلان — ص ب ١٤٠٥ - الرياض — مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة
- الكويت — شركة دار الكويت للصحافة — ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة — الكويت
- لبنان — الشركة العربية للتوزيع — ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت
- الجمهورية العربية اليمنية — الوكالة اليمنية للتوزيع — ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء
- جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية — مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع — ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى — عدن
- الامارات العربية المتحدة — مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع — شارع السلام - عمارة ثانى بن محمد — ص . ب ٧٩١ - ابو ظبى .
- المغرب — الشركة الشريفية للتوزيع والصحف — ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء — MAROC : SOCHEPRESS B. P. No 683 CASABLANCA.
- الجزائر — الشركة الوطنية للنشر والتوزيع — ٢٠ نهج الحرية - الجزائر — ALGERIE S. N. E. D. 20 RUE DU LIBERTE ALGER.

طبع من هذا العدد ١٠٠ر٠٠٠ نسخة

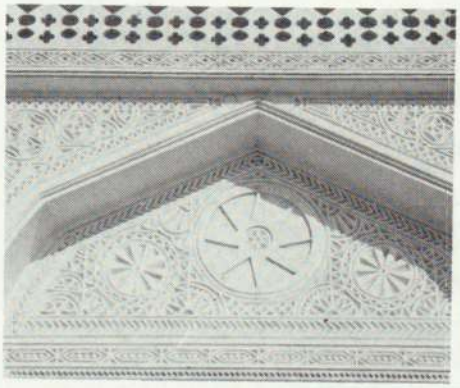
- جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
- الآراء المنشورة في المجلة تعبّر عن رأي أصحابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة
- المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع على بن على Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هـــــذا العـــــــدد









بين جمال عبد الناصر وجون كيندى ص ٤٤ — البحث عن الحضارة فى نقوش الخليج ص ٥٨ — قبيلة كرة القدم ص ٧٦

● دراسات ومقالات ●

● مطلوب مدخل عربى للتجربة اليابانية .....
د . محمد جابر الأنصاري ٦
● .....
● خواطر تسر الخاطر .....
زكريا تامر ١٠
● المأساة الأسوانية .....
محمود السعدني ١٢
● في بيتنا تليفزيون .....
د . صلاح الدين أحمد جوهر ١٥
● كمال ناصر في ذكراه العاشرة .....
نبيل خالد الأغا ٢٠
● اساطير من سيناء .....
درويش مصفى الفار ٢٨
● فى البدعة وكراهة الجديد : رد وتعقيب .....
د . كامل زغموت ٣٠
● الصحراء تغزو العالم .....
د . محمد عاطف كشك ٣٤
● عيزر وايزمن صـــاحب الآراء الزئبقية .....
عصام شريح ٣٨
● بين جمال عبد الناصر وجون كيندي .....
جمال الكناني ٤٤
● يافا تحت شمس الأصيل .....
يوسف الخطيب ٥٠
● السيف العربي : رحلة مع الابداع الفني .....
نديم خشفة ٥٢
● اسرار مذهلة تتكشف فى خلق الكائنات .....
د . عبد المحسن صالح ٦٠
● الدرعية : قصة مدينة بلغت أوج مجدها الاسلامي ..
فوزى الخميس ٧٠
● دور العمائم في تاريخ مصر . إما الصدر .. وإما القبر
فتحي رضوان ٨٤
● الرواية والتاريخ .....
جمال محمد أحمد ٩٢
● مدينة لشبونة الاسلامية : كيف سقطت فى ايدي الصليبيين ؟ ..... د . أمين الطيبي ١٠٨
● زكي نجيب محمود للدوحة .....
مفيد فوزي ١١٢
● كتاب جديد : الزلزال المدمر فى لبنان من الغزو حتى المذبحـــة ١١٩
● الأزهار فى حياتنا .....
د . عز الدين فراج ١٢٠

● شئون الخليج ●

● البحث عن الحضارة فى نقوش الخليج .....
صالح غريب ٥٨

● أوراق من البحر : رحلة الآلام فى الدفتر الأصفر ....
عبد الرحمن المناعي ٦٨
● الفن التشكيلي فى أزمة ، وهذا هو العلاج ! .....
يوسف الحرمي ١٠٠
● فى المعرض السادس للفنون التشكيلية : مدارس فنية متصارعة ومحاولة لكسر الجمود .....
حسن الملا ١٠٤

● أدب وفنون ●

● رماد الياسمين « قصيدة » .....
فتحي سعيد ١٧
● عبد الله الجفري عندما يحدثنا .....
صديق شايقي ٢٤
● اغنية الربيع « قصيدة » .....
مبارك بن سيف ال ثاني ٣٣
● الدار « قصة » .....
د . عبد السلام العجيلي ٤٢
● الصمت « قصيدة » .....
عزيزة هارون ٨٢
● مناخات للانسان الفلسطيني الجديد « قصيدة » ....
محمد الظاهر ٨٣
● جراح البحر . مجموعة قصصية جديدة للدكتور
محمد عبده يماني .....
تقديم وتحليل : أحمد العناني ٨٨
● الغريب الذى جاء كالظل « قصيدة » .....
محمد ابراهيم ابو سنة ٩٩
● الفارس « قصة » .....
عبد الوهاب داود ١١٦
● سباق مهرجانات السينما .. وما يتبقى منها ! .....
رءوف توفيق ١٣٢

● أبـــواب ●

● دائرة المعارف القرانية : الأساطير .....
د . محمد البهي ٤٩
● من روائع الفن العالمي : اعظم من صور المراة فى التاريخ
جمال قطب ٦٦
● لقطات من الكون المثير ٧٤
● كتاب الشهر : قبيلة كرة القدم .....
عرض وتلخيص : مجدي نصيف ٧٦
● قف هل تعلم .....
عبد العزيز السيد المصري ١٢٣
● أوراق خضراء ١٢٥
● العلم هو المستقبل .....
لبنى الريدي ١٣٠
● ضحكات الشهر .....
صلاح الليثي ١٣٨
● دوحة القراء ١٤٠
● استراحة الدوحة .....
رؤوف ١٤٤
● الورقة الأخيرة : في الفجر .....
فؤاد قنديل ١٤٦

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

نائب رئيس التحرير : عبد القادر حميدة
المدير الفني : أحمد فاضل
المحرر العام : كمال سعد

التحرير : النور عثمان أبكر
ليلى الحريري
مريم آل سعد
سنان المسلماني
نادية رزق
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا
الإشراف الفني : نائلة محمد فتحي
سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبد الله
علي دياب
البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي
التصوير : أمين بدوي الحامدي

المدير الإداري والمالي : عبد الله جابر

مطلوب مدخل عربي لـ :
التجربة اليابانية

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

- ماذا يحتاج العرب لفهم هذه الظاهرة ؟
- الخليج جسر التفاعل الحضاري بين العرب والشرق الجديد

التجربة اليابانية .. أو الأعجوبة اليابانية . أو المعجزة اليابانية ظاهرة عالمية من ظواهر عصرنا تثير الفكر الباحث ، المنقب المستفسر عن أسرارها ، فى مختلف انحاء العالم ، وخاصة فى دوائر الفكر الأوربية والأمريكية والسوفياتية ، حيث يعكف أهل التقدم والتكنولوجيا على دراسة الانجاز الاستثنائي لهذا البلد الشرقي الذى ينافس الغربيين فى أمضى أسلحتهم ومخترعاتهم التقنية ، من ناحية ، والذى يثير دهشة الشرقيين واعجابهم من ناحية أخرى دون أن يتمكنوا من اللحاق به على كثرة ما حاولوا وجربوا ..

وهذه التجربة اليابانية تعنينا نحن العرب لعدة أسباب هامة :

أولا : اليابانيون قوم شرقيون مثلنا ، بدأوا مسيرتهم نحو التقدم من واقع العزلة والتخلف الحضاري كما بدانا . ولكن شتان بين بداية وبداية ... فلماذا هذا الفارق ؟؟

ثانياً : اليابان حققت التحديث والتقدم بالمحافظة على تراثها وتقاليدها ومؤسساتها القومية والدينية الأصيلة . والعرب ، كما يظهر من تجاربهم ، يريدون تحقيق التقدم دون التضحية بتراثهم وتقاليدهم وقيمهم المتوارثة ، لكن من غير أن يتمكنوا حتى الآن من تحقيق المطلب الأول (التقدم) كما يجب ، أو الحفاظ على المطلب الثانى (التراث) كما ينبغى ..

وها هى ذي اليابان أمامهم أكثر من أى بلد شرقي آخر تحقق المطلبين الغاليين معاً .. مطلب التقدم ومطلب الحفاظ على التراث .. ألا ينبغى - إذن - أن يدرس العقل العربى بعناية وجدية وتدقيق هذه التجربة الفريدة التى كان يماثلها طموحه الأكبر منذ مطلع نهضته المجهضة ؟

ثالثا : ان اليابان تمثل طليعة قوة بشرية حضارية هائلة جديدة توشك ان تستلم زمام القيادة العالمية من الجنس الأبيض . هذه القوة تتمثل بالاضافة الى اليابان ، فى الكثافة البشرية الصينية ، وفى النهوض الصناعى والحضارى العام لشعوب الشرق الأقصى (الجنس الأصفر) فى كوريا وفيتنام ومنطقة الهند الصينية بصفة عامة . وليس من المبالغة القول ان القرن الحادى والعشرين سيكون قرن القوة الصفراء .

وهذه القوة تختلف عن القوة البيضاء

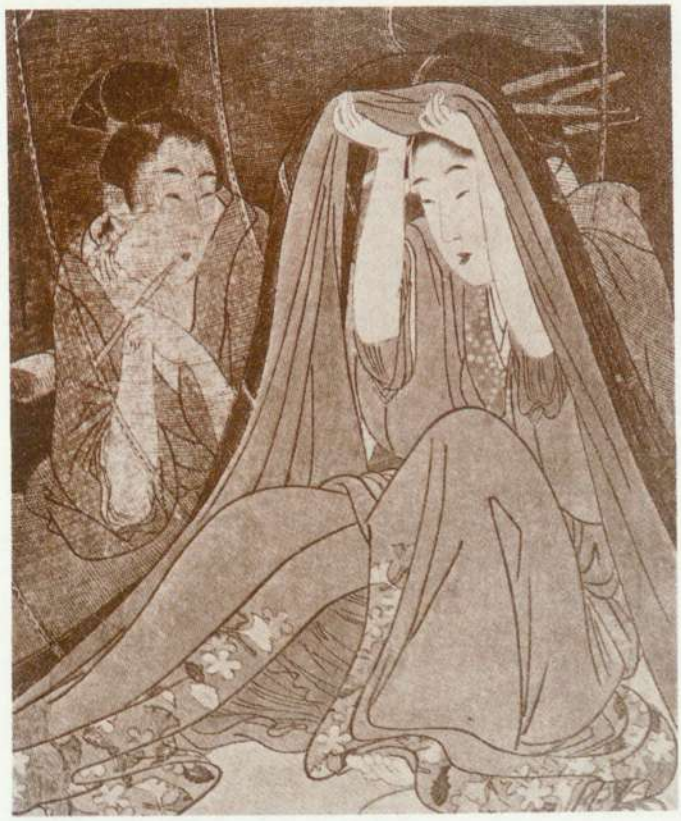


تراث المسرح الياباني أقدم من مصنع التيوتا .. ولكن الغرب لا يفهم !



كانت في اليابان نهضة فنية ، قبل نهضتها الحديثة .





رسوم يابانية من القرن الثامن عشر .. قبل الكمبيوتر .. كان الفنان !

في موقفها من العرب من عدة أوجه جوهرية : فهي شرقية مثلنا ، وهي على اتصال حضاري دائم وودي معنا منذ عهود قديمة عن طريق المحيط الهندي وبحر العرب والخليج ، وهي لا تحمل ضدنا الأحقاد الصليبية والاستعمارية والصهيونية التي يحملها الغرب ، وهي لا تريد السيطرة علينا سياسياً أو محاربتنا دينياً وقومياً . وقد عاش مسلمو الشرق الأقصى مع جيرانهم هناك ، معظم عصور التاريخ ، في وئام وتعاون .

ثم ان هذه القوة الجديدة لا ترتبط باسرائيل الارتباط الوثيق العضوي الذي يشد الغرب اليها . ومعنى هذا ان العرب يستطيعون التعاون مع هذه القوة الشرقية الجديدة ، المستقلة عن الهيمنة الأمريكية والهيمنة الروسية على حد سواء ، في معركتهم الحضارية من أجل التقدم ، ومعركتهم القومية ضد عدوهم ، أو استخدامها على الأقل كقوة توازن وتحييد للخصم الغربي .

وقد سبق أن عالجنا هذه النقطة بالذات في مقالتنا « العالم والعرب سنة ٢٠٠٠ » بمجلة الدوحة عدد يناير ١٩٨٢ ، فليعد إليها من شاء متابعة أمر العلاقة المستقبلية بين العرب والقوة الصفراء .

رابعاً : ان منطقتنا هذه ، منطقة الخليج والجزيرة العربية ، تمثل الآن واجهة الحوار والتفاعل مع منطقة القوة الصفراء لاعتبارات جغرافية واستراتيجية واقتصادية . ومستقبل علاقة هذه القوة مع العرب سيتقرر الى حد كبير بالكيفية التي سيتفاعل بها عرب الجزيرة والخليج مع

مطلوب مدخل عربي لـ:

التجربة اليابانية

المعطيات الحضارية لهذه القوة : ايجابا باقتباس محاسنها ، وسلبا باجتناب محاذيرها ..

وكما كان البحر الابيض المتوسط واسطة التفاعل بين أوربا وعرب المشرق وشمال افريقيا ، فان الخليج العربى اليوم يمثل واسطة التفاعل بين حضارة الشرق الأقصى وبين عرب هذه المنطقة ، بمعناها الاستراتيجي الواسع ، من العراق فى الشمال الى سلطنة عمان فى الجنوب مرورا بالكويت ، والمملكة العربية السعودية ، وقطر والبحرين ، والامارات العربية ، وصولا الى اقليم اليمن فى الركن الجنوبى الغربي من الجزيرة العربية .

فعلى امتداد هذه الرقعة الشرقية الشاسعة من الوطن العربى يجرى تعامل بشرى وتقنى واقتصادى مع اليابان وغيرها من كتلة الشرق الآسيوي البعيد ، الذى لم يعد بعيداً ! ، فهل سندع هذا التعامل يمر على السطح الاستهلاكى المظهري المادى لمجتمعاتنا .. أم نحوله الى تفاعل أعمق بالنفاذ الى جوهر الحضارة الجديدة لدى هذه القوة الشرقية ؟

سؤال ليس أصعب منه غير المغامرة بتقديم جواب عنه . لكنه سؤال أساسي وسيكون حكماً تاريخياً على عرب هذه المنطقة وعلى مدى استعدادهم للتحضر الصحيح . فهل سيكونون كاجدادهم ، عرب الشرق القدماء الذين نشروا الحضارة الاسلامية والدين فى الهند والصين واخذوا من علوم البلدين ما اضافوه الى حضارتهم ، كما فعل العالم العربي ابو الريحان البيروني ، أو كما فعل الملاح الخليجى ابن ماجد الذى سلك طريق الشرق البعيد بالعلم والمهارة البحرية ، أو كما فعل تجار حضرموت الذين نشروا الاسلام فى جميع انحاء اندونيسيا ، أو كما فعل بحارة عمان بنشرهم المؤثرات العربية على امتداد الطريق البحرى الى أقصى الشرق ، أو كما فعل رجال الملك عبد العزيز آل سعود الذين بعثهم دعاة الى تلك المناطق النائية ، فى ذلك الزمن الصعب ، لمواجهة حملات التبشير والاستعمار ضد الاسلام والثقافة العربية ، فكانوا فى مستوى المهمة ، وتصدوا للتحدي ، واعادوا صلاتنا الروحية والثقافية مع مسلمي الشرق الأقصى فعادت طرق الحجيج سالكة من جاوة وسومطرة والملايو الى الحرمين الشريفين فى أرض العرب .

إذن فنحن لا نبدأ من فراغ مع شعوب الشرق الأقصى ، ولنا تجربة حضارية سابقة وعميقة الجذور معهم . وعلى الجيل العربى الحاضر أن يرتفع الى مستوى التجربتين : تجربة اجداده الحضارية مع الشرق الآسيوي ، وتجربة هذا الشرق الجديدة مع الحضارة الحديثة ومن هذا المنطلق ، نطرح بحثنا هذا لدراسة التجربة اليابانية .

بعد هذا كله ، لابد من التنبيه بوضوح تام ، ان الحديث عن التجربة اليابانية ، خاصة ، والتجربة الآسيوية الشرقية عامة ينحصر فى التحليل الفكرى الحضارى ، وعلينا أن نجربه بوعي كامل يتجنب محاذير أي نوع من الدعاوة للمصالح الاقتصادية والسياسية لليابان أو غيرها من بلدان الشرق الأقصى . كما يتجنب محاذير الهجرة الآسيوية لمجتمعاتنا العربية ـ من ناحية أخرى ـ ويدرك مختلف أبعادها ويضعها فى إطارها الصحيح .

فالتفاعل الذى نريده هو بين عروبة واعية مستقلة وبين حضارة شرقية جديدة صاعدة ، لا بين مجتمعات استهلاكية مفتوحة وشركات صناعية طامعة تمثل رديفاً للغرب أو اطماعاً أخرى من الشرق ، وعلى اليابان والصين وكوريا وغيرها ان تدرك بوضوح من الآن ان مستقبل علاقة العرب التاريخية الجديدة معها هو رهن بهذا التفاعل الحضارى قبل كل شيء ، وتجنب المصلحة الانتهازية التى اضرت بسمعة الغرب الحضارية فى المنطقة العربية ، والاقتصار على المصالح المشروعة والمتبادلة بين الجانبين .

فدراستنا للشرق الجديد ، إذن ، هى مثل دراستنا للغرب ، نأخذ حضارته بيد ، ونقاوم اطماعه باليد الأخرى ، إن بدت منه أي اطماع ..

ولقد وجدت من واقع المقارنة بين الدراسات الأمريكية والسوفياتية والأوربية عن الظاهرة اليابانية وأسباب نجاحها ، ان الدراسات الفرنسية هى الأقرب الى الموضوعية والتفهم والانفتاح البعيد عن الغرض والميول .

فالدراسات السوفياتية متأثرة بالمنهج الماركسي ، الذى لا يستطيع أو لا يريد أن يفهم كيف يمكن ان يتطور بلد شرقي ويتقدم فى ظل نظام امبراطوري تقليدي ، وبالحفاظ على أسس المجتمع القديم ، وبالتعاون بين الرأسمالية والعمال دون حرب طبقية .. ناهيك بذكرى الهزيمة الروسية على يد اليابان عام ١٩٠٥ .

والدراسات الأمريكية ، تبسيطية ومتأثرة هى الأخرى بالصراع الياباني الامريكى بعد ضربة « بيرل هاربر » فى الحرب العالمية الثانية وبعقدة الذنب المتمثلة فى القصف الامريكى لليابان بالقنابل الذرية ، ثم بالاحتلال العسكري لها .. وصولا الى التنافس التكنولوجى والحرب الاقتصادية بين الجانبين مؤخراً لغير صالح الجانب الأمريكى !

أما الانجليز ، فلا يمكن أن ينسوا ابداً ، ان البضائع اليابانية منذ القرن التاسع عشر كانت المنافس الأول لبضائعهم فى أسواق الشرق وانها قد غزت أسواقهم الداخلية بشكل مخيف فى الآونة الأخيرة ، هذا بالاضافة للصراع الاستعماري بين البلدين ، شرق آسيا وذكرياته المريرة .

الفرنسيون ، أقل نفوراً من اليابان على هذه المستويات لأنه لم يقم صراع مرير بين الجانبين بمثل تلك الحدة والمرارة ..

ثم ان الفرنسيين ، بحكم ذوقهم الفنى والشعرى والحضارى ، يكنون اعجاباً للذوق الياباني الرفيع ، وللفن والشعر والنغم الياباني ولأشياء الجمال اليابانية

الأخرى .. وهنا سر هذا التفهم الفرنسى ، الأقرب الى الاعتدال ، للظاهرة اليابانية ككل من حيث هى ظاهرة حضارية ، لا مجرد اخطبوط اقتصـــادى وتكنولوجى يهـــدد الغرب .

وفى فرنسا ، والدراسات الفرنسية ، نستطيع أن نرى الوجه الحضاري لليابان ، والوجه الانساني ، الذى لا يفسح لظهورة الغربيون الآخرون من روس وامـــريكان وانجليز .. أو لا يريدون رؤيته ومحاولة فهمه .. على حقيقتـه كواقع انساني مركب ومعقد يستحق التفهم والتعاطف .

وقد خصص روجيه غارودى ، المفكر الفرنسى المعروف ، فصلا فى كتابه الموسوم « كيف أصبح الانسان انسانا » عن الوجه الفني الانساني الروحي لليابان القديمـة التى لم يفهمها الغرب الى الآن ، والتى ذهبت الأساطيل الغربية لتدميرها ، وتعليمهاالحضارة الغربية ، دون ان تتعلم هى منها شيئا ، مما أفقد الحضارة الغربية فى رأى غارودي ، بعدا انسانيا وروحيا هاما ..

ومن الجدير بالذكر ، ان ادباء العربية وشعراءها ومصلحيها ، قد انبهروا بالمعجزة اليابانية منذ بداية القرن وكتبوا فى الاشادة بها ووصف منجزاتها منذ أيام شوقي وحافظ وقاسم أمين ، ويمكننا من باب التوثيق التاريخى جمع مادة ليست بالقليلة من الكتابات العربية عن الظاهرة اليابانية ، خاصة ما ظهر منها بعد الانتصار اليابانى على روسيا القيصرية سنة ١٩٠٥ وهو أول انتصار لبلد شرقى على قوة غربية كبيرة . أضف الى ذلك ان الانتصار اليابانى عوض فى نفوس المسلمين عامة ، والعرب منهم ، شيئا عن الانكسار الذى كانوا يعانونه من جراء تقدم الزحف الروسى السلافي فى أراضى الدولة العثمانية ، دولة الخلافة الاسلامية وأعطى الأمل فى امكانية انتصار الشرقيين عموماً على القوى الغربية التى دخلت اليهم فى عقر دارهم . ولكن هذا الأمل ، بقي أملا ، ولم يتحول النصر اليابانى المبكر الى نصر للشعوب الشرقية الأخرى ، وخاصة العرب الذين تواصلت تراجعاتهم وتجزئة أوطانهم من قبل القوى الغربية .

وأيا كان الأمر فان ذلك النجاح اليابانى كان له أثره فى تقوية روح « الرابطـــة الشرقية » التى انتشرت الدعوة اليها فى مصر خاصة ، والتى مثلت نقطة الانتقال بين تعلق مصر بالدولة العثمانية واكتشافها فيما بعد رابطتها القوميـــة العربية ، وهويتها العربية .

وهذا يعنى ان المسألة لم تكن مجرد اعجاب باليابان وتقدمها ، وانما كانت بحثا عن رابطة جديدة تستطيع ان تخلق من التضامن ما عجزت الرابطة العثمانية عن تحقيقه . واذا كانت الرابطة العربية تأتى قبل كل شىء بحكم طبيعة الأشياء ، فان مصر والعرب بامكانهم اليوم إحياء هذه الرابطة الشرقية لكسب قوة حضارية جديدة هائلة الى معسكرهم فى مواجهة التحدي الغربي وما أوجده الغرب فى قلب وطنهم من تحد اسرائيلى .

ولكن ذلك يتطلب ان ينتقل العقل العربى من مرحلة الانبهار الشعرى بالتجربة اليابانية والتعاطف الأدبي معها .. الى .. مرحلة التحليل العقلي والادراك الفكرى الدقيق لخصائص التجـــربة وأسرارها ودروسها مع القدرة على المقارنة الواعية والحذرة بين التجربتين العربية واليابانية لتصب نتائج هذه المقارنة فى دائرة المعاناة العربية العامة الجارية اليوم فى مختلف انحاء الوطن العربى بعـــد ما تعرضنا له من كوارث ، ولتنجم عن ذلك رؤية جديدة تدفع بالأمة نحو الإنقاذ واعادة البناء .

وبلاشك فان مراكز الدراسات العربية ، وبعض المفكرين العرب ، هم بصدد دراسة الظاهرة اليابانية مع غيرها من الظواهر الجديرة بالدرس ، وقد أخبرنى المفكر العربى الكبير استاذنا الدكتور قسطنطين زريق انه شديد العناية بدرس هذه الظاهرة والنفاذ الى دقائقها ليس فى تاريخها العام فحسب ، وانما كما تتجلى فى آدابها وفلسفتها ونفسية أهلها .. وان من أدق الخصائص التى هزته فى هذه الظاهرة الانسانية المتميزة ، هى ان الانسان الياباني عندما يقع فى التقصير أو يخل بواجب من واجباته الوطنية أو الاخلاقية أو العملية .. يأتى الى رئيسه ليستأذنه فى الانتحار وتكفيراً عن ذلك الخطأ .. !

قلت : فأين هذا الانسان .. من انسان من نوع آخر يعتبر التهرب من الواجب شطارة ومهارة .. بل ويفخر بقدرته على التهرب والمراوغة .. ويتباهى بما يجمعه من وراء هذا الاخلال من كسب غير حلال .

وهل نعجب اذا تقدمت الأمة التى ينتمي اليها الانسان من النوع الأول ، وخابت الأمة التى تقوم على الانسان من النوع الثانى ؟

هـــذه التأملات والدراســـات الفكرية العربية فى الظاهرة اليابانية نأمل أن تصل الى نتائج مفيدة وعملية بالنسبة لتصحيح المسار العربى على الصعيد الحضـــارى الشامل .

وكما أشرت ، فان الدراسات الفرنسية فى الظاهرة اليابانية ، بما تتصف به من تفهم واعتدال وتذوق حضاري ، يمكن ان ترفد هذه الدراسات العربية وتضيف الى رؤيتها ، وتعمق من ادراكها للصورة الشاملة .

ولعل أفضل دراسة فرنسية مكثفة وشاملة للتجربة اليابانية فى مختلف جوانبها ، هى كتاب الاخصائي الفرنسى فى شئون اليابان والشرق الاقصى ، مسيو روبير غيلان ، الموسوم : « اليابان ، العملاق الثالث » ، الذى اعتقد ان أي مدخل لدراسة التجربة اليابانية ، تاريخياً وفكرياً وانسانياً ، لا يستطيع الاستغناء عنه .

وهو مرجع نأمل أن نلتفت إليه فى المقالات التالية لنقف أمام بعض فصوله ونترجم منها ، ثم لنخرج بخلاصات تصلح أساساً لاجراء دراسة مقارنة بين التجربة اليابانية والتجارب العربية .

د . محمد جابر الأنصاري

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم: زكريا تامر

الحرب الخاسرة

بين الحين والحين ، تنشر الصحف والمجلات كتابات تناشد العمل على تحسين الظروف المعيشية للكتّاب ، خاصة وان جامعي القمامة اذا تذمروا من سوء احوالهم أعلنوا الاضراب عن العمل حتى تلبى مطالبهم ، فتؤلف اللجان لدرس مطالبهم وتنفيذ بعضها ، اما الكتّاب اذا اعلنوا الاضراب ونبذوا الاقلام وكفوا عن الكتابة ، فسيُرحب باضرابهم من قبل جهات عديدة وكثيرة حتى يتاح لها النوم بطمانينة لا تعكرها كلمة نقد بناءة مسؤولة .

وما دامت السنوات المتعاقبة قد اثبتت ان هذه الكتابات ليست سوى صراخ في صحراء لا يسكنها حي ، فمن المستحسن اذن اعتبار الكاتب العربي انساناً من نوع فذ نادر ، لا يبكي ولا يفرح ولا يجوع ولا يسكن في بيت ولا يصيبه أي مرض أو داء إنما هو روح هائمة باستمرار في عوالم الثقافة .

الكاتب حين يهترىء بنطاله ، لا يحتاج الى شراء بنطال جديد ، بل يرتدي صفحات من مجلة فكرية ، فالانسان قديماً كان يكتفي بورقة توت فقط .

والكاتب حين يجوع ، يقرأ كتاباً دسم الموضوع ، فيتبدد جوعه ، وتعاني معدته أمراض التخمة ، ويهرع الى عيادات الاطباء مستغيثاً متوسلا .

والكاتب حين يمرض ، يفرح اعظم الفرح لأن الألم خالق المبدعين .

والكاتب حين يموت ، لا يبغى قبراً فسيحاً نظيفاً حسن الاضاءة انما يريد ان يظل جثة ملقاة تحت السماء الزرقاء يغمرها ضياء الشمس الذهبية ، وترفرف فوقها أجنحة العصافير المغردة

والكاتب بعد موته ، لا يطمح الى نشر ما ترك من مؤلفات مخطوطة فلكل زمان ادبه وادباؤه وكتابه .

جنازة بلا ميت

الادب الاصيل في الوطن العربي مسكين حقيقي جدير بالرثاء ، ولو أتيح له أن يتجسد في مخلوق من لحم ودم لاختار مرغماً الوقوف على أبواب المساجد بثياب رثة ورأس منكس ، فالادباء الذين يكتبون مخلصين لبيئتهم وانسانها الاخلاص الصادق النزيه الفني البعيد عن التشنج والصياح الحماسي والشعارات الفكرية والسياسية الجوفاء هم الأيتام في مأدبة اللئام .

وهذا الواقع المر الهزلي يرجع وجوده الى اسباب عديدة ، منها ظهور فئة تزعم انها وحدها الواعية الشريفة المالكة للفكر العلمي الموضوعي ، فتنقض باسم الواقع ومشكلاته على الآثار الادبية المبدعة واصحابها بالتصنيف والتقويم مطلقة احكامها بمنة ويسرة .

وهي احكام صارمة غير قابلة للاستئناف أو النقض أو التمييز ، فهذا اديب رجعي لأن كتاباته تخلو من التنديد المباشر بالاستعمار ، وذاك أديب غير مرتبط بوطنه لأنه تحدث في نتاجه عن الموسيقى والورد والقطط كأن الموسيقى والورد والقطط عملاء للمخابرات الاميركية ، وذلك أديب خان الطبقة الكادحة لأن اشعاره لم تتطرق الى تمجيد ثوار السلفادور .

وتلك الفئة تضم ماهب ودب من الأفراد ، فبعضهم لا علاقة له بالأدب ويعلن انه يعنى بالشؤون الاقتصادية ومختص بمتابعة تطور تسويق القطن في العالم ، ولكنه يصدر احكام الاعدام على الادباء ، مستنداً الى مادة في الدساتير تنص على ضمان حرية التعبير لكل مواطن .

وبعضهم أدباء كتبوا ، مستخدمين قواعد شتى من الاقلام ، فلم ينتجوا سوى الكتابات المروجة للحبوب المسكنة للصداع .

وبعضهم أدباء كانوا يكتبون فيما مضى من السنين الغابرة ، ثم ناموا نوم أهل الكهف ، ثم أفاقوا من نومهم لأسباب غير أدبية ، وخرجوا من قبورهم ، معلنين استنكارهم لكل ما نتج من أدب في أثناء غيابهم عن الحياة الأدبية .

وهذه الفئة المتناقضة الأفراد ، توحدها النظرة السطحية الى الأدب ودوره . فالأدب في رأيها قادر على تغيير المجتمع ، ويستطيع أن يحقق ما عجز السياسة والجيوش عن تحقيقه .

ومن المضحك أن هذه النظرة نفسها الى دور الادب لو طبقت على ما كتبته تلك الفئة من قصة وشعر ومسرحية ورواية فلن يظفر الا بثلاثة أصفار موضوعية . اما القراء فهم بالتأكيد سيتبرعون بسخاء بثمن الاكفان لهذا الهراء الزاعم انه أدب ملتزم .

الكتاب سجينًا

واحد من اصدقائي موظف في وزارة للثقافة في احد الاقطار العربية ، وقد روى لي يوماً ما يلي :

ـ انا كما تعلم أعمل في وزارة تطبع كل سنة الكثير من الكتب الأدبية والثقافية ، وتبيعها للقراء بأسعار رمزية تنفيذاً لمخططها الهادف الى نشر الثقافة . وفي يوم من الأيام استدعاني وزير الثقافة ، وقال لي غاضباً : « لماذا نطبع الكتب ؟ هل نطبعها لتصل الى القراء العرب كافة أم لتبقى في المستودعات ؟ » .

فأكدت له بحماسة انه من المهم ان تصل هذه الكتب الى القراء العرب من المحيط الى الخليج ، فكلفني الوزير انذاك بالبحث عن موزع قادر على اداء هذه المهمة الجليلة النبيلة والقبول بشروطه مهما كان نوعها .

وبعد اسابيع من التنقيب والتفتيش عثرت على موزع أجمعت الآراء على انه الأفضل والانشط . قابلت ذلك الموزع وحدثته بايجاز عما تريده وزارتي ، فانصت لكلامي انصاتاً جعلني أشعر اني شحاذ يقرع ابواباً موصدة ، ثم قال إنه سيأخذ ستين بالمئة من سعر الكتاب عمولة توزيع ، فقلت له على مضض إن شرطه مقبول معقول .

قال الموزع إن أجور نقل الكتب الى أي قطر عربي ستدفعها الوزارة ، فقلت له بدهشة إن شرطه مثير وموافق عليه .

قال الموزع إنه لن يوزع الكتب حالما يتسلمها بل سيكتفي بارسال عناوينها واسماء مؤلفيها الى وكلائه في الأقطار العربية ثم يرسل اليهم فيما بعد بعض الكتب التي يطلبونها وفقاً لتقديراتهم المستمدة من معرفتهم باحوال السوق ، اما الكتب التي لن يطلبوها فستعاد الى الوزارة . ولما كان وكلاء التوزيع تجاراً وليسوا نقاد أدب وفكر فان ذلك الشرط يعني ان الكتاب الجاد البعيد عن الفضائح لن يوزع ويحرم الوصول الى القراء ، ولذا فقد قلت للموزع رأياً في شخصه وشروطه أسوأ من رأي المواطنين العاديين في الدول العظمى ..!

عندما انتهى صديقي من كلامه ، سألته بفضول : « وماذا حل بتلك الكتب ؟ » .

فأجاب ضاحكاً : « لا تسألني عن مصيرها بل اسأل فئران مستودعات الوزارة فقد صارت مثقفة ، ومن المؤكد انها ستطالب الوزارة بطبع كتبها على افخر أنواع الجبن بدلاً من طبعها على ورق عسير الهضم » .

وقد راقبت فيما بعد الكتب الصادرة عن تلك الوزارة ، فتبين لي ان مطالب الفئران والموزعين لم تتحقق ، فهل أفرح أم أحزن ؟ !

مجازر ثقافية للأطفال

أطفال الوطن العربي الذين يقال إنهم سيصبحون في المستقبل رجالاً مسؤولين مطالبين بانجاز مالم يستطع اباؤهم انجازه ..

هؤلاء الأطفال ظلوا أمداً طويلاً مهملين ثقافياً ، وفريسة لنوعين من التجار الخطرين ، نوع ينظر الى الأطفال على انهم مجرد خراف تصلح للذبح والبيع وجني المغانم المادية ، ونوع آخر ماكر مشبوه يحاول أن يشوه الأطفال كي يكون رجال المستقبل العربي لا أكثر من دمى .

ويتصف هؤلاء التجار بقدرتهم على استغلال رغبة الصغار في القراءة ونهمهم الى مزيد من المعرفة والاطلاع على ما هو جديد من ألوان الحياة ، فيقدمون اليهم المجلات والكتب التي تحرص أشد الحرص على ان تشتمل على عنصر التشويق والاثارة ، وهو عنصر يستخدم سلاحاً للوصول الى الهدف ، والهدف هو الربح المادي أو التضليل الفكري .

وفي السنوات الأخيرة ، تنبهت مؤسسات ثقافية عربية الى اخطار ذلك الدور المسيء الذي يمارسه هؤلاء التجار فابتدأت تعمل في مجال ثقافة الاطفال ، ولكن عملها بمجمله ما زال قاصراً وقطرة مداد تسقط فوق بحر ، وما زال محتاجاً الى أن تكرس أكثر الطاقات العربية كفاءة ووعياً وموهبة جهودها له حتى يتمكن من أن يؤثر التأثير المنشود ، فيطرد المتاجرين بثقافة الأطفال ، ويساهم في منح المستقبل العربي رجالاً حقيقيين قادرين على ان يقولوا : « لا » للظلم والتخلف والاعداء ، وان يحولوا رفضهم هذا الى أفعال تبرهن على أن زمن الثرثرة والثرثارين قد هزم وبات ذكرى من ذكريات ماض مظلم بائس .

الرقص الفكري

هناك ادباء عرب يتعاملون مع ما يتبنونه من أفكار كأن تلك الأفكار ثياب ، فهم يبدلون أفكارهم في الصيف والربيع والشتاء والخريف بحجة رفضهم الجمود وبحثهم عن الأفضل ، فاذا هم كراقصة اشمأزت من عملها ، ورأت فيه اهانة لوجودها وانسانيتها ، فقررت هجره ، ونفذت قرارها لتنتقل الى العمل في ملهى .

ولكن هؤلاء الادباء يختلفون عن تلك الراقصة ، فالراقصة حين تنبه على خطئها ، تحني رأسها خجلا بينما هم لا يخجلون بل يفخرون بما فعلوا ، ويطالبون أمم الأرض بتقديرهم ، وينالون أكثر مما كانوا يرغبون فيه من تقدير .

وهذا ليس بالأمر المستغرب اذا كانت الديدان تعامل بوصفها الصقور ، واذا كانت الصقور تعامل كأنها نوع ردىء من الدجاج لا يطير ولا يؤكل .

يوم تكلم النهر

قال النهر للبحر : « انا أكبر منك » .

فلم يجاوب البحر انما هدرت امواجه هازئة ، فاغتاظ النهر ، وقال للبحر متوعداً : « حين يأتي الشتاء ستنهمر الأمطار وتزداد مياهي فاصبح أكبر منك » .

وجاء الشتاء ، وهطلت امطاره غزيرة ولكن البحر ظل أكبر من آلاف الأنهار .

مسافر على الرصيف



المأساة الأسوانية

بقلم: محمود السعدني

كان عباس الأسوانى ـ يرحمه الله ـ أحد نجوم قهوة عبد الله . وعندما التقيته أول مرة كان طالباً بكلية الحقوق وموظفاً بنادى السيارات ومحرراً بمجلة مصر الفتاة وعضواً نشيطاً فى الحزب الذى كان يحمل نفس الاسم . وكان حزب مصر الفتاة الذى اختاره الأسوانى ليمارس نشاطه فيه ، حزباً غوغائياً يؤمن بالأسلوب الهتلرى فى حكم البلاد . كان الحزب يحلم بحكم مصر على نفس الأسس التى قامت عليها تركيا فى عهد مصطفى كمال أتاتورك ! ولذلك ناصب الحزب مصطفى النحاس العداء . وسلك كل الطرق لهدم زعامة النحاس والنيل من شعبية حزب الوفد . ولذلك لفت عباس الأسوانى نظرى فى أول لقاء .

وازدادت دهشتى لموقفه عندما توثقت الصلة بينى وبينه . فقد كان ساخراً إلى أقصى حد ، فناناً بكل معنى الكلمة ، محباً للحرية وللانطلاق . وكان يخرج من بيته فى الصباح فلا يعود إليه إلا قبل الفجر ! وكان ينتقل من قهوة إلى مطعم إلى رصيف إلى أى مكان ، شرط ألا يكون بين أربعة جدران . وكان يقضى سهرته المفضلة فى منزل أمين المهدى وهو فنان عبقرى كان أعظم عازف عود فى زمانه !

وكان قد اعتزل العمل العام منذ فترة طويلة وتفرغ لسهراته مع أصدقائه يستمع الى إنتاجهم الفنى ويشنف آذانهم آخر السهرة بالعزف على العود !

ولكن آمال عباس الأسوانى فى حزبه انهارت فجأة بعد حريق القاهرة . فقد القى



عباس الأسوانى

القبض عليه مع غيره من أعضاء الحزب بتهمة إحراق القاهرة ، ووجد عباس الأسوانى نفسه حبيس زنزانة ضيقة فى سجن مصر . وكانت التهمة هى الاشتراك فى مؤامرة لاحراق القاهرة ، والعقوبة المنتظرة هى الاعدام ! وقضى عباس فى الزنزانة ثمانية أشهر ولم يخلصه منها إلا ثورة يوليو وجمال عبد الناصر . ولو تأجلت الثورة أو فشلت لقضى عباس بقية عمره حبيس الجدران !

وخرج عباس من الزنزانة وقد اتخذ قراراً حاسماً الا يعود اليها ! وكان هذا القرار هو حجر الزاوية فى مأساة عباس الأسوانى . ولم يكره شيئاً فى حياته مثل السجن وهو شىء طبيعى . ولكن الشىء الذى يحتاج الى تفسير هو كراهيته لثورة ٢٣ يوليو التى كانت السبب الوحيد فى إنقاذه ! لعل السبب هو أن الثورة انقذته من السجن ولكنها قضت على حزب مصر الفتاة ، وقضت أيضاً على نفوذ الطبقة التى كانت تتمحور فى نادى السيارات الذى كان والده يعمل فيه . وهى الطبقة التى كانت تحكم مصر ، وكان لها الفضل فى تعليم عباس الذى كان ابناً لموظف بسيط للغاية يعمل ضمن حاشية النادى . لعل ذلك هى الأسباب التى دفعت بعباس الى اتخاذ هذا الموقف من ثورة ٢٣ يوليو . موقف العداء منها دون استفزازها ، والعمل فى ظلها دون ولاء ودون عداء ظاهر أيضاً . واستطاع أن يتلاءم عليها عندما فشل فى التلاؤم معها ، ولما كانت ثورة ٢٣ يوليو لم تشغل نفسها بهذا الطراز من الأعداء ، فقد أفسحت له صدرها ، فلمع فى ظلها ، وأصبح كاتباً إذاعياً وكاتباً صحفياً ، وكاتباً مسرحياً ، وصدرت له كتب ، وعقدت له ندوات ، وأفسحت سهرات القاهرة مكاناً له ، وصار عباس الأسوانى واحداً من مشاهير المرحلة ! ولم يفصح عباس الأسوانى عن حقيقة مشاعره إلا بعد وفاة عبد الناصر . فاذا به واحد من أشد أعداء ثورة ٢٣ يوليو وأكثرهم عداء .

وكشف عباس عن حقيقته فاذا به أقرب الى العهد الذى ولى ، عهد الباشوات ونادى السيارات ، من العهد الذى لمع فيه وانتشر بفضله . ولكن عباس بالرغم من كل شىء كان فناناً وكان حساساً .

ولعله ادرك المازق الذى حشر نفسه فيه ، لعله لمح رأى الناس الذين أحبوه فى



زكريا أحمد



سيد درويش



كامل الشناوى

نظراتهم ، ولذلك سقط صريع المرض فى نهاية حياته ، ولزم الفراش وهو لم يبلغ الستين بعد . لقد أصيب بالفالج وراح يتوكأ على عصا ، ثم عجز فى آخر الأمر عن النهوض من الفراش ، ومات فجاة وذهب قبل الأوان !

واذا كانت هذه هى مأساة عباس السياسية ، فان مأساته الفنية أكبر . فهو أعظم محدث ساخر عرفه تاريخ مصر . ولا أعتقد أن عباس الأسوانى كان له نظير كنديم من قبل ! كان حديثه يقطر سخرية وفكاهة فى نفس الوقت . وكان يروى قصصا قصيرة وهو يحكى لو كتبها عباس بنفس الطريقة التى يحكى بها لكان أفضل بكثير من مارك توين ! والغريب أنه فى الكتابة لم تكن له موهبته فى الكلام . وجرب كل ألوان الكتابة . كتب القصة القصيرة والرواية والمسرحية والمقال ، ولكن موهبته الحقيقية لم تظهر إلا فى المقامات . كتب المقامات الأسوانية ، ولو اهتم بها لكانت أفضل من مقامات الحريرى وبديع الزمان . أقول لو اهتم بها ، لأنه انشغل عنها بعاملين هامين . العامل الأول هو حياته الشخصية . فقد كانت لديه أمور لا يمكن التنازل عنها تحت أى ظرف .

الجلوس فى قهوة ريش وقت الظهيرة والحديث مع الأصدقاء . وقضاء السهرة فى أى مكان شرط أن يكون وسط مجموعة من الناس يودون الاستماع اليه !! والعامل الآخر هو أنه لم يهتم فى مقاماته بمشاكل مصر الحقيقية . لم يهتم بقضية الحكم والحاكم . ولم يعن بالمشاكل الحقيقية التى تواجه البشر العاديين ! وأغمض عينيه عن كل المشاكل ، واهتم بمشكلة واحدة . هى أن يكون باستطاعته أن يعمل ويكسب ويسهر وينشر انتاجه ويحصل على الأجر الذى يريد ! ولذلك ضحك الناس على الصياغة ولم يتوقفوا عند المضمون ! فلم يكن هناك مضمون حقيقى ، ولكنها التفاتات ذكية من رجل ساخر له وجهة نظر فى اختناقات المرور وأزمات السجاير واللحوم ! هل كان عباس الأسوانى لا يرى المشاكل الحقيقية .

بالطبع كان يراها .. ولكنه يتعمد الابتعاد عنها !

ولعل ذلك هو السبب الذى جعله ـ وهو المتكلم العظيم ـ يبتعد قدر الامكان عن حلقة المتكلمين العظام مثله .

فقد ابتعد خلال السنوات العشر الأخيرة عن الحلقات التى كانت تضم زكريا الحجاوى وعبد الحميد قطامش وحسن فؤاد وكامل زهيرى ! والسبب أن هذه الحلقات كانت تبدأ الحديث بالفن أو بالأدب او بالكلام الفارغ ، ولكنها تنتهى حتما الى السياسة . ولما كان عباس قد اختار مكانه السياسى الى جانب حزب مصر الفتاة . فقد آثر الابتعاد حتى لا يتورط ضد الجانب الذى اختاره ولو بالسماع ! ولعل ذلك هو السبب فى جفاف نهر فنه فى النهاية .

فالمجالات التى كان يرتادها فى النهاية لم تكن قادرة على إعطائه اى شىء ، ولكنها كانت تأخذ منه كل شىء !

كان سميعته فى النهاية من طبقة المستوردين والمصدرين ، وأصدقاؤه من المؤسسين فى شركات الاستثمار . وهؤلاء سرعان ما انفضوا من حوله عندما داهمه المرض اللعين والزمه الفراش . ولعل هذا الموقف كان السبب فى التعجيل بنهايته . فقد اكتشف بعد فوات الأوان أنه أخطأ الطريق ، وأنه ابتعد كثيراً عن الناس الذين كان من المفروض أن يصادقهم ويكتب عنهم! وأيا كانت النهاية التى انتهى اليها عباس . فقد كان ـ يرحمه الله ـ مشروع فنان عظيم لم يكتمل . وكان واحداً من أبناء الجيل ، الذى لم يمنح فرصة للنضوج . وإن صدمة السجن بعد حريق القاهرة قد خلعت قلبه من مكانه وقلبت كيانه . وخوفه الشديد من ثورة ٢٣ يوليو لم يكن له مبرر ، فهى التى فتحت له طريق الشهرة ، ولم تسجنه يوماً ، بالرغم من أن كل أبناء جيله نزلوا ضيوفاً فى سجونها مدداً مختلفة ! وانضمامه الأخير بكل قواه الى عصر الانفتاح لم يكن له ما يبرره ، لأنه لم يستفد شيئاً ، ولم يجن شيئاً . وخرج من المولد بلا حمص .

حتى إنتاجه الأدبى لم يحفل به أحد بعد موته ، حتى البرامج القليلة التى قدمها للتليفزيون مسحوا شرائطها ليسجلوا عليها ما هو أكثر أهمية ، مباريات كرة القدم !

وحتى حقوقه الشرعية لم يحصل عليها ، وقد أدمت قلبى شكوى منشورة فى الصحف للسيدة الفاضلة حرمه تطلب فيها سرعة انجاز اجراءات معاشه الشهرى !

ولا أدرى من هو الملوم فى بداية ونهاية عباس المأساوية ؟ هل هو عباس نفسه ؟ هل

المأساة الأسوانية

هو الجيل الذى ينتمى اليه ؟ هل هى المرحلة التى عاشها ؟ أغلب الظن أنها كل هذه الأشياء مجتمعة . فهو عاش خمسين عاما من الثلاثين الى الثمانين . وهى فترة من أعصف وأخطر وأخصب فترات مصر . نشبت فيها الحرب العالمية ، وبدأت فيها حروب فلسطين ،

ووقع فيها العـــدوان على مصر ، وقامت الوحدة ، وفشلت الوحدة . وحدثت هزيمة ٦٧ . وتفككت الأسرة العربية ، وشهدت الأرض من طنجة الى صنعاء ، كوارث ومصائب ومعارك بالسلاح بين أقطار الأمة ! وإذا كان الفنان عباس الأسوانى قد فقد توازنه فى الزلزال فبعض اللوم يقع عليه ، وأكثر اللوم يقع على الظروف المحيطة . لأنه لم يرتكب إثما سوى بعض أبيات من الشعر ، ولعله اختار الشعر لأنه ليس بشاعر . كأنما أراد أن يحتفظ بفنه طاهرا وتكسب بفن مجلوب ! تماما كما فعل الشاعر كامل الشناوى ، حين مدح زعماء الأقلية بمقالات فى الصحف ، ولكن قصيدة المدح الوحيدة التى نطق بها كانت لمصطفى النحاس . لأن كامل الشناوى شاعر والمدح بالشعر ينبغى أن يكون للزعيم فقط أما الآخرون فلهم مقالات الصحف وهى أشبه بصرخات فى واد فسيح !

إن المأساة الأسوانية هى جزء من مأساة مصر . ولكنها وبالرغم من كل شىء أقل حدة من مأساة رشدى صالح وغيره . لأن عباس لم يضطر الى ركوب منبر أو قيادة حزب يعلم هو نفسه أنه مزيف . ولكنه عاش رغم مأساته مجرد مواطن يريد أن يعيش . صحيح يريد أن يعيش فى جاردن سيتى ، وأن يركب سيارة بويك وأن ينفق عن سعة ، وأن يقضى رحلة العمر دون زيارة لسجن طرة أو منفى الواحات ولكنها على العموم كانت مطالب مشروعة ، ورغبات فنان غلبان صعد من سرداب المبنى الاجتماعى وأراد أن يحتفظ لنفسه بموضع قدم فـوق السطوح !

ولا أشعر بأسف قدر أسفى على انتاج عباس الأسوانى ، الذى تبدد أغلبه فى نكات حارة وغمزات مريرة وقفشات لاذعة أطلقها فى سهراته وقعداته ، وسجل أقلها فى سطور على ورق مطبوع . ولو أن الريح كانت مواتية والظروف مناسبة لكســبت مصر فنانـــا عملاقا ليس لـه نظير .

فقـــد كان صاحب موهبـــة فى الحديث متفـــردة . وإذا كان زكريا الحجـــاوى كمتحدث يبهرنى ، وقطامش يبهجنى ، فان عباس الأسوانى هو الوحيد الذى كان يضحكنى ! ولم أضحك فى حياتى من الأعماق إلا وأنا استمع الى عباس الأسوانى . ولكن أغرب شىء أن عباس الأسوانى المقتدر المتمكن كان يصاب بالصمت إذا خرج عن نطاق الشلة .

اشتركت معه مرة فى ندوة تليفزيونية حضرها صلاح جاهين وزكريا الحجاوى والفنان محمد رضا والفنان بهجت الرسام . ولم يفتح الله على عباس بكلمة ، فقد ارتج عليه أمام عدسات التليفزيون ! وذات محاضرة فى مدينة طنطا وكانت المناسبة هى عيد طنطا القومى . وكان فرسان المحاضرة زكريا الحجاوى والأسوانى والعبد لله . ارتج على عباس الأسوانى فلم يفتح فمه بكلمة واحدة ، وعجز تماما عن النطق عندما هم بالكلام ! وسألنى بعضهم عقب المحاضرة كيف تشركون معكم رجلا عاجزا الى هذا الحد ؟ ويبدو أن عبقرية عباس كانت تتفتح فى حلقة ضيقة وتموت عندما يتسع الميدان . وكان يتألق أكثر اذا اطمأن الى جميع الجالسين . وهى صفة كان يشترك فيها مع متكلم عظيم آخر هو قطامش ! وكان أسلوب عباس فى الحديث يعتمد على سرد قصة مشوقة وأحداثها مثيرة . وكان يسوقها بأسلوب مشوق للغاية وبينما كل الدلائل تشير الى نهاية يتوقعها الجميع للحكاية التى يرويها ، إذ به يفاجىء الجميع بخاتمة مسرحية ، خاتمة لا تتفق مع سير الأحداث وتثبت فساد علم المنطق .

وكان أكثر الناس وقارا لا يملك نفسه من الضحك حتى السقوط من فرط الاعياء ! وكانت لديه قدرة للتحدث عدة ساعات دون كلل ، ودون أن يفقد حرارته ! وكان لا يستطيع الصمت ولو كان فى حضرة أعظم رجال دولة الكلام . المرة الوحيدة التى رأيت فيها عباس صامتا كانت فى سهرة فى بيت الحجاوى أقيمت على شرف الفنان الكبير زكريا أحمد يرحمه الله ! وكان زكريا أحمد ملحنا عظيما ومتكلما أعظم . وكان حاسما جدا فلا يسمح لأحد بالكلام . وكان سنه وتاريخه لا يسمحان لأحد بمقاطعته بعكس العتاولة الآخرين . وكان حديث زكريا أحمد مشوقا ويجبرك على السماع .

خصوصا وانه يحكى عن فترة لم نشهدها ، ويقص أخبار عباقرة لم نكن على قيد الحياة عندما كانوا زينة المجالس والسهرات ! كان يحكى عن الشيخ على محمود وأول مرة جاء فيها الشيخ سيد درويش الى القاهرة . وخرجنا كلنا من السهرة فى منتهى السعادة لحكايات الشيخ زكريا ، وفى منتهى الغم لأن أحدا منا لم تتح له فرصة للكلام . ولكن أكثرنا غما كان عباس الأسوانى ، لدرجة أنه بكى بدموع حقيقية فى الصباح !

رحم الله عباس الأسوانى ، أحد عباقرة زمن الحسومات . زمن الولادة المتعسرة والمواليد المشوهين . رحمه الله ، فقد كان أشبه بمسدس بدون طلقات !!

محمود السعدنى

بعد ربع قرن من دخول التليفزيون إلى العالم ..
ماذا كان تأثيره على عاداتنا .. وماذا ننتظر من هذا الجهاز في المستقبل؟

في بيتنا تليفزيون

بقلم : الدكتور صلاح الدين أحمد جوهر

دخل التليفزيون بيوتنا منذ حوالى ربع قرن من الزمان ولم نستطع أن نمنع أنفسنا من الترحيب به ، بل كنا نتسابق الى دعوته ونتنافس فى اقتنائه وذلك لأنه عندما دخل بيوتنا أول مرة ، حمل معه ما لذ وطاب من البرامج الترويحية والمعلومات والمسابقات الثقافية ، واستطاع أن ينقل الينا صوراً شيقة من العالم حولنا سواء ما كان منها من الشرق أو الغرب من الفضاء أو أعماق المحيطات ، من مملكة الانسان أو الحيوان بكل ما فيها من غرائب وأعاجيب . كنا نسعد عندما نجتمع أمام شاشة التليفزيون لمشاهدتها وكنا ندعو معنا الأهل والأصدقاء والجيران الذين لم يسعدهم الحظ بعد باقتناء هذا الصندوق العجيب .

وبعد مضي عشرين عاما قضاها ذلك الضيف الجذاب بيننا فى بيوتنا بدأنا نحس أن وجوده قد غير الكثير فى نظام حياتنا وفرض على أفكارنا اتجاهات جديدة غريبة علينا ليست من النوع الطيب الذى نطمئن اليه ، ولكننا رضينا بها على مضض وسكتنا عليها حتى أصبحت كل هذه التغيرات ، حلوها ومرها ، بخيرها وشرها ، جزءاً من حياتنا ليس فى الامكان إنكار وجودها أو التخلص مما لا نرضاه منها .

وفى السنوات الأخيرة بدأ أنين الناس من هذا الضيف يعلو يوماً بعد آخر ، وبدأ تبرمهم به يأخذ صورة الاحتجاج المتزايد ، ولكن أحداً لم يجرؤ حتى اليوم أن يجاهر بالرغبة فى طرد هذا الضيف من بيته ..

ومع تزايد إحساس الناس بوطأة التليفزيون وتزايد نقدهم الآثار السلبية التى قد ترتبت عن وجوده داخل محيط الأسرة ، بدأ العلماء والباحثون يهتمون بسماع الصرخات التى لم يصدقها الكثيرون منهم فى أول الأمر .

وبدأوا سلسلة طويلة لم تنته من البحوث بهدف التعرف على تاثيرات مشاهدة برامج التليفزيون على سلوك الناس وطباعهم وعلى قيم الجماعات واتجاهاتها ومعاييرها . وكان فى مقدمة من استجابوا لنداء البحث وتقصي الحقائق نخبة من العلماء وأساتذة الجامعات بالولايات المتحدة الأمريكية على اعتبار أنها كانت أسبق الى استخدام التليفزيون.

وفى أوائل عام ١٩٧٢ صدر أول تقرير عن الحكومة الأمريكية يلخص ما توصل اليه العلماء والباحثون من نتائج فيما يتعلق بتاثيرات مشاهدة التليفزيون ، وبخاصة مشاهدة برامج العنف والجريمة ، على سلوك الناس . وجاءت تلك النتائج لتؤكد وجود رابطة قوية بين مشاهدة برامج العنف والجريمة وما يصدر عن الناس من سلوك بعدها يتسم بالعنف والعدوانية . وكان التركيز فى هذا منصباً على دراسة الأطفال والمراهقين .

أكثر شمولا

وبعد عشر سنوات من صدور التقرير الأول ، صدر تقرير ثان فى أوائل عام ١٩٨٢ وعن الحكومة الأمريكية أيضاً ، وان كان أكثر شمولا وعمقاً وأكثر تنوعاً فى اهتماماته ومجالاته . وقد غطى قضايا وظواهر سلوكية واجتماعية متعددة للتليفزيون فيها دور واضح . وفى مقدمة تلك القضايا والظواهر تاتى :

- ظاهرة العنف والسلوك العدوانى .
- التنشئة الاجتماعية وإدراك الواقع الاجتماعى .
- الحياة الأسرية والعلاقات بين أفراد الأسرة .
- أداء الوظائف العقلية والمعرفية والوجدانية لدى المشاهدين .
- علاقة التليفزيون بعمليتى التعليم والتعلم .

في بيتنا تليفزيون

هذا وسوف نستعرض فى الصفحات القليلة القادمة أهم ما تضمنه الجزء الأول من تقرير عام ١٩٨٢ الذى حمل عنوان : «التليفزيون والسلوك : نتائج عشر سنوات من البحث والتقصى العلمى ومغزاها فى عقد الثمانينات» . وقد يكون من المهم أن نذكر أن الذين قاموا باعداد التقرير إنما هم حفنة من العلماء والباحثين الذين ينتمون الى الجامعات ومراكز البحث الأمريكية ، بعضهم من علماء الاتصال ، ومن علماء النفس ، ومن علماء الاجتماع والانثروبولوجى ، ومن الباحثين المهتمين بالتليفزيون وبدراسات الطفولة والشيخوخة والأسرة والتطوير التربوى . قام هؤلاء العلماء والباحثون (الذين يبلغ عددهم حوالى ٢٥) بتجميع وفحص وتحليل وتقييم كافة البحوث والدراسات ذات الصلة بالتليفزيون والتى بلغ عددها حوالى ٣٠٠٠ بحث ودراسة تمت داخل الولايات المتحدة والبعض منها فى دول أوروبية . ثم تقدم العلماء والباحثون بنتيجة فحصهم وتقييمهم الى هيئة حكومية أمريكية من المستشارين والعلماء قامت بتجميع هذه التقارير الفردية وتبويبها والتعليق عليها وضمنتها فى التقرير الذى نحن بصدد تقديم ملخص له .

الفصل الأول

جاء فى الفصل الأول من التقرير ما يلى :

● بلغ عدد البحوث ذات الصلة بالتيفزيون التى تمت حتى عام (١٩٧٠) ٣٠٠ بحث ، فى حين بلغ عدد البحوث التى اجريت فى الفترة من (١٩٧٠ حتى ١٩٨٠) ٢٥٠٠ بحث ، وذلك فى الولايات المتحدة وحدها .

● اتسعت دائرة العلماء الباحثين فى تاثيرات التليفزيون خلال عقد السبعينات حتى شملت كل العلماء السلوكيين .

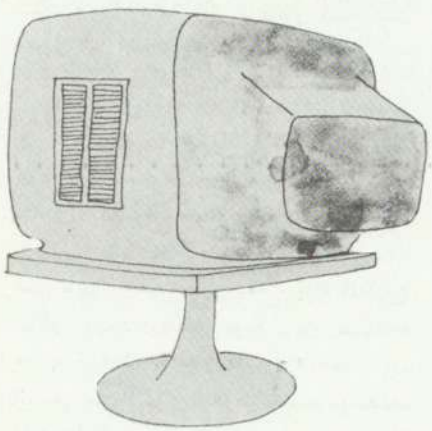
● تم تمويل غالبية البحوث والدراسات خلال السبعينات بواسطة المؤسسات الحكومية والجامعات وبعض المؤسسات الخاصة .

● اتسعت دائرة الاهتمام بتاثيرات التليفزيون خلال السبعينات ولم تقتصر على دراسة السلوك العدوانى وحده بل امتدت حتى شملت العلاقات الاجتماعية والأسرية والقيم والوظائف العقلية المعرفية والوجدانية .

● بعض البحوث والدراسات التى تمت خلال السبعينات من النوع المعملى الذى تتم خطواته تحت شروط وظروف تجريبية محكمة ، والبعض الآخر من نوع البحوث الميدانية التى تتم تحت الظروف المعتادة . ومن ثم أمكن الجمع بين حسنات ومزايا كل نوع .

● ثبت أن التليفزيون قد أصبح كالمغناطيس يحذب اليه الجميع : فالاطفال الرضع عندما يوضعون أمام شاشته يحملقون فى الصور التى تجرى أمامهم ، وصغار الأطفال يقضون ساعات طويلة من اليوم أمام التليفزيون ، بينما الكبار يواظبون على مشاهدة بعض برامجه . ويؤكد التقرير أن جمهور التليفزيون فى الولايات المتحدة الأمريكية قد اتسع حتى شمل كل الناس تقريباً ، وأن مشاهدة التليفزيون تاتى الثالثة فى الترتيب بين انشطة الناس اليومية (بعد النوم والعمل) بالنسبة لعدد الساعات .

● ويضيف التقرير أن التليفزيون قد أصبح جزءاً مكملا للحياة اليومية للمجتمع الأمريكى ويؤثر فى كل نواحيها : فهو الذى يضيف الى معلوماتهم ، ويزودهم بما يفكرون فيه ويتحدثون عنه ، ويوجه آراءهم وسلوكهم ، ويشغل الجزء الأكبر من أوقات فراغهم .



الفصل الثانى

يتحدث التقرير فى فصله الثانى عن تاثيرات التليفزيون فى الجوانب المرتبطة بالصحة والعلاج والحملات الصحية فى المجتمع الأمريكى ويقسم البحوث والدراسات التى تمت فى هذا المجال الى ثلاثة اقسام رئيسية :

القسم الأول : يهتم ببحث مضمون البرامج التليفزيونية والشخصيات التليفزيونية من حيث تاثيرها فى الحالة الصحية وفى السلوك المرتبط بها للمشاهدين . ويعترف التقرير بان الدراسات التى تمت فى هذا المجال قليلة نسبيا . ومن أمثلة الدراسات التى تمت فى هذا الشان دراسة تاثير الاعلانات عن المواد الغذائية على السلوك الغذائى للاطفال والكبار ، وكذلك دراسة تاثير عملية مشاهدة التليفزيون ذاتها على تكوين العادات الغذائية للمشاهدين .

القسم الثانى : ويهتم بقياس تاثير الحملات الصحية عن طريق التليفزيون على سلوك الناس . ويذكر التقرير العديد من الأمثلة على هذه الحملات ويقرر أنه فى الامكان التاثير فى معلومات الناس وفى سلوكهم بواسطة الحملات الصحية عن طريق التليفزيون .

القسم الثالث : ويهتم باستخدامات البرامج التليفزيونية فى أغراض العلاج النفسى / الاجتماعى لبعض نوعيات المرضى بالمستشفيات والمؤسسات العلاجية والسجون وفى دور الرعاية الخاصة للمسنين .

الفصل الثالث

يلخص لنا التقرير فى هذا الفصل أهم نتائج البحوث والدراسات التى أجريت لقياس وتقييم آثار مشاهدة التليفزيون على نمو وأداء الوظائف المعرفية والوجدانية عند الانسان (وبخاصة عند الأطفال) . ومن هذه الدراسات ما اهتم بدراسة «الانتباه» وتاثره بمشاهدة التليفزيون ، ومنها ما اهتم بنمو «الفهم» و «الاثارة» و «النمو العاطفى الوجدانى» ، وهى كلها موضوعات تدخل فى دائرة الاهتمام التقليدية لعلم النفس ومازالت تحتاج الى المزيد من البحوث .

الفصل الرابع

يختص هذا الفصل من التقرير بعرض وتقييم نتائج البحوث والدراسات التى تمت حتى صدور التقرير واهتمت بظاهرة العنف والسلوك العدوانى فى برامج التليفزيون . ويدلل واضعو التقرير على اهمية هذا الموضوع بتشكيل لجنتين حكوميتين للنظر فيه وذلك فى أواخر الستينات ثم فى أوائل السبعينات . أما اللجنة الأولى فقد أكدت فى تقريرها الصادرة في عام ١٩٦٩ أن « نتائج البحوث والتجارب المعملية تؤكد أن مشاهدة برامج العنف على شاشات التليفزيون تزيد احتمالات سلوك العنف فى الحياة العادية للمشاهدين» . وفى عام ١٩٧٢ صدر تقرير اللجنة الثانية وورد فيه أن «الأدلة التى تجمعت نتيجة الدراسات المعملية والحقلية تشير الى أن مشاهدة برامج العنف على شاشة التليفزيون تسهم وتحفز على ظهور السلوك العدوانى من جانب المشاهدين» . وقد أثار هذان التقريران كثيراً من الجدل بين العلماء وقدراً كبيراً من عدم الرضا بين الجماهير التى لم تسكت عن التعبير عن سخطها على الآثار السيئة لمشاهدة برامج التليفزيون وذلك من خلال جماعات أو روابط منظمة ذات كلمة مسموعة فى المجتمع الأمريكى .

ويقدم لنا التقرير تغيرات علمية مفيدة يحاول كل منها شرح أسباب تلك الرابطة القوية بين مشاهدة العنف على شاشة التليفزيون وسلوك العنف والعدوان الذى يعبر عنه المشاهدون عقب تعرضهم لمشاهدة برامج العنف . ومن هذه التفسيرات ما يلى :

● يرى أنصار نظرية «التعلم بالملاحظة» أن الأطفال يتعلمون السلوك العدوانى من مشاهدة السلوك العدوانى على شاشة التليفزيون تماماً كما يتعلمون فى حياتهم العادية سائر ألوان السلوك والمهارات من رؤية وملاحظة سلوك الآباء والكبار والمعلمين والأقران» . على أن هناك شرطاً يضعه العلماء لهذا التعلم بالملاحظة استنتجوه من تحليلهم للمشاهدة التليفزيونية العنيفة ولسلوك الأطفال بعدها . هذا الشرط يرتبط بنوعية الثواب أو العقاب الذى يناله صاحب السلوك العدوانى العنيف فى برنامج التليفزيون ، فاذا رأى الأطفال أن الشخص صاحب السلوك العنيف يثاب بطريقة ما على سلوكه فان الأطفال يكونون أشد ميلا الى تقليد هذا السلوك . أما إذا رأوا صاحب السلوك العنيف يعاقب بطريقة ما على سلوكه فانهم يكونون أقل إقبالا على تقليد هذا السلوك . هذا ، ويعتقد العلماء أن التوحد النفسى مع الشخصيات التليفزيونية ربما يكون سبباً من أسباب التقليد والتعلم بالملاحظة .

● وهناك فريق ثان من العلماء يبنون تفسيرهم لارتباط مشاهدة سلوك العنف بالسلوك العدوانى للأطفال على نظرية أخرى مؤداها «أن الأطفال يتعلمون منذ صغرهم كبح نوازع الشر فى أنفسهم ويكافأون على ذلك ، ويتعلمون التعبير عن السلوك المقبول ويكافأون على ذلك . أما إذا تعرضوا لفترات طويلة لمشاهدة برامج العنف والعدوان على شاشة التليفزيون فان زمام الكبح والردع الكامن فى نفوسهم يخف ويضعف ، ومن ثم ينطلقون فى تقليد السلوك العدواني العنيف الذي يشاهدونه.

● وهناك فريق ثالث من العلماء يفسرون الارتباط بين سلوك العنف ومشاهدة برامج العنف على شاشة التليفزيون على أساس نظرية تكوين الاتجاهات . وبناء على هذه النظرية فانه بازدياد وتكرار مشاهدة الأطفال لبرامج التليفزيون المليئة بالعنف والعدوان فانهم يصبحون أكثر تقبلا للسلوك العدوانى وأشد ميلا الى ممارسته.

ويثير التقرير فى نهاية هذا الفصل الرابع مجموعة من المشكلات البحثية التى واجهها العلماء والباحثون ، ويوضح كيف أمكن معالجة الكثير منها ، مما يدخل فى دائرة اهتمام الباحثين بطبيعة الحال .

الفصل الخامس

وفيه يبرز التقرير دور مشاهدة برامج التليفزيون فى تنمية القدرة على التخيل والابتكارية ، كمايقدم لنا دليلا أكيداً على مقدرة التليفزيون على غرس القيم الاجتماعية المفيدة في نفوس الناشئة ، وعلى تعويدهم السلوك الاجتماعي المرغوب . ومن السلوك الاجتماعى المرغوب الذى كان موضع اهتمام الباحثين : الغيرية ، والتعامل الودى ، وضبط النفس.

ويستخلص التقرير من نتائج كل الدراسات التى تمت على ارتباط السلوك الانسانى بمشاهدة التليفزيون نتيجة هامة مؤداها : «ان الأطفال يتعلمون فعلا من مشاهدة التليفزيون ... وأن ما يتعلمونه يعتمد على ما يشاهدونه .. فاذا شاهدوا عنفاً وسلوكا عدوانياً فانهم يميلون الى أن يصبحوا أكثر عدوانية وتمرداً . واذا شاهدوا سلوكاً اجتماعياً مرغوباً فانهم يصبحون أكثر انضباطاً وتحكماً فى سلوكهم وأكثر وداً فى تعاملهم مع الناس .»

الفصل السادس

يعد هذا الفصل من أهم فصول التقرير من المنظور الاجتماعى ، ذلك لأنه يعرض علينا نتائج البحوث والدراسات التى عالجت تأثير مشاهدة برامج التليفزيون فى تكوين صورة الواقع الاجتماعى لدى المشاهدين وفى تكوين شخصياتهم الاجتماعية أو ما يطلق عليه عادة عملية التطبيع الاجتماعى .

تتم عملية التطبيع الاجتماعى فى الظروف العادية ، وبعيداً عن تأثيرات التليفزيون ، بأن يتعلم الطفل منذ السنوات الأولى من حياته عن طريق ملاحظة غيره من الناس الذين يتقابل معهم أو يلتقى بهم ، فهو يتعلم ما يتعلمه من ملاحظة الأبوين والاخوة والاصدقاء ثم المعلمين والبالغين بوجه عام . يتعلم الصغار كيف يسلكون ويتصرفون فى المواقف الاجتماعية المختلفة ، ويتعلمون ما ينبغى عليهم أن يفعلوه عن طريق مشاهدة سلوك البالغين وتصرفاتهم . ومع دخول التليفزيون فى محيط الأسرة تغيرت معالم البيئة الاجتماعية للصغار ، وأصبحوا يرون أشياء وأشخاص آخرين غير هؤلاء الذين كانوا يرونهم قبل دخول التليفزيون . ان برامج التليفزيون التى يشاهدها الصغار ساعات طويلة من أيامهم مليئة بالشخصيات المتنوعة ، وكل من هذه الشخصيات لها دورها فى الحياة ، فمنها من هو طبيب ، أو ضابط ، أو معلم ، أو مهندس ، أو فنان ، أو صانع ، أو فلاح ، أو زوج ، أو أب ، أو أم ، أو زوجة وربة أسرة ، أو زوجة عاملة .. الخ . لقد تصدت البحوث والدراسات التى تمت فى السبعينات للكشف عن تأثير مشاهدة التليفزيون فى

في بيتنا تليفزيون

الصغار من حيث الكيفية التى بها يدركون طبيعة هذه الأدوار المتنوعة فى الحياة ، وطبيعة السلوك الذى يسلكه صاحب كل دور من هذه الأدوار ، وجاءت نتائج هذه البحوث لتؤكد أن مشاهدة الصغار للشخصيات التليفزيونية وللأدوار التى تلعبها تؤثر فى إدراكهم أدوار الحياة وما يرتبط بها من سلوك وتوقعات . ويؤكد التقرير أن التليفزيون وإن كان لا يقصد صراحة أن يعلم الصغار كيف يلعبون هذه الأدوار فى مستقبل حياتهم إلا أن تعرضهم المستمر لمشاهدة برامجه وشخصياته تؤثر فى تعلمهم هذه الأدوار بالكيفية التى يرونها فى برامج التليفزيون .. وهذا فى رأينا مصدر من مصادر الأهمية والخطورة فى آن واحد لأنه فى غيبة مصادر أخرى غير التليفزيون تعلم الصغار أدوار الحياة يصبح التليفزيون ذا أثر لا يبارى فى تزويدهم بالأفكار والمعلومات وأنماط السلوك التى يسلكونها فى حاضرهم وفى مستقبلهم .

وقد توصل الباحثون كذلك الى أن الاكثار من مشاهدة برامج تليفزيونية معينة تتسم بالعنف أو سوء الخلق أو الخيانة والغدر أو انعدام العدل والقصاص يؤثر فى الأسلوب الذى يدرك به المشاهدون الحياة الحقيقية من حولهم ويؤدى بهم الى فقدان الثقة بالآخرين والى الشعور بالغربة وعدم الطمأنينة . ويؤكدون أنه وان كان التليفزيون يعد واحداً ضمن عوامل تشارك فى تشكيل صورة الواقع الاجتماعى عند الناس إلا أن الدور الذى يلعبه فى هذا المضمار دور خطير الشأن وهام .

الفصل السابع

يعالج الفصل السابع من التقرير موضوع الأسرة والعلاقات بين أفرادها من حيث تأثرها بدخول التليفزيون في حياة الأسرة . ويشير التقرير إلى الأسرة التليفزيونية ، وهي الأسرة كما تظهر فى البرامج والأفلام والمسلسلات التليفزيونية، ويؤكد أن هذه الأسرة التليفزيونية تلعب دور النموذج لدى الكثيرين من المشاهدين بكل ما تحمله من معان وعلاقات وتفاعلات ومشكلات . وقد عبر العلماء والباحثون عن قلقهم البالغ إزاء الصورة الغالبة التي تظهر بها الأسرة التليفزيونية ففيها من المعاني والعلاقات ما يسيء إلى صورة الأسرة فى مخيلة المشاهدين وبخاصة الصغار قليلي الخبرة بالحياة .

ثم ينتقل التقرير الى تقويم نتائج البحوث والدراسات التى اهتمت ببحث تأثير مشاهدة التليفزيون فى حياة الأسرة العادية وفى التفاعلات التى تتم داخلها وكان أهم ما توصلوا إليه ما يلي :

- عندما تجتمع الأسرة لمشاهدة التليفزيون تقل المحادثات الأسرية ويهبط حجم التفاعل بين أفرادها .
- أن الانطباعات التى تنمو وترسخ فى ذهن كل فرد من أفراد الأسرة نتيجة مشاهدة برنامج تليفزيوني واحد تختلف وتتباين من فرد لآخر وذلك لأن كل واحد منهم يدرك مايدور في التلفزيون بطريقته ومن زاويته الخاصة وهو منعزل عن الآخرين الذين لا يتحدثون مع بعضهم البعض .
- أن غالبية الآباء لا يمارسون أي توجيه فيما يتعلق بمشاهدة التليفزيون بواسطة الأبناء ، ويتركون للأبناء اختيار ما يحبون مشاهدته من البرامج التليفزيونية .

الفصل الثامن

يقدم التقرير فى هذا الفصل العديد من الحقائق والاحصاءات عن التليفزيون في حياة المجتمع الأمريكي ، ومن هذه الحقائق مايلي :

- يوجد بالولايات المتحدة ١٠٢١ محطة تليفزيون ، منها ٧٥٣ محطة يمتلكها قطاع الأعمال الخاص ، ٢٦٨ محطة تمتلكها الحكومات أو الجامعات .
- يقضى المشاهد الأمريكى فى المتوسط حوالى ٩٥٪ من وقت المشاهدة فى متابعة برامج محطات التليفزيون الخاصة التى تبث الأنباء والبرامج التعليمية والوثائقية بالاضافة الى البرامج الترويحية .
- يغذى هذه المحطات ثلاث شبكات تليفزيون كبرى ، وهذه بدورها تتعامل مع حوالى عشرين منتجاً تليفزيونياً (منهم شركات انتاج كبرى ومنتجون مستقلون) .
- يرى حوالى نصف جمهور المشاهدين من البالغين أن بعض برامج التليفزيون لا تناسب الأطفال ، ويتخوفون من مضمون بعض البرامج على المستويات الأخلاقية للناشئة .

الفصل التاسع

يعالج هذا الفصل موضوعاً جديداً لم يسبق معالجته فى تقارير من قبل ، وينطلق من فرضية منطقية مؤداها أنه مادامت ليست هناك نية فى التخلص من الأداة السحرية فانه كلما زاد فهمنا لها زادت قدرتنا على تفادى أضرارها والاستزادة من فوائدها . يضاف الى هذا أن الاعتقاد السائد بين الناس هو أن التليفزيون سوف تزداد أهميته بمرور السنين ، ومن ثم ينبغى تعليم الأطفال والبالغين على السواء كيف يشاهدون التليفزيون ويتعاملون مع مضمون برامجه تماماً كما يتعلمون القراءة والكتابة وغيرها من المهارات الضرورية للحياة فى المجتمع الأمريكى . ثم يتعرض التقرير لمناقشة «المشاهدة الناقدة» كواحدة من هذه المهارات الضرورية التى ينبغى العمل على تنميتها فى المواطنين منذ الصغر ، ويوضح لنا كيف أمكن لبعض الأنظمة التعليمية فى الولايات المتحدة تبنى مقررات دراسية محددة هدفها تنمية مهارات «المشاهدة الناقدة» لبرامج التليفزيون حتى تجعل من مشاهدتها خبرة إيجابية مفيدة تضيف الى سائر الجهود التربوية الأخرى فى صقل شخصية المواطنين وهم مازالوا أطفالا فى عمر المدرسة .

إن تعليم المهارات المتصلة بالمشاهدة الناقدة للتليفزيون مازال مجالا تربوياً جديداً علينا ، ولكنه يعكس بدون شك إتجاهاً عاماً نحو وضع هذه الأداة (التليفزيون) فى مكانها المناسب كجزء فعال فى توجيه ودفع عملية النمو العقلى والانفعالى للناشئة .

ويتحدث التقرير فى هذا الفصل أيضاً عن التحصيل التعليمى للتلاميذ من حيث تأثره بمشاهدة التليفزيون ويقرر أنه من المتعذر فى الوقت الحاضر الكشف عن حقيقة العلاقة بين مشاهدة التليفزيون والتحصيل التعليمى نظراً لوجود العديد من العوامل الأخرى التى تتدخل فى تشكيل هذه العلاقة .

الفصل العاشر

يتحدث التقرير فى هذا الفصل عن المغزى الذى ينبغى ان نخرج به من هدا الكم الهائل من نتائج البحوث والدراسات التى امكن التوصل اليها خلال عقد السبعينات . وقد يكون مفيداً ان نبرز بعض النقاط التى ركز عليها التقرير فى فصله العاشر والأخير :

● يقول التقرير انه لا يليق بعد اليوم ان ننظر الى التليفزيون على انه مجرد لعبة او جهاز كهربى بعد ان ثبت بالبحث والدراسة المستفيضة انه جهاز تربوى وتعليمى بالغ الخطورة ، وان تاثيراته قوية وتراكمية فى آن واحد .

● ويؤكد التقرير انه قد انقضى ذلك الزمن الذى كان البحث فيه يركز على الكشف عن وجود علاقة سببية بين مشاهدة التليفزيون وبعض الظواهر السلوكية الاجتماعية .

لقد توغل التليفزيون فى حياة المجتمع واصبح يحتل مكانة تضارع مكانة الأسرة والمدرسة وغيرهما من مؤسسات المجتمع من حيث تاثيراته ودوره فى عملية التربية والتطبيع الاجتماعى .

● ويؤكد التقرير كذلك الحاجة الى مزيد من البحوث والدراسات للكشف عن الظروف التى تؤدى بالصغار الى تعلم السلوك الاجتماعى المرغوب من خلال مشاهدتهم برامج التليفزيون ، وللكشف كذلك عن مدى تاثر المعتقدات والتقاليد الأسرية واسلوب الحياة فيها بمشاهدة التليفزيون .

تعقيب

كلمة حق ينبغى ان تذكر بعد هذا العرض السريع لمحتوى التقرير هى انه اكثر التقارير التى ظهرت حتى يومنا هذا شمولا وعمقا فى آن واحد .

لقد غطى التقرير مجالات عديدة ذات اتصال بمشاهدة التليفزيون كانت محطا لاهتمام العلماء والباحثين خلال عقد السبعينات ، واستطاع واضعو التقرير أن يقدموا لنا تقييما موضوعيا دقيقا لنتائج البحوث والدراسات التى تمت فى السبعينات وكان فى بؤرة اهتمامها الكشف عن تاثيرات مشاهدة التليفزيون فى سلوك الانسان المواطن فى مواقف متنوعة من مواقف الحياة اليومية .

ومن المفيد فى تعقيبنا على هذا التقرير ان نبرز بعض المعانى الهامة التى وردت فيه ثم نستخلص لانفسنا بعض المعانى الأخرى ذات المغزى لنا نحن التربويين والاجتماعيين فى المجتمع العربى . ويأتى فى مقدمة تلك المعانى ما يلى :

اولا : إن كون التليفزيون له بعض الآثار الضارة سلوكيا لا ينبغى ان يؤدى بنا الى حرمان ابنائنا من مشاهدة برامجه او ان ننهى تلاميذنا بالمدارس عن الاستمتاع به ذلك لأن للتليفزيون استخدامات نافعة عديدة اشار اليها التقرير وعلينا نحن ان نبحث ونجتهد فى ان نرى من التليفزيون وجهه النافع المضيء من المنظور التربوى الاجتماعى .

ثانيا : إذا كان ما جاء بالتقرير صحيحا .. اى اذا كان التليفزيون قادراً على إحداث كل هذه التغييرات فى عقول وسلوك الأبناء ، وهو فى الحقيقة قادر على فعل ما هو ابعد واعمق .. فلنا ان نتساءل عما فعلته المدرسة التقليدية ... وما يمكن ان تفعله .. وما ينبغى ان تفعله ؟ ليس منا من ينكر ان مدارسنا التقليدية قد تقلص دورها حتى أصبحت تهتم فقط بجانب صغير من الجوانب العديدة لعملية التربية الشاملة للناشئة وهو الجانب الخاص بالاعداد لاحترافه حرفة من حرف الحياة او امتهان مهنة من مهن العمل المختلفة التى تؤمن المستقبل المادى لأصحابها .

أما غرس القيم وانماط السلوك المرغوب اجتماعيا فان المدرسة التقليدية قد انشغلت عنه إن لم تكن قد اصبحت عاجزة عن الوفاء به .

ثالثا : إنه فى الامكان ان نعمق دور مدارسنا فى عملية التربية دون ان تتكبد الكثير من المشقة والنفقات ، وذلك بان نطالبها بان تعلم ابناءنا كيف يشاهدون التليفزيون «مشاهدة ناقدة» مفيدة ، وان تجعل دروس المشاهدة جزءاً مكملا ومتكاملا مع الخطة العامة للدراسة لها اصولها واساليبها واهدافها

رابعا : من المفيد ، ومن الضرورى ان تبدا المدرسة والتليفزيون عصراً جديداً تلتحم فيه جهودهما وتتوحد غاياتهما من اجل مستقبل افضل لأبنائنا . وقد يتطلب ذلك إعادة النظر فى اساليب ومحتوى إعداد المعلمين وإعداد العاملين بالتيفزيون بحيث تتضاعف فرص الالتقاء الفكرى بين افراد الفريقين ويزداد إيمانهم معا بان التعاون يمكن ان يحقق الأهداف بفعالية .

خامسا : ومن اجل تحقيق فعالية اكبر لكل من المدرسة والتليفزيون فى تشكيل شخصية المواطن الانسانى فاننا نوصى بان تنشط المدرسة (اى المؤسسة التعليمية بوجه عام) فى تلفزة مناهج التعليم وفق الأسس والتقنيات المعمول بها فى اوساط المؤسسة التليفزيونية ، وان يبدا التليفزيون فى منهجة برامجه وفق القواعد المعمول بها فى اوساط المؤسسة التعليمية .

سادسا : ان الاهتمام بتصحيح مسار كل من المدرسة والتليفزيون لا ينبغى ان يشغلنا عن بحث وتقصى بعض الجوانب التى اهملها او غفل عنها التقرير الذى عرضنا موجزاً له . ومن المجالات التى مازلنا نحتاج الى بحثها وتقصى ابعادها ما يلى :

● ان ادمان مشاهدة التليفزيون هو نوع من «السلبية» تنمو وترسخ فى نفوس المشاهدين مع مرور الوقت ، ونحن بحاجة الى الكشف عما إذا كانت هذه السلبية تمتد الى جوانب الحياة الاخرى لهؤلاء الأفراد الذين يشاهدون برامج التليفزيون بكثرة تصل الى درجة الادمان ، وما اذا كانت هذه السلبية تؤدى بهم فى النهاية الى الانسحاب او الهروب من واقع الحياة .

● ونحن بحاجة كذلك الى تحديد مدى تاثير مشاهدة التليفزيون على حواس الأطفال ، وبخاصة حاستي السمع والابصار ، وتاثير هذا – إن وجد – على النمو الصحيح لهؤلاء الأطفال .

● ونحن لا ندرى على وجه التحديد مدى الأثر الذى تتركه الشحنات الكهربية المتولدة عن تشغيل اجهزة التليفزيون فى صحة وسلامة الأفراد الذين يتجمعون حوله لمشاهدة برامجه ساعات طويلة من اليوم . لذلك فاننا بحاجة الى بحوث طويلة ومستفيضة تكشف لنا عن هذا الأثر وتقدم لنا المقترحات الضرورية المناسبة .

وفى النهاية ، ينبغى ان نعترف بان هذا التقرير سوف ينجح فى إثارة العديد من المناقشات والجدل حول محتواه والمغزى الذى يمكن ان نخرج به من فحص هذا المحتوى .

د. صلاح الدين جوهر

وكيل كلية التربية . جامعة قطر

كمال ناصر
في ذكراه العاشرة

بقلم : نبيل خالد الأغا

كيف استطيع أن أرمي بثقل التاريخ عن كتفي ؟
كمال ناصر

عند الساعات الأولى من فجر العاشر من ابريل « نيسان » عام ١٩٧٣ م تسللت عدة مجموعات من الارهابيين الصهاينة الى قلب مدينة بيروت ، ونفذت بعض عملياتها الاجرامية التى استهدفت حياة بعض كوادر الثورة الفلسطينية ، كانت ابرزها عملية « شارع الفردان » حيث يسكن ثلاثة من أقطاب المقاومة فى عمارة واحدة . محمد يوسف النجار ، كمال عدوان ، وكمال ناصر .

وقد نجح غلاة اليهود فى اغتيال القادة الثلاثة فى مخادعهم . ولكنهم خصوا المتحدث الرسمى باسم اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية كمال ناصر بعشر رصاصات اطلقوها على فمه فما هى ابعاد الحقد الأسود على كمال ؟ ولماذا حرص العدو على اغتياله ؟ « وهو الذى يعلم تمام العلم ان كمال ناصر لم يؤذ نملة فى حياته ، وان كل معاركه لم تعرف من السلاح سوى الكلمة المنثورة ، أو الكلمة الموزونة .

لقد كانت صورته على الشاشة التليفزيونية ترعب الصهاينة أكثر بكثير من صورة الفدائي الملثم ، ولما اغتالوه قيل انهم اغتالوا فيه صورة الطيبة والوسامة والحضارة التى بدأت تغزو أوساط الغرب ، وهذا هو أحكم ما قيل فى تفسير حرص العدو على اغتياله » .

فى غزة هاشم ولد كمال فى العاشر من ابريل « نيسان » عام ١٩٢٤ م ، وفى بيروت الصمود مات كمال فى العاشر من ابريل « نيسان » عام ١٩٧٣ م ، وما بين الميلاد والشهادة واحد وخمسون عاماً قضى بعضها تلميذاً فى مقر عائلته بقرية بئر زيت وشاباً فى الجامعة الامريكية ، وخريجاً من قسم العلوم السياسية ، ومعلماً بالقدس ، وصحفياً فى رام الله ، ونائباً فى مجلس النواب الاردنى ، وعضواً فعالاً فى احد أكبر الاحزاب العربية ، وموظفاً فى الكويت ، ونزيلاً فى باريس ، ومبعداً بالأمر العسكرى الصهيونى من الضفة الغربية ، وشاعراً ملهماً ، وفناناً ثورياً ، وعاشقاً أبدياً لأمته ووطنه ، ومعتقلاً فى أكثر من سجن عربى ، وناطقاً رسمياً باسم منظمة التحرير الفلسطينية ، ورئيساً للجنة الدائمة للاعلام العربى .. ومشرفاً على تاسيس اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، وأول رئيس تحرير لمجلة «فلسطين الثورة» المتحدثة باسم جميع فصائل المقاومة ، لقد .. كان كمال « ضميراً » حياً لأمته الحية . أقام فى دمشق سبعة أعوام ، شهد خلالها مولد أول تجربة وحدوية بين مصر وسوريا ، كان فرحه بميلادها لا يعلو عليه الا فرحه بتحرير وطنه . لنسمعه وهو يتغنى بالوحدة العربية الشاملة :

ما ضَرَّ لو نهضَتْ بغدادُ فى وَلَهٍ
وصافحت اختَها بيروتَ أو حَلَبَا
وأجمعت فى روابي النيل قائلة
من الميامين تُملي النصرَ والغَلَبَا
ما ضَرَّ هذا وصافي العرق يجمعنا
مُذْ كان تاريخنا أمّا لنا وأبَا
تلك الحدود التى شلت توثّبنا
للنور ، من صنع غدار بنا لعبا



كمال ناصر

وكل من يدعى فيها سيادته
يريد ان يسحق التاريخ والعربا

ولقد تفاعل الشاعر تفاعلا ايجابيا مع كافة قضايا امته العربية ، فجرد قلمه ، واستل كلمته مدافعا عن حقوقها ، ذائدا عن كرامتها وها هو يكتب الى المناضلة العربية الجزائرية « جميلة بوحريد » قائلا لها فى سجنها :

السجن والقيود يا جميله
حكاية فى دربنا طويله
حكاية يعزفها حمانا
منذ قديم العمر فى الطفوله
حواء يا شهية المعانى
والقلة الحالمة الكحيله
اى قلة مشت الى ذراك
فاشتعلت بالمجد والرجوله

واهتم كمال ناصر بالشعر اهتماما واضحا ، واعتبره « حاسة خاصة بالشعراء فقط يتفردون بها دون غيرهم من الناس .. حاسة سادسة فطرية فى الشاعر » وما دام الله سبحانه وتعالى قد انعم عليه بهذه الموهبة ، اذن فليوجها الوجهة الصحيحة التى تستحقها ، فركز اهتمامه على انتقاء المعانى الشعرية ، الخلاقة التى تكسب شعره نضارة وقيمة ، اكثر بكثير من اهتمامه بذوات النحور والقدود والعيون من بنات حواء :

يا شعر فيك أرَقْتُ ماء شبابى
لا فى الغرام بزينب وربابِ
حُسْنُ المعاني لا الغواني شغفنى
واحال فى العشرين لون خضابي

ولم يهتم كمال ـ كغيره من الشعراء ـ بقضية المراة كمراة ، بل اهتم بالدرجة الاولى والاخيرة بقضية وطنه المغتصب ، واعتبر ان العمر اقصر من أن يضيعه المرء فى قضايا العشق ، والزواج ، والانجاب ، فامضى كمال عمره زاهدا فى حواء ، متبتلا فى محراب الثورة والوطن ، فلم يرتبط بزوجة ، ولم ينجب طفلا ، ولكنه لا يفتا يمجد بنات شعبه وهن يقاومن المحتلين فى غزة قائلا :

قل للعذارى السبايا من حرائرنا
هل يعرف المجد اغلى من عذارانا ؟
ينهدن للجو يستمطرن ديمته
ويستحلن بدنيا الغيم عقبانا
خطرن للسجن فاهتزت زنازنه
ما اجمل الغضب المسجون سجانا

ويؤكد كمال مرارا بانه وهب عمره وشعره الى وطنه فيقول :

ويا وطني والجرح ينزو ملاحما
وحق دمي لولاك لم انظم الشعرا
فلست ارى إلاك قلبا احبه
ولا غاية اسمى ولا هدفا احرى
فاسمع صوت الغيب يهتف فى دمي
اذا شئت ان تحيا .. فعش دائما حرا

عاش الشاعر حرا كما اراد ، ولكن الحرية التى يريدها ويشتهيها سامقة فى مثاليتها ، ولا يمل ترادها فى شعره :

أردت ان اغير الدنا لتنبض النجوم فى مواكب السنا ..
أردت أن أُرَوِّضَ الفناء والبقاء والقدر
فى مهجتي الظماى وان اضاجع الخطر
أردت ان احول العجز المريض فى دمي الى شرر
وارتدى النجوم حلة ، واحمل القمر .

وها هو يتباهى باستشهاد القائد الفلسطيني البطل عبد القادر الحسيني فى معركة القسطل عام ١٩٤٨ ويشترك مع ابناء بيرزيت فى تابينه .. والاشادة ببطولته :

ايها الموت تِهْ علينا وفاخر
لم يطش سهمك اللئيم الغادر
انت لم تطوه جبانا ولكن
قد تهادى اليك نشوانَ ظافر
يا فلسطين لا تبالي فانا
قد روينا والخصم ظمآن صاغر
ما اغتصبنا المجد الاثيل ولكن
قد ورثناه كابرا عن كابر
لك ذكر كالزهر يبقى جنيا
فى جبين الخلود رَيّانَ عاطر

مفهوم واع للمسيحية

برغم ان كمال بطرس ناصر كان من اتباع عيسى بن مريم عليه السلام ، الا ان ذلك لم يمنعه من تمجيد ديننا الاسلامى الحنيف ، والاشادة بخاتم الأنبياء حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وتضمنت « آثاره الشعرية » عدة قصائد فى مدح رسولنا الثائر الاعظم . وفى حفل لليتيم اقامته الجامعة الامريكية ببيروت عام ١٩٤٤ ، القى « الطالب » كمال ناصر قصيدة قال فيها :

احمدُ ذلك اليتيم المفدى
رفع الحق فاستوى على نصابه
شع فى غابر الزمان نبيا
بهر الكائنات وَهْج شهابه
حمل المشعل الذى مزق الجهل
الى ذروة الهدى وهضابه

لقد كان كمال صادقا فى مسيحيته ، ولكنه لا يفهمها الا اذا ذابت فى مفهوم العروبة ، ومن هنا ندرك سبب براءته من الغرب المسيحي الذى تسبب فى ضياع فلسطين ، وتشريد شعبها :

لستَ مني يا غرب فاحمل صليبك
راعفاً بالدماء واتبع ربيبك
لست مني فانزع شعار صلاتي
حسبي العمر قد حملت ذنوبك

وبهذا المفهوم الواعي نراه يناشد نبى الله عيسى عليه السلام ان يثور ويغضب لاعتداء اسرائيل على القدس ، وقصفها كنيسة القيامة فى ليلة عيد الميلاد :

عيسى بن مريم قد عرفتك هادئا
فاغضب ولو فى ليلة الميلاد
واشهد ماسي الغرب ، كل جريمة
قامت هنا باسم المسيح الفادي
ان كنت منهم يا ابن مريم فلتعد
لربوعهم ، لا كنت فينا الهادي
اما المحبة فلتحول غضبة
هوجاء تذكي الحقد فى الاغماد
يا صائد الاسماك قد أَوْدَتْ بنا
بين الانام شريعةُ الصياد

كمال ناصر
في ذكراه العاشرة

... مع فدوى طوقان

خلال مسيرته النضالية الطويلة ، تعرض كمال ـ مثل الغالبية العظمى من المناضلين العرب ـ لكثير من هموم التشرد والاعتقال والمطاردة ، وفرضت عليه الظروف ذات مرة أن يختفي عن الانظار ، فاضطر إلى مراسلة بعض الصحف والمجلات باسم مستعار . وحدث أن قرأت له زميلته الشاعرة المبدعة فدوى طوقان بعض انتاجه الادبى ، ففطنت الى أسلوب كمال ، وكتبت له قصيدة « المغرد السجين » تقديراً له ، ووفاء منها تقول فيها :

شدوك ياتينا حبيب الصدى
محلقاً رغم انغلاق الرحاب
يا طائري السجين فاصدح لنا
من خلف جدران الدجى والعذاب
غن ، فقضبان الحديد التى
تسد ، فى وجهك رحب الفضاء
لن تحجب الغناء عن سمعنا
يا طائري غن فدرب الرجاء
ما زال يمتد مشع الضياء
رغم انطباق الليل من حولنا

فبعث الشاعر قصيدة « من الاعماق » الى صاحبة « المغرد السجين » قال فيها :

انا مثلما شئتني أن أكون
وشاءت لي الحادثات الصعاب
كَبِرْتُ على الذل لا ارتضيه
ولي موطىء خالد في السحاب
اعانق من رَبْوَتَيْه النجوم
واختال بين الذرى والقباب
أُطِلُّ على الكون أحيا النضال
وأبقي به العمر غض الاهاب
ومن ارضَعَتْهُ النجوم الدراري
سرى فى سماء العلى كالشهاب
سَفَحْتُ دمي فاستفاقت جراحي
تُلَوِّنُ صدر الذرى بالخضاب
وأحببت داري ، فَلَذَّ لقلبي
بلوغ المنى ، واقتحام العباب
اتوب ، معاذ العلى اي يوم
مضى شاعر للمعالي ، وتاب

نماذج من نثره

تحرص اسرائيل بين الفينة والأخرى على تاكيد عداوتها الأبدية للكلمة الصادقة الأمينة ، من أجل ذلك استهدفت اغتيال الكلمة الثورية الشريفة ، يوم افرغت رصاصات حقدها فى صدور طائفة من فرسان الكلمةالفلسطينية الحرة من امثال الشهداء : غسان كنفاني ، كمال ناصر ، راشد حسين ، ماجد ابو شرار وغيرهم .

ومثلما أبدع كمال ناصر فى كلمته الموزونه ، كذلك أبدع فى كلمته المنثورة ، لنقرأه وهو يكتب افتتاحية « فلسطين الثورة » الى الكتاب والصحفيين الفلسطينيين :

« لما كانت الهجمة الصهيونية والامبريالية على الأمة العربية غزوة مدنية مشوهة ، تستهدف قهر هذه الأمة بتراثها الانسانى والروحى والكفاحى ، وكذلك تستهدف فرض السيطرة الرأسمالية والفاشية والامبريالية عليها ، فان الكتاب والصحفيين يتحملون فى مواجهة هذه الهجمة مسئولية خاصة ، لأنه لا يمكن الرد على التفوق العلمى والتنظيمى للحركة الصهيونية إلا بالمحافظة على القدرات الأصيلة للثورة العربية ـ وأبرزها القدرات الانسانية ، والاجتماعية ، والروحية ـ وإغنائها بالتقدم والعلم والتنظيم والتحديث .

فالعقل العربى ، والوجدان العربى والضمير العربى مستهدف بالغزوة المدنية المشوهة قبل وبعد أن استهدفت الأرض العربية ، وأنه لمن أولى واجبات العقل والوجدان والضمير العربى الذى يستمد القلم منها نبضه أن يتصدى لهذه الهجمة ، وأن يجند فى التصدى لها كل الجماهير العربية .

فدوى طوقان



غادة السمان



والأخوَّة بين القلم الثورى والبندقية المقاتلة بالالتحام الذاتى . والممارسة وحدها القادرة على استرجاع هيبة الحرف والكلمة ، لتصبح الكلمة بحجم الرصاصة ، والرصاصة بتأثير ومفعول الكلمة ، بحيث لا يعود الانسان العربى يقول ما سيفعل حتى يستطيع أن يفعل ما يقول» .

.. مع غادة السمان

لم يقتصر العطاء الأدبى لكمال ناصر على افتتاحيات مجلة «فلسطين الثورة» ، بل ان الكثير من رسائله الخطية الى زملائه وزميلاته أشبه ما تكون بالسجلات التاريخية والقومية .

وكانت تربطه بالأديبة البارعة «غادة السمان» علائق صداقة ومودة ، وقد شعرت باحساسها الأدبى المرهف ، من خلال تبادل الرسائل بينهما ـ أن رسائل كمال ذات قيمة واضحة ، فاستأذنته فى نشر بعض مقاطع من رسائله اليها فى المجلة التى كانت تعمل بها . لكن الفكرة لم ترق لكمال ، وها هو يرد عليها ساخراً : «تسالين إن كان باستطاعتك أن تنشرى بعض ما أكتبه لك من أحاسيس عامة ، وأنا أقول بأننى لم أدرك وأنا أفيض لك أن هناك ثمة ما يستحق أن ينشر أو يذاع .. بقع الدم التى تلطخ بعض أحرفى بين الفينة والفينة أبقيها جسراً يعبر عليه من أحبهم من أصدقائى بين الحين والحين . وان كنت تصرين على اطرائى ، فاحتفظى برسائلى هذه فقد أصبح مشهوراً يوماً ما مثل فريد الأطرش فتبيعين رسائلى لمصلحة جمعية خيرية ، كما فعلوا بمذكرات شكوكو عام ١٩٦٣» .

وكانت غادة قد تلقت فى بداية عام ١٩٦٨ م رسالة من كمال بعثها اليها من الأردن قال فيها : «يسعدنى أن تكتبى لي ، لعلك نافذتى الوحيدة على الخارج ، لقد بدأت أنساه ذلك الخارج ، الضجيج الذى ياتى من هناك يلتقى بالذى هنا .. فلا يحدث أى تغيير ، وماتزال الدوامة الوحشية تلف،وتلف ، وتلف .

اكتب لك من مقرى الجديد ـ جناح فراس ـ ، وفراس هو طيار أردنى نتل فى المعركة ، وشقيقه ضابط كبير سابق وهو صديقى ، وقد بنى باسمه منزلا وشققا للسكن ، واعطاه اسم شقيقه الشهيد ،

وبالرغم من جمال المكان إلا انه ماساوى بحكم التسمية ، وصوره المعلقة والتى تطاردنى دوما ، وتذكرنى بالماساة ، وكاننى بحاجة الى من يذكرنى بها !

حرارتى مرتفعة ـ اصابتنى نزلة (أفرو ـ اسيوية) ، كانما لا يكفينا نزلات الغرب والشرق لتتامر علينا حتى دول الحياد» .

تكريم

كان كمال على علاقة حب مع الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، وحدث أن التقى به فى القاهرة بعد انفصال الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٦١ ، فساله كمال بخفة ظل قل لي يا ريس .. هل أنت ستالين أم السيد المسيح ؟!

وروى كمـــال أن جمـالا رد عليه وهـو يضحك :

لا هذا ولا ذاك .. أنا جمال عبد الناصر حسين .

وكان الزعيم العربى قد منح كمالا وسام الجمهورية من الطبقة الثانية ، حينما كان نائباً بمجلس النواب بالمملكة الأردنية الهاشمية «تقديراً لجميل صفائح ، وتوثيقاً لعرى الصداقة ، وتوكيداً لروابط الوداد» وذلك فى اليوم السابع عشر من شهر جمادى الآخرة لسنة ألف وثلاثمائة وست وسبعين من هجرة خاتم المرسلين .

وبعد استشهاد كمال أرسلت «جمعية خريجى الجامعات العربية الامريكية» شهادة تقدير الى عائلته فى بير زيت ، معتبرة شعره «تجسيداً للمثل العليا والقيم الانسانية ، وخدمة للأدب وللانسان أينما كان» .

كما منح بعد استشهاده أيضاً «جائزة اللوتس التقديرية» والتى منحت أيضاً الى ثلاثة من أدباء فلسطين : غسان كنفانى ، محمـــود درويش . عبد الكريم الكـرمى (ابو سلمى) .

نشـــوة الألم

... هذه سطور عابرة من حياة كمال ناصر ... الانسان ..

ولا نملك الا التاكيد على احدى مقولاته الصادقة حينما قال : « اما القيادات فتتغير واما الأشخاص فسيزولون ، وتبقى القضية أكبر من كل القيادات والأشخاص ، ولابد أن يذوب الجزء فى الكل ، وان يذوب الكل فى الثورة ، قبل ان تُسْقِطَ الثورة كل الأجزاء التى لا تستحق الحياة » .

ولا نملك ايضا إلا أن نردد معه نشـيده المرسل عبر احدى رسائله الى الشهيد العربى وكانه يكتب نعيه بيده :

من سار فى درب العلا
لابد أن يموت ..
فى موكب الاباء والشمم
لاننا فى موتنا نستلهم الحياة
نحقق الحياة
ونخلق الحياة فى العدم
ضريبة الوجود ان نُعَمِّد الوجود
وأن نعمِّد الوجود بنشوة الالم

... فسلام على كمال ، وسلام على كل من قضى نحبه فى سبيل الحق .. والعدل .. والسلام.

نبيل خالد الأغـا

إضـــاءات

● « انى اشهد كانسان عاصر كل مراحل النضال من أجل الوحدة الوطنيـــة الفلسطينية أن كمال ناصر كان متحيزاً للثورة الفلسطينية نشيده الكبير ، وتنظيمه الكبير ، وعندما كنت أثور عليه واتساءل مشفقاً : الم تتعب من هذا الدور يا « ضمير » ؟ كانت اجابته الدائمة : « انا لست على هذه الساحة النضالية بالصدفة فانتم لا تعرفون قيمة ثورتكم كما اعرفها انا بحسي الناري ، انى ارى ان قضية الوحدة هى قضية عمرى وساناضل من اجلها ، وستنتصر ارادة الوحدة ـ ان شاء الله ـ رغم كل المعوقين والحاقدين ... » .

صلاح خلف (ابو اياد)

● كمال ناصر عندي خريطة ناطقة اقرا عليها صور فلسطين ، وشعره قريب مني وقريبي ، فمواضيعه من اهلي ، ومسارحه من حاراتي ، وعندما يغني قصائده يهز الدنيا ، ويسرق العبارات من عيني » .

ناصر الدين النشاشيبي

● « كانت الوحدة العربية همه الأكبر ، وقضيته التى لا تعلو عليها قضية الاقضية وطنه المغتصب لذلك كانت فجيعتـــه بالانفصال بين اقليمى الجمهورية العربية المتحدة أكبر من أن توصف لذلك كانت جرحاً لا أظنه اندمل على الاطلاق ، لقد مد جسمه وروحه أكثر من مرة جسراً بين الفريقين فلم ينجح وتعذب العذاب الأكبر ، فاذان الانفصال والانفصاليين » .

شفيق الحوت

● « بمصرع كمال ناصر ـ بعد غسان كنفاني ـ تسقط نهائياً تلك النظـــرية الخاطئة التى كانت من ردود فعلنا بعـــد هزيمة ٥ حزيران عام ١٩٦٧ ، والتى دفعت بنا الى احتقار حملة القلم ، والمطالبة بكسر القلم وحمل البندقية .. فالواقع أن المفكر والأديب هو بوصلة الثورة ، والمقاتلون هم مدفعها .. والثورة بحاجة الى بوصلة والى مدفع فى آن واحد .. الاديب قد لا يعرف كيف يحشو مسدساً ، لكنه يحشو نفوس الشبيبة بالروح الثورية ، ويعمق وعيهم بمدلول كفاحهم واهدافهم » .

غادة السمان

المراجـــع

١ ـ كمال ناصر ـ الآثار الشعرية لجنة تخليد تراث كمال ناصر ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٧٤ .

٢ ـ كمال ناصر ـ الآثار الأدبية ـ لجنة تخليد تراث كمال ناصر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٤ .

٣ ـ كمال ناصر بقلم مجموعة من اصدقائه ـ منشورات دار الناصر ـ بيروت

٤ ـ كمال ناصر : الشاعر والأديب ـ سهيل سليمان ـ دار الناصر للطباعة والنشر بيروت .

٥ ـ شؤون فلسطينية . العدد ٢١ مايو ١٩٧٣ .

٦ ـ الشهيد الحي عبد القادر الحسيني ـ نبيل خالد الأغا ـ المؤسسة العربيـــة للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٠ م

٧ ـ مجموعة اعداد متفرقة من مجـــلة « فلسطين الثورة » .



حوار مع كاتب سعودي

عبدالله الجفري عندما يحدثنا:

أجرى الحوار: صديق شايقي

لقاؤنا مع كاتب يوقد النميمة فى القاريء ويفتح قضايا ذات رموز وخطوط متشابكة لتفتح زوايا التاريخ الاسلامي والثقافة العربية فى وعي يتنامى ويتجمع لأجل كلمة موحدة ، ليكتب الكلمة واضحة فى أدواته ، لئلا يتقلص بين الايام ... نجده يتداخل بين النص الخاطري القصصي ، والنص الصحفي الذي يصل حد إشعال الهموم الصغيرة للعثور على بوصلة توازن .

والأستاذ الجفري رغم أعبائه الكثيرة ما كف يوماً عن الكتابة فى الذاكرة أو القرطاس. وتحس بانه يمتلك برأسه خلية محتدمة من الصور والألفاظ والمعاني التى تتوالى كل نبضة، بدءاً بتفاصيل اليوم الصغيرة ، وانتهاءً بالسؤال الكوني المرعب ، وأحداث الحياة المدمرة .

وفي لقائنا هذا نريد أن نستريح لحظة على جسر من العبور إليه فنفتح به ثقباً في خليته تلك ، ليتسرب منها ضوء إضافي فى حوار يكون له صداه ونبض يتفقدنا حرفاً حرفاً ، وقفص نتهمه فيه حتى التوقد ، لنبث الفتنة الأدبية لحد الابداع ، أو التغطية .

● هل تعتبر الحيرة نقطة انطلاقة تمثل تعبيراً عن الرغبة فى البحث والتجريب من أجل التجاوز والتمييز ؟

ـ عندما قال «ديكارت» : أنا أفكر .. إذن أنا موجود ، كان يعنى بالتفكير : الأسئلة ، والرغبة والبحث ، واستخلاص التجريب .

وفى رأيى أن «الحيرة» هى النقطة الأولى ، والحرف الأول فى كل فكرة تولد بعد ذلك .. أو هى انطلاق المخاض فى التفكير وله ..

فالحيرة ـ بلاشك ـ هى نقطة انطلاقة ، تمثل تعبيراً عن : الرغبة فى البحث والتجريب .. أى تعبيراً عن مولد فكرة ، أو عن صلاحية التفكير للعطاء ، وللاكتشاف . فالحيرة تبدو وكأنها قد تحولت هى : رؤية العصر الحديث .. فكلما اتسعت نظراتنا وتكاثفت المرئيات والماديات .. عجزنا عن حصر المحسوسات أو إثباتها .. هذه هى الحيرة البالغة .

● ما تكتبه من قصص وعمود صحفى ـ هل ترى أن ذلك استطاع أن يذيب الحدود التى بين النص الصحفى والنص القصصى ـ لقارئك

ـ الفن الصحافى يقوم على «القصة» .. فالخبر : قصة ، والاستطلاع قصة .

والفن القصصى يقوم على «التصوير» بالكلمة .. والتصوير من فنون الصحافة وشواهدها أو وثائقها . لكن الفرق الذى يعكس الملامح والتكنيك .. يتضح فى «الأسلوب» وفى العرض ، وفى العبارة المكتوبة .. فلابد أن يكون هناك ملامح للأسلوب الصحافى الذى يعتمد على السرد

● انني ابن هذا الزمان بكل ما اختزن من أحـــلام .

● ألا تود أن تسألني عن الطفـولة المعوقة ؟

● قالت «سارة برنار» لـ « فيكتور هوجـــو » :
– إنك تفقـد ذاكرتك كلما رأيتني .. لذلك أحبـك .

● الظمأ .. عندما تمشي الأرض للقهـــــر ، والفراق للحب ، والكذب للصدق .

● الأديب «حَجْـمُ» انسانيته .. وكيْـف نفســه .. وكَـمّ تحدياتـه .

بالحقائق وبالخبر.. وللأسلوب القصصى الذى يتميز بالصناعة اللفظية ، وبالموهبة فى التصوير والتعبير ، وبالخيال الممزوج بملامح الشرائح الاجتماعية .

لكنى أعترف لك أن الأسلوب الصحافى : سارق .. يسرق الأديب من فرصة أن يكون مبدعاً ، لأن العمل الصحافى فى طبيعته يعتمد على السرعة والسبق والركض ، وبلاشك لقد أثرت «المهنة» على عطائى الأدبى بحكم السنوات الطويلة التى أكلتنى فيها مهنة الصحافة .

رغم ذلك .. فلقد حرصت أن اضفى على الكتابة الصحافية الأسلوب الأدبى !!

ولعلك تجد نماذج حديثة معاصرة لبعض كتاب القصة ، والقصة الطويلة مثل احسان عبد القدوس حينما كتب قصصه بالأسلوب الصحافى ، ومثل مصطفى أمين ، وأمين يوسف غراب . وغيرهم .

● هل كل صحفى بامكانه أن يكون أديباً .. وبالعكس ؟

– أعتقد العكس ..

يستطيع الأديب أن يكون صحافياً ، ولكنه لابد أن يخسر جانباً من الملامح الأدبية الفنية فى أسلوبه ، لكن الصحافى لا يتحول أديباً .. لأن البناء الذى قام عليه كيان الصحافى فيه لا يحتمل ذلك .

● هل ساهمت الصحافة فى كشف جديد للأدب فى الأسلوب أو اللغة بدور واعد فى ساحة الأدب العربى ؟

– الصحافة هى الوسيلة دائماً . وهى المنبر خصوصاً لدينا فى العالم العربى ، والى وقت قريب .. حيث لم تتوفر المنتديات الأدبية ، والمهرجانات أو جوائز الدولة .. فالصحافة كانت لها مساهمة عظيمة فى



إحسان عبد القدوس



مصطفى امين

هذا المجال .. بل لقد ابرزت العديد من الأدباء و «لمعتهم» .

لكن الكشف للأدب كفكرة ، وكدراسة ، وكعمل أدبى أو فكرى .. فلا أعتقد أن هذا دورها ، وأيضاً لم تفعل ذلك بالقدر المطلوب كخدمة للفكر أو للأدب .

بالعكس .. أعتقد أن الصحافة شوهت اللغة ، وتجنت على «قواعدها» وذلك ما تلاحظه بفزع شديد من أخطاء نحوية ولغوية فى العناوين الكبيرة «المانشيتات» وانني هنا أحمل الجامعات والنوادى الأدبية مسئولية هذا الاهدار للغة .

بالاضافة الى أن التفاخر بلغة أجنبية قد انعكس تأثيره كذلك .. وتجد أن هنالك شباباً من الخريجين المؤهلين الحاصلين على الدكتوراه .. ويكتب فى الصحافة وتكتشف العديد من الأخطاء النحوية .. والعديد – فى مقابلها – من المصطلحات المكتوبة بالانجليزية ، وهى لكلمات يعجز الباحث أو الكاتب عن ترجمتها الى العربية !

وهذا هو الخطر القادم والجسيم والمهول

● الظمأ – ظلال – حوار وصدى –

نبض : كلمات نحسها كالمدن التى تنتظر الأحداث أو الشخوص التى تريد الكشف عن وجودها فى ضرام الحياة .. الى أى مدى تحتفظ ذاكرتك لهذه الكلمات بدلالات جديدة ؟

– الظمأ : عندما تمشى الأرض الى القهر ، ويمشى الفراق الى الحب ، ويمشى الكذب الى الصدق ، وتمشى النجمة الى السحاب!

– ظلال : شمعة أوقدها كل صباح .. كانها «فتيلة» استعرتها من مصباح «ديوجين» .. فاذا انطفأت الحقيقة .. انطفأت «ظلال» التى أكتبها كلمة !

– حوار وصدى : لكل حوار صدى .. وعندما يفقد الحوار صداه .. يتحول الى عي وبكم .. ولا يقدر الانسان أن يحادث نفسه وقتاً طويلا .. إلا فى حالة الجنون ، وهكذا تكتشف أن الكثير من حواراتنا اليوم قد فقدت أصداءها !

– نبض : نبضى أحالنى الى خفقة تذوب وتكبر .. وأثخننى الشوق لهفة وانكساراً .. فتحول نبضى الى ذلك الشوق الذى يطلع فى اللهفة ، ويندق فى انكساراتنا المتلاحقة .

● تقول الأديبة اللبنانية هادية سعيد : إن الطفولة تظل دائماً نبع التعريف الأول للانتماء للوطن . أين الجفرى الأديب من هذه المقولة ؟

– الطفولة هى البراءة العفوية والصدق والتالق .. فهل تسالنى عن الوطن العربى كنبع لهذا التعريف .. أم تراك تسالنى عن الوطن الداخلى فى الانسان ؟!

أما ان كانت اشارتك طبولا وصهيل خيل .. فنحن نتوق الى أعراف خيولنا .. لا الى

عبدالله الجفري عندما يحدثنا:

تعريف طفولة الوطن .. فالوطن العربى قد شاخ بالهول وفيه ، وهو لما يزل فارساً !

أما عن الوطن الداخلى فى الانسان .. فاننى أود أن «أذاكر» معك عبارة قالها من قديم الشاعر الانجليزى «وليام بليك» .. قالها بشعور ينبع من داخله وطن ظمآن :

«اننى أرى العالم كله فى حبة الرمل ، والسماء فى الوردة البرية ، وأمسك باللانهائية فى قبضة يدى ، وبالخلود فى ساعتى الزمنية» !

ترى .. ألا تود أن تسألنى عن الطفولة المعوقة فى مجتمع الانسان ؟!

● بعض الأديبات العربيات حملن قضية الصراع بين الرجل والمرأة فى حالة حرب يبحثن فيها عن الحرية او المساواة كما يحلو لهن . كيف تزن هذه المعادلة : «العالم رجل» ؟

ـ المعادلة .. أم «المهادنة» .. أم التكامل ؟!

المرأة أذكى ، والرجل أقوى .. وإذن ، فـ «العالم رجل» .. لأن الذكاء مهما بلغ عند الأنثى .. فان الانثى تهرع الى الحماية ، فالقوة هى الحماية ، والذكاء هو الجمال !

وقد كتبت مرة عن «سارة برنار» وأوردت ما قيل عن الأرجنتينيين الذين كانوا يصنعون لها بساطاً من مناديلهم الموشاة المطرزة فى بيونس ايرس ، لكنها كانت تهرب ، وتهرع الى فيكتور هيجو ، وتقول له : الناس يصفقون لي وأنت كاتب المسرحيات التى أمثلها ، لكنك لم تقل لي مرة : أحبك يا سارة ! .. لا تقاطعنى . فانت تعرف أديب فرنسا «بيرلوى» .. لقد كتب إلي يقول : اننى مجنون ، لم أعد أدرك ما أفعل .. اننى أبكى وأرتجف لأننى أحبك ! ولكن .. كان من الأجمل والأمتع أن أحبه أيضاً ، لكنه كان ضعيفاً وكنت ذكية .. كان صاحب ذاكرة فظيعة والذاكرة الحادة فى العاطفة ضعف .. يا إلهى .. لو فقد ذاكرته كنت أحببته ، أما أنت فأشعر أنك تفقد ذاكرتك معى كلما رأيتنى .. لذلك أحبك !

ولهذه الحكاية ، وفيها دلالات .. أن أردتها للمعادلة ، أو ان أردتها للمهادنة ، أم إن بلغت بها الى التكامل !

● الأديب يحمل تاريخه الذى دوماً يستحيل عليه العثور على خلاص منه أو له . الى أى اتجاهات الخلاص هذه .. يتجه الجفرى ؟

ـ اللسان لسانى .. والمسافة ملكنا جميعاً !

لقد قيل «ان الأديب حجم انسانيته» .. وأيضاً هو «كيف» نفسه ، وهو «كم» تحدياته ! إن العالم اليوم : ثقافى ، وحضارى ، ومتمدين وسفاح ومبدد ..

باختصار .. مازلت أردد تلك العبارة التى قرأتها عليك من بين سطور مقال يتجدد فى ندائه .. قال كاتبها : لابد من اختطاف بحر الأمية الى مرفأ الأدب . لابد من اختطاف زبائن الكلمات المتقاطعة وبختك هذا الأسبوع ، وزبائن «النكتة» ونوادر ـأيـ جحا يتكرر فى شكل «كتاب» يدعون الفائدة ، فلا نجد عندهم الشعور بامتاعنا !

لابد أن ندع عقولنا تمارس الألعاب السويدية ..

لابد أن نفرج عن خفقاتنا التى اعتقلناها مع الحرية !

● من خلال لقاء تليفزيون المملكة بالروائى العربى العالمى الطيب صالح ـ فى إحدى اجاباته ترجم الكتابة بانها لعنة تصطاد مناطق العتمة فى نفس الكاتب لتضيء بها دراسة لحالة ، أو صراخاً لنيل الحرية ـ

ما رأيك فى هذا القول ؟

ـ مناطق العتمة ؟!

هل تريد أن تحدثنى عن تحديات القوى الكبرى فى داخل شراييننا ؟!

أم تراك تود أن تهرب بى ـ وبالقارىء ـ الى الخيال ؟!

إن أخطر عتمة ، وأشقى عتمة يعيشها العالم اليوم فى كثافة هذه «الاضاءة» الحضارية .. فماذا تفيدنا التكنلوجيا اذا كان فى العالم شق يسمى : الأرض المحتلة. والمجاعة ، والابادة ، والقهر ، وامتهان الانسان ؟!

قد تكون الكتابة (لعنة) اذا عجزت عن التنفس الطبيعى ، أو اذا تحولت الى مجرد صراخ وبصاق ومخاط وصديد ونزيف وتقيح . لعلنا أصبحنا نكتب ذلك كله .. لأن الفكر العربى ، والأدب العربى والحوار بالكلمة العربية .. قد خضعوا جميعاً لكل العاهات التى تسللت الى الوجدان العربى والى النفسية العربية ، والى الفعل ورد الفعل العربى !!

إن «جاك بيرك» قال من سنوات : (ضياع الانسان بين ماض لا مصير له وبين مستقبل لا ماضى له) عبارة قالها .. لتهز رأس الانسان بعد أن عجز الانسان عن هز رأسه ، فلابد أن يدير الانسان العربي رأسه بحثاً عن الشمس الحقيقية ، بينما يعيش في شمس (معلبة) وأن يدير رأسه بحثاً عن الارادة وقاعدة الوقوف .. بعد أن تحول وقوفنا إلى مواقف « أوتوستوب » تجول فيها القوى العظمى .

● ماذا يمثل : «البحر» ، «القلق» ، «المرأة» فى حياة الجفرى ؟

ـ البحر : كان فيه نجاة الانسان ، وكانت منه حياة الانسان ، ثم تعامل أناس آخرون بأن جعلوا الأبحار يفتح الطريق لاستغوال الاستعمار .. وتعامل آخرون بأن جعلهم الابحار غرباء الانسانية .. أولئك الذين سرقت منهم بطاقات هوياتهم .

البحر : (رحتوا من الليل .. صار الليل ليلين) .. انه ياخذ ولا يعيد .. ولكنه يبقى هو البعد الجميل الخلاب الآسر .. وحي الشعراء ، واستطراد الخيال ، ورجع الصدى مع كل موجة بيضاء !

ـ القلق : اللمعة البعيدة تحت قرص الشمس .. إنه السراب الذى يعصف بالعطشان ولا يرويه !

ـ المرأة فى حياتى :

توقفت ذات يوم عند سطور من رواية كتبها «شارلز جارفس» .. بطلها شاب رفيع المكانة ، عاشق للرسم ، وكان مثل كل فنان يفتش عن الملامح التى تلهمه تلك «اللوحة» الخالدة التى تصبغ حياته كلها بالوانها .. حتى وجدها ، فقال تلك العبارة ضمن حوار البطل :

«تعالى .. لا أستطيع الانتظار .. إن كل شيء يتوقف بعدك» !

إنها الانثى التى تمنح الحنان ، وتسكب الاستطاعة قدرة على التجدد والتفوق ، وتحقق للرجل شعوره بالتكامل مع شطره الآخر الذى يغنيه من الداخل .

إنها التربة الخصبة التى تضم جذور الرجل ، فينطلق ظليلا ، فيئا ، ثمراً !

إنها نسيج « المودة » الذي يغلف جنون الرجل ، فيحفظه لمدة أطول ... أو يقتله فى لحظة أقصر ! .

إنها الحياة حينما تبدأ .. والموت حينما تنتهي !



سارة برنار



فيكتور هوجو

● عبد الله الجفرى يحمل لغيره الشكل والمضمون لقضية الانسان المعاصر من خلال همومه الادبية . والكثيرون من قرائه يقولون إنه يغرق كثيراً فى كثافة وشاعرية الالفاظ حتى يرهق القارىء فى إيجاد القضية .. ماذا تقول فى هذا الاتهام؟

ـ شاعرية الالفاظ :

ألست معى بان هذه الشاعرية تكاد ان تتحول الى عطش ؟!

أما انها تهمة ـ كما تقول ـ فاجيب بعبارة سعد زغلول : شرف لا ادعيه ، وتهمة لا ادفعها !

وايضاً .. لعل هذه العبارة الاخرى لسعد زغلول او لمحمود فوزى ـ لم اعد أذكر ـ ولكنها تقول : (أرجوكم .. أعذرونى .. للاطناب ، فليس عندى وقت للايجاز) .. ذلك أن الايجاز يستغرق وقتاً أطول من الكاتب ..

أيضاً .. فان العبارة الشاعرة ، أو اللفظ الشاعر .. هو الأصعب فى الكتابة ، لكنه الأعمق الملتحم بالنفس ، ولقد استغرقنى هذا الأعمق والامتع .. صرت اولد فيه وانبجس واغتسل واضيء !

أكاد أنفى تلك العبارة عن الايجاز والأطناب .. فكل الأشياء نوجزها إلا الكلام .. أصبح هو ثرثرتنا وهمومنا وانفاسنا وتنفيسنا، ولكنه لم يعد فى كثير منه هو عمقنا ومشاعرنا وغناؤنا !

الكلمة غناء ، وشدو .. لانها الصدق ، والحق ، واليقين ، والمنطق ..

ونحن فى هذا العصر الطباشيرى ، الآخذ ، المنطلق ، المتوتر .. نحتاج الى تجسيد قضايانا المرهقة والمؤلمة والغارقة فى كثافة احزاننا .. نجسدها فى شكل يبعد بها القارىء عن مرهقاته .

وعندما اتشبث بهذا اللون من شكل الكلمة ورداء التعبير والوانه .. فلاننى كاتب اقف داخل المساحات بتفاؤل ، واركض فى المسافات نحو هدف يستشرف الانسان .. والانسان فى حقيقته هو وجدان !

إن حركتى انسانية قبل كل شيء .. والحركة حياة .

إننى مفتون بسلوك الخيل .. والخيل ـ عندما نتامل حركته ورقصاته ـ تجده صاحب أداء شاعرى .. تماماً كاللفظة الشاعرة ، أو العبارة الشاعرة .

إن لغتنا العربية .. من أسمائها : اللغة الشاعرة !

إننى أحفل بان يتبلور التعبير عندى الى اعتبار .. ولو سكبت العبرات !

إننى أشجب (الرفض الماورائى) .. وأكثر عباراتنا المباشرة اليوم ، والخالية من الحس الشاعرى هى ذلك الرفض الماورائى .. ومع ذلك اضطر احياناً أن افلسف لحظة الاصطدام أو الدخول فى صلب الاشياء والهموم والأوجاع والأمانى والاحلام للانسان !

● الى أى حد يحتدم القارىء والناقد فى خلايا الاشتعال عند عبد الله الجفرى ؟

ـ لست ناقداً .. بقدر ما أحرص ـ عندما أكون قارئاً ـ أن أكون متذوقاً ، منتبهاً ، منسجماً ، متاملا ..

لم يتبق لدينا من فرسان النقد بعد الأوائل والرواد .. إلا نفر قليل . اقرأ احياناً فى هذه الأيام للناقد «علي الراعي» فى المصور .. لعله امتداد للفرسان الكبار

اقرأ للصديق «رجاء النقاش» .. وهو ما تبقى ، أو هو الاطلالة الجديدة الزاهية .. انه (موسيقار) النقد الجديد .. موضوعى ، ومشاكس ، وفعال فى تعقيباته .. ليس دعياً وإنما هو يتداعى حتى يأخذنا الى صلب الحقيقة ، ومجال الرؤية الشاملة .

أما «خلايا الاشتعال» التى تتكون مما نقرأ .. فلا اظنها فى وقتنا الحاضر لا تبلغ بنا حد الاحتدام .. لاننا ننصهر قسراً فى ذلك الاحتدام .. بحكم المعاناة والتوق والانتباه !

لكن الخطر الحقيقى .. هو أن يتحول كل «الكتاب» الى نقاد .. حينئذ سنفقد حتى احتدام المعاناة !

● لديك مشروع كتاب جديد .. هل تعتقد أنه يتحدى الوان اكتشافات جديدة ومرحلة جديدة تغنى القارىء فى زمن المفاجاة والتمرد ؟

ـ كتابى الجديد .. عنوانه : حوار فى الحزن الدافىء .

إنه لا يتحدى ، ولكنه يقتحم التمرد .. بحثاً عن حضارة الادراك ، وعن بشارة العقل ، وعن رؤية اليقين .. دخولا الى اوجاع واحزان الانسان .. فهو بمضمونه يمثل الدخول الى الأشياء والمصادمة من اجل الاكتشاف بواسطة الحوار .. فلا يدع انهزامية العصر أو الظروف تدجنه ثم تستارضه !

● الأستاذ عبد الله الجفرى .. من أنت .. ومن أين .. وما هى طبيعة أحلامك ؟

ـ إننى أجيء من خارج الزمان لاقتحمه واتفاعل فيه ، وانصهر واحترق واغتسل ، واحاول أن أضيء !

إننى ابن هذا الزمان .. بكل ما اختزن من احلام !

إن أحلامى هى دم يجرى مجنوناً .. وهى ضعف انسان مغرور بلحظات الفرح !

إن أحلامى هى وطن فى الانسان ، وانسان للوطن .

إن أحلامى هى جياد تواصل الركض ، واجتياز الحواجز .. وإلا شاخت وهرمت .

إن أحلامى .. هى حب لا يفكر ، وفكر يشعل الأحلام فيحيلها الى عمر !

صديق شايقى ـ جدة

عبد الله الجفرى
فى سطور

ولد بمكة المكرمة عام ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩م أكمل دراسته الثانوية «القسم الادبى» ـ عمل سكرتيراً للتحرير فى «صحيفة البلاد» «عكاظ» ، « المدينة المنورة » ، ثم مديراً للتحرير ومسئولا عن تحرير « عكاظ » بالمملكة العربية السعودية . صدرت له «حياة جائعة» ١٣٨٢ هـ ـ «الجدار الآخر» ١٣٩٠ هـ ـ «لحظات» ١٣٩٤ هـ ـ «الظما» ١٤٠٠ هـ ، وتحت الطبع «حوار فى الحزن الدافىء» .

أساطير من سيناء

مقعد العجيبين

بقلم : درويش مصطفى الفار

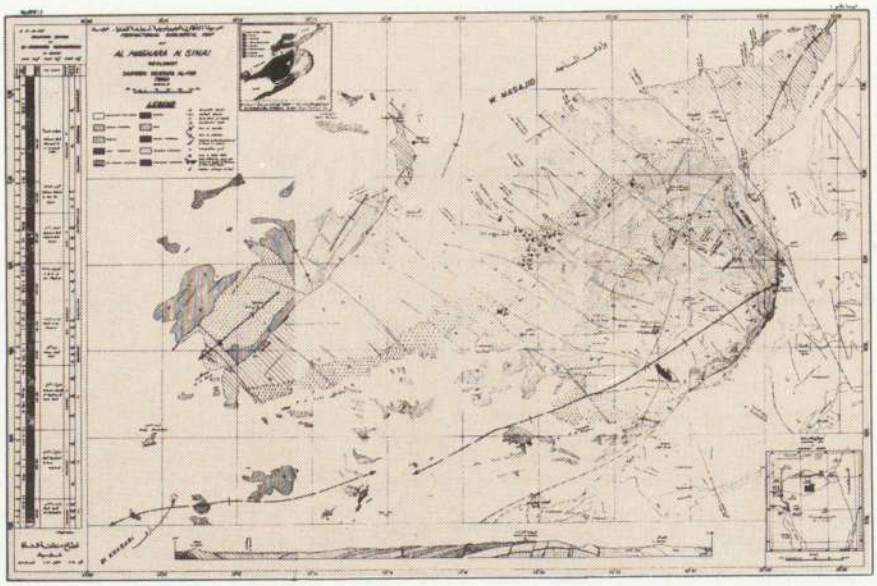
كان صديقى البدوى سويلم بن صبيح ابو نيفة ، رحمه الله ، رجلا اميا لا يقرأ ولا يكتب ، شان ابناء جيله فى طول سيناء وعرضها ، ولكنه كان صافى الذهن ذكيا لماحا ، دقيق الملاحظة ، سريع الفهم ، فقررت أن يشاركنى الراى ، بعد أن وجدت ان كل ما كتبه من سبقنى من الباحثين منذ اكتشاف طبقات العصر الطباشيرى الأدنى وطبقات العصر الجوراسى ، فى منطقة المغارة بشمال سيناء سنة ١٩١٢ م من الكتب والنشرات والرسائل الجامعية وتقارير شركات البترول المتعاقبة كان خلوا من كل ما يتعلق به الأمل فى العثور على رواسب للفحم الحجرى فى تلك المنطقة من قريب أو بعيد ، على الرغم من ان أعمال الحفر عن البترول أثبتت وجود الفحم فى طبقات العصر الجورى ، على أعماق بعيدة عن سطح الأرض فى الصحراء الغربية المصرية ، وفى منطقة عيون موسى الى الشرق من رأس خليج السويس .. وكان استاذى الدكتور رياض حجازى ، رحمه الله لا يكل ولا يمل ، فى رسائله الى ، يغمرنى بالأمل فى تحقيق أحلام ونظريات أستاذنا المرحوم محمد محمد ابراهيم من انه لابد وان يوجد بمصر فحم حجرى ... فخصصت فى معسكرى سنة ١٩٥٨ خيمة لاستقبال جامعى العينات ، بعد أن نشر سويلم خبرا يقول ، على كل بدوى يعثر على اى حجر أسود ، فى المنطقة الممتدة بين خشم المستن شرقا وبحر الرمال شمالا وجبل قديرة غربا وبير الحمة جنوبا ، والتى تبلغ مساحتها زهاء الف وسبعمائة كيلومتر مربع ، مما يحتاج إلى عمل متصل لا يقل عن عامين كاملين حسب الطرق التقليدية ، أن يحضره الى مقر البعثة .. وتوالت الاف العينات وخضعت للفحص والتحليل ، ومرت شهور عجاف ، حتى جاء سويلم فى ليلة من رمضان (١٣٧٨) ، بعينة من تراب اشهب قضت على بأن اظل ساهرا على ضوء نار الحطب و (الكلوب) فى واد ضيق وعر يقال له وادى المحل حتى مطلع الفجر ، ومن هنا بدأت قصة احتياطى من الوقود الصلب لا يقل عن ثلاثين مليونا من الأطنان حال دون استغلالها حتى اليوم عدوان سنة ١٩٦٧ .. وقبل واقعة وادى المحل وبعدها ، كان سويلم ملازما لى أثناء عمل الخريطة الجيولوجية ، على الصور الجوية ، والخرائط الطبوغرافية ، وكنا فى العادة اذا اشتد الحر ، نلجأ فى رءوس الجبال إلى جرف او ظل جلمود ضخم ، حيث نستخدم حجرا نظيفا كطبق نضع عليه محتويات علبة سردين أو تونة نزدردها ببعض البسكويت الجاف ، ونرتشف بعض الشاى ونستلقى قليلا ، ويأخذ سويلم فى سرد شىء من أساطير البادية التى كان يأخذها هو مأخذ الحقائق التاريخية التى لا تجادل ..

قلت مرة لسويلم ، رحمه الله ، ما قصة « العجيبين » ؟

قال : كان شاب من الحويطات ، يقوم باحضار (تراب الملح) لوالده من منطقة (الكرك) ، وكان سويلم يقصد بتراب الملح ذاك ، نوعا من التراب يتواجد فيه ملح نترات البوتاسيوم الذى هو ملح البارود .. وكان الشاب يرى والده يعالج ذلك التراب لاستخلاص بللورات ملح البارود ، بغسل التراب فى قدر نظيفة من النحاس (المربوظ) أى المبيض بالقصدير ، ثم يتركه ليروق ويصفو ، ويأخذ الماء الذى ذاب فيه الملح دون التراب ، ويغليه على نار الحطب الهادئة حتى يتبخر ثلثاه ، ويرفعه عن النار ثم يلقى على سطحه بضع قطع من القش النظيف . ويتركه بلا غطاء بعيدا عن الغبار والريح حتى صباح اليوم التالى حيث يجد البللورات قد تجمعت حول عيدان القش كأنها الثلج ، فيصفى ما تبقى من المحلول ويجفف البللورات الصلبة فى جلد جدى مدبوغ ، ويضع قبالتها ما يناسبها من الكبريت الأصفر ، والفحم المستخرج من شجر المثنان ، ويدق كلا على حدة فى هاون من الخشب ثم يخلط الجميع فيتكون لديه البارود الأسود الأصلى الذى يتخذه ذخيرة لبندقيته ذات الزناد والصوانة ..

ضاق الشاب الحويطى ذرعا بالطريق بين الثمد والكرك ، لأنه لا يمر به فى بلاد قبيلة التياها المقيمين بين الحسنة ونخل ، والتى تعرف منهم على فتاة أحبها فى واد سمى لأجلها بوادى الريد ، فطفق يقنع والده بجلب تراب الملح من جبل سن بشر بغرب وسط سيناء ، وتصادف ان التقى بمحبوبته ترعى أغنامها عند التلة التى تسمى اليوم مقعد العجيبين .. فالعجيبان فى الأسطورة هما تلك الفتاة من قبيلة « التياها » ، والفتى من قبيلة «الحويطات»

.. كانت الفتاة تاتى باغنامها من الحسنة فى يوم معين من الأسبوع وتحلب العنزات فى حفرة تصنعها من الطين ، فاذا ما اقبل فتاها سقى ناقته من ذلك اللبن ، وجلس إلى محبوبته يتطارحان الهوى العذرى ويحلمان بالزواج .. وبعد فترة من الزمان ، اشتبه





طبقات من العصر الجوراسي تكونت منذ مالا يقل عن مائه وخمسين مليون سنة في منطقة جبل المغارة بشمال سيناء وخريطة جبل المغارة بشمال سيناء حيث امكن العيش مع الحقيقة العلمية والاسطورة دون ان تسمح لهما بالاختلاط والتيه .



سويلم بن صبيح ابو نيفة الترباني ، بدوي امي احب قومه ووطنه وســـاعد المعرفةالعلميـــة بكل قلبـــه وعقله .



المشارف الشمالية لجبل المغارة في شمال سيناء

ابو الفتى فى أمره ، واستشف أن وراء كثرة مشاويره الى سن بشر وحماسه لاستجلاب تراب الملح ، لابد وان تكون هنالك قصة غرام .. فامره ذات يوم بقضاء حاجة له من بير الحيسى الى الجنوب الشرقى من الثمد ، واستبقى منه ناقته التى ركبها بدوره واتجه بها غربا ، وارخى لها العنان لينظر ما هى فاعلة ، وأحاط وجهه بلثام لا يعرف به عن بعد ، حتى اذا ما اقبلت الناقة على مقعد العجيبين تنحت عن الدرب واتخذت لها طريقا صوب شطن واد خلف تلعة حيث كانت هنالك الحفرة المعروفة لها مليئة بحليب لم يتغير طعمه بعد ، وبرزت الفتاة التى فوجئت برجل مسن على ظهر الناقة فتماسكت وقالت له :

● أناشدك الله هل صاحب هذه النـاقة حى ؟

● قال الرجل : نعم .

فشهقت الفتاة شهقة وماتت كمدا لتوها ، اذ علمت ان مجىء الرجل معناه انكشاف قصة غرامها وبالتالى حرمانها من الزواج بمن تحب ، طبقا لتقاليد البادية المعنة فى القدم .. وعاد الرجل ، دون أن يلقى بالا لمن ماتت ، فمن بدا جفا ، وعاد من توه الى مضارب قبيلته ، حيث اخذ يلاطف الفتى ، ويجمع منه أطراف القصة بحذافيرها ، حتى اذا ما انتهى الى ما يريد ، عرف ولده أن الفتاة لا تحبه ، وإنما كانت تخادعه وتضحك على ذقنه !!!

إلا أن الفتى كان واثقا من محبوبته ، فاقسم بالله على أبيه ان يعرفه بحقيقـــة ما جرى ، فلما عرف ، خر مغشيا عليه وفاضت روحه إلى بارئها ، وظل بعد الفتى والفتاة على خريطة شبه جزيرة سينا ، وادى الريد ، الذى شهد معارك سنة ١٩٤٩ وســنة ١٩٥٦ وســنة ١٩٦٧ ، ومعقد « العجيبين » ، الذى أبلى قبالته مئات من الشهداء الابرار (بلا قيادة) بلاء عظيما فى معركة سنة ١٩٦٧ ، مما لم يسجله التاريخ بعد ، فى هذه الحقبة التى ضاعت فيها معالم التاريخ العربى ..

درويش مصطفى الفار

في البدعة وكراهة الجديد

رَدٌّ وتعقيب

بقلم : الدكتور كامل زغموت

جاءنا هذا الرد من الدكتور كامل زغموت على ما نشرته الدوحة فى العدد الماضى للأستاذ حسين أحمد أمين تحت عنوان : استنكار البدعة وكراهة الجديد . والدوحة تنشر مقال الدكتور كامل زغموت كما جاءها بالنص :

نشرت مجلة الدوحة فى عددها ٨٧ مقالا بعنوان « استنكار البدعة وكراهة الجديد موقف اسلامي أم جاهلي » بقلم الكاتب حسين أحمد أمين . وحيث ان هذا المقال فيه من المغالطات وفيه من الدس على العقيدة والتشريع الفقهى فى الاسلام ورجاله مالايقوله الا مبتدع أو جاهل أو كلاهما ، لذا وعملا بحرية النشر وابداء الرأى الذى تسمحون به لنشر مثل هذا المقال ، أرجو نشر هذا الرد فى مجلتكم فى العدد القادم وفى نفس المكان .

وأقول بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله :

ان العنوان الذى بدأ فيه الكاتب مقاله فيه خطأ وخلط فى الفهم والتصور عمد اليهما الكاتب ليبلغ فى النهاية ما يريد ، فقد جعل كلمة « البدعة » ـ ولا أحد يجهل معناها ـ مرادفة ومساوية لكلمة « جديد » وجعل البدعة بمعنى الابداع والاختراع « ص ٧٦ عامود ٣ » . وليس أحد يجهل أن كلمة « البدعة » اذا أطلقت فمعناها « البدعة فى الدين » وهو الاتيان بما يخالف النصوص الشرعية والاحداث فى الدين ما ليس فيه لقوله صلى الله عليه وسلم ؛ « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد » وقوله عليه الصلاة والسلام « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » وجميع المسلمين يفهمون هذا المعنى الا كاتب المقال فهو يفهم البدعة بمعنى الجديد والابداع والاستنباط والتجريب والاجتهاد .

فاستمع اليه يقول ٧٦ عامود ٣ : « فان الاجتهاد والابتداع سيظلان دائما الجوهر الحي للتاريخ . وقد فهمت الحضارات الراقية هذه الحقيقة حتى أضحت البدعة مقصودة فى حد ذاتها وطلبها متعمداً . وأسمتها بالمنهج العلمي وحتى أصبحت ـ خاصة فى وقت الأزمات كالحرب أو الضائقة الاقتصادية تبدى تهافتا على الابتداع ، وتناشد المبتدعين وتحثهم على إجراء التجارب والاختبار والاستنباط بحيث بات التغيير وتوفير المرونة شعار السياسة العامة عندها ، ورغم ما تذكره كتب علم الاجتماع من أن الأزمات والاحساس بالخطر من شانها أن تدفع المجتمعات المتحجرة الجامدة إلى ابداء الاستعداد لتقبل الجديد من الافكار والمستحدث من الأساليب ، فلا يزال مجتمعنا المليء بالأزمات والمحفوف بالأخطار يرى البدعة كفراً والمستحدث عصياناً وتمرداً والأساليب الجديدة تشويشاً غير مستحب للروتين والتقاليد ومخالفة مستهجنة لعادات الآباء والأنماط المألوفة من العيش . غير أن الوقت قد حان لأن ندرك أن التقدم متعذر دون تغيير وابتداع وان أولئك الذين يكفرون البدع لا يفعلون ذلك عن محض غباء ، وانما عن خوف على مصالح خاصة تتهددها تلك البدع . ذلك أن كل بدعة تقريباً تستدعى إعادة فى تنظيم القوى الاجتماعية ، فلا غرو أن نلمس عند كل من سينحيه التغيير من مكانته ويحد من نطاق نفوذه استنكارا وكراهية للبدعة » . انتهى نص كلامه حرفياً . وقد أطلت فى نقل كلامه ليرى القارىء الكريم الى أى حد أسف كاتب المقال فى اتهام نفسه أولا وفى اتهام الناس معه فى عقولهم ، انهم لا يستطيعون التفريق بين البدعة فى الدين والابتداع والاختراع والاستنباط فى شؤون الحياة . هل يقول هذا عاقل مفكر ؟ هل هناك مسلم لا يرى وجوب الاختراع من الابرة حتى الذرة ؟ . لقد سمى البدعة « المنهج العلمى » وهل المنهج العلمى التجريبي إلا من صنع المسلمين ؟ وما دخل هذه العلوم « بالبدعة فى الدين » ، أرأيته كيف يصف الحضارات الراقية ـ يعني الغربية ـ كيف أضحت البدعة عندها مقصودة فى حد ذاتها ، أرأيت خلطا أشد من هذا التخليط ؟ فهل الدين يمنع من الاختراع أم أن الدين الاسلامي يحارب العلم ؟ وكتابه الكريم وسنة رسوله الامين تحض على العلم وطلب العلم .

استمع اليه وهو يصف مجتمعنا الاسلامي بالمتحجر لأنه يحارب البدعة ويراها كفراً «وهي طبعاً البدعة فى الدين» فلماذا يصر على اعتبارها فى الابتداع والاختراع والاستنباط ؟ وما دخل هذا بهذا ؟ أليس المقصود من ذلك أنه يريد هدم الدين من أساسه وتركه جانباً على هامش الحياة كما فعلت أوروبا التى فعلت ما فعلت لأن الدين فيها حارب العلم ، فهل حارب ديننا العلم ؟ وأصغ إليه سمعك وهو يقول ـ لا فض فوه ـ : « ان أولئك الذين يكفرون البدع لا يفعلون ذلك عن محض غباء وإنما عن خوف على مصالح خاصة وأن ذلك يحد من نطاق نفوذهم» ، ولست أدرى ـ وأشكره لو كان يدرى ـ أين هى مصالح المسلمين الخاصة وأين هو مكان نفوذهم وهل لهم سيطرة على دفة الحياة ومقدرات الأمة حتى يمنعوها من التطور والإختراع لأنهم يحاربون البدعة ؟ ، وها هم المسلمون يذبحون فى كل صقيع ومكان ولا من يدافع عنهم باللسان فضلا عن السنان . انهم بالتأكيد غير موجودين على

الساحة العامة فى الحياة فلماذا لا تخترع الأمة ولا تبتدع ؟ أليس الحياء يعقل صاحبه فاذا ذهب الحياء فاصنع ما شئت وشاء لك الذين تكتب نيابة عنهم .

وننتقل الى نقطة أخرى وهى تلك التى أوردها بعد العنوان الذى جعلته مجلة الدوحة بالخط العريض .

قال : «وما كانت المعارضة القوية التى لقيها منهم (١) ناشئة عن امتعاضهم من تسفيهه لعبادة الأوثان بقدر ما كانت نتيجة دعوته إياهم الى تبنى موقف من الحياة لا هو مألوف ولا مقبول . فتعلقهم باصنامهم كان سطحياً وفى طريقه الى الزوال» . ص ٧٤ ، أيقول هذا مسلم ؟ أيدرى هو ما معنى هذا الكلام ؟ أليس معناه أنه لم تكن هناك حاجة الى رسالته صلى الله عليه وسلم والى دعوة التوحيد وترك عبادة الأوثان التى جاء بها لأن تعلق القوم بالأصنام كان سطحياً وفى طريقه الى الزوال ولست أدرى ما الكفر إن لم يكن هذا ؟ .

أتدرى ما الدعوة التى جاء بها الرسول الى قومه أنها : «دعوة الى تبنى موقف من الحياة لا هو مألوف ولا مقبول» أتدرى ما هو هذا الموقف ؟ يقول هو : «أتى يكلمهم فيما لا يفهمون ولا يعرفون له أصلا ككبح الشهوات ، والتضحية بالمال ، والزهد فى الحياة الدنيا . والقرآن الذى جاء به من عند ربه يحرم الخمر والزنا ، وهما ما كان الجاهليون يسمونهما بالأطيبين . وهو يدعو الى أخوة ومساواة وينهى عن الفخر بالحسب وعن التنافس بين القبائل مؤكداً أنه لا فضل لعربى على أعجمى ولا لحر على عبد إلا بالتقوى» .

وهو بهذا يؤكد أن الدعوة لم تكن موجهة لترك عبادة الأصنام فهى فى طريقها الى الزوال - علم جديد من أين علمه - والرسول صلى الله عليه وسلم مكث الفترة المكية كلها ثلاث عشرة سنة وهو يدعو قومه الى التوحيد ، وهذه آيات القرآن دون حاجة الى استقصاء تثبت ذلك ، وهو ذكر بعضاً منها ص ٧٥ عامود ١ . ألم يذكر القرآن الكريم على لسانهم قولهم «أجعل الآلهة إلهاً واحداً» (٢) ألم يقولوا : « ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى» (٣) . والمفروض جدلا أن يسلم هو بصحة ما جاء فى هذه الآيات لأنه اعترف - مشكورا - أن القرآن جاء به من عند ربه ولم يقل كالمستشرقين من عند نفسه ، وإن كانت كل آرائه منقولة عنهم . وأحب أن أنقل القارىء الكريم الى هجوم الكاتب على تراث الاسلام وفقهه ورجاله ليرى الى أى حد هان هذا الدين والتراث فى زماننا حتى أصبح الهجوم عليه متاحاً لكل حاطب ليل أو نافخ كير أو ناعق .

يقول ص ٧٥ عامود ٢ : «وقد أمرنا الرسول الكريم أن نعرض ما ينسب اليه من أحاديث على القرآن فما اتفق منها معه قبلناه» .. هذا الحديث موضوع والقرآن الكريم يقول : «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (٤) ويقول : «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى» (٥) ، ويقول عليه الصلاة والسلام «الا اني أوتيت القرآن ومثله معه» .

ثم يمضى قائلا ص ٧٥ عامود ٢ : «فهل يعقل بعد ما أوردناه من آيات - وقد أوردناه على سبيل المثال لا الحصر - أن يسلم أحد بصحة أحاديث نسبت الى النبى مثل : «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب تبعتموهم» .

وحديث «ألا وإياكم ومحدثات الأمور ، فان شر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» .

ولم يذكر لنا كيف لم تصح هذه الأحاديث عنده وكيف لا يقبلها العقل ؟ وكيف عرضها على القرآن وعلى الآيات التى استشهد بها هو نفسه ، ألا يحتاج هذا منه الى بيان واضح لأن هذه الأحاديث عند جميع أمة الاسلام صحيحة.وهكذا شطبها بحجة لا يقبلها العقل وليس أسهل من الشطب لمن احتطب .

ثم استمع اليه وهو يهدم التراث الاسلامى - بزعمه ووهمه - حين يقول متابعاً فى نفس الصفحة والعامود «لقد أوردت كتب الصحاح والسنن والمسانيد والسير والمغازى والطبقات من الأحاديث المنسوبة الى الرسول ما يذم البدع ويدعو الى رفض كل جديد محدث ما لا يمكن أن يتفق مع مفهوم الآيات التى أشرنا اليها ، وما ليس بالوسع قبوله مع علمنا بأن كل ما جاء به الاسلام رآه الجاهلون من «محدثات الأمور» وأعلمنا أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان أعظم رافض لاتباع سنة من كان قبله» .

ونحن نسأله هل بقى من كتب التراث الاسلامى شىء لم تذكره ؟ فاذا كانت كلها تذم البدع وترفض كل جديد محدث - يلاحظ هنا أيضاً إصراره على ربط البدعة بالجديد- ، وأنت ترى أن هذا لا يمكن أن يتفق مع مفهوم الآيات التى أشرت اليها وما ليس بالوسع قبوله . أليس يجدر بنا وبك أن تعلمنا وندلنا وتبين لنا كيف لا يتفق هذا مع مفهوم الآيات ؟ وأنت مطالب بذلك لأنك أنت وحدك تعادل الأمة كلها بجميع تراثها ورجالها فهى كلها لم تفهم ما أشارت اليه الآيات وأنت فهمت فأنت مطالب بالبيان . أما هكذا بجرة قلم تقول لا تتفق وتمضى كأنك تقرر حقائق مسلماً بها فلا يقول هذا عاقل بل ناقل .

ثم يقول متابعاً : «فان احتج البعض بان هذه الأحاديث رواها البخارى ومسلم وغيرهما من الثقات قلنا انه قد ورد أيضاً فى البخارى «من تصبح كل يوم سبع تمرات ... » وانه قد ورد فى صحيح مسلم « لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر» وفى غير البخارى ومسلم « الباذنجان شفاء من كل داء» .

ويلاحظ هنا أنه بعدما رفض جميع كتب التراث الاسلامى فلم يبق ولم يذر ، جاء هنا ليقتبس من صحيحى البخارى ومسلم لأنهما أصح الكتب عند عامة المسلمين (أهل السنة) فذكر حديثاً فى صحيح البخارى وآخر فى صحيح مسلم وحديثاً ثالثاً لم يذكر مصدره ولكنه قال «فى غير البخارى ومسلم » أتدرى أيها القارىء الكريم لماذا فعل ذلك ؟ انه أراد أن يساوى بين حديثين صحيحين فى أشهر كتب الاسلام مع حديث موضوع لا أصل له . كل مسلم من غير العلماء يعرف أنه موضوع مكذوب. أليس يعنى أنه يريد أن يقول إنها كلها أحاديث وإنها كلها بمنزلة واحدة حتى لو حدث هو بحديث من عنده وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح حديثا ، مثل حديث البخارى ومسلم وغيره من الصحاح . إن كان هذا لا يستدل من كلامه فدلونى على الصواب .

أما حديث من تصبح بسبع تمرات فهو كحديث الذباب الذى كذب به أقوام ثم أثبت الكشف العلمى صحته،وكحديث إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فاغسلوه سبع مرات احداهن بالتراب،والذى ثبت علمياً صحته أيضاً، وسيأتى باذن الله ما يثبت صحة حديث التمرات .

أما حديث حواء فما الذى أزعجه فيه ؟ ولماذا أورد نصاً ولم يورد النص الآخر من صحيح مسلم وهو «لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر» هل أزعجه ذكر بنى اسرائيل ؟ . ثم لماذا لم يشرح المعنى وحتماً يكون قد اطلع عليه إذا نقل الحديث من مصدره . أما إن كان ناقلا عن غيره فقط فذلك شأن آخر .

لقد أمر بنو اسرائيل أن لا يدخروا الطعام - المن والسلوى - فادخروا فكان عقاباً لهم لمخالفتهم الأمر . أن خبث الطعام وأنتن اللحم . وكذلك حواء أمرت بعدم الاستماع لوسوسة الشيطان ثم حسنت لزوجها الأكل من الشجرة إطاعة لابليس ولم يكن المقصود من الخيانة - الزنا - كما

في البدعة وكراهة الجديد

رَدُّ وتعقيب

يفهم من ظاهر النص .

ثم انظر الى هذا التعليل عندما يقول فى الفقرة السابقة عن ذم البدع ورفض كل جديد محدث التى جاءت بها كل كتب التراث الاسلامى لم يترك منها واحداً «مع علمنا بان كل ما جاء به الاسلام راه الجاهلون من محدثات الأمور» وإذن فهو يوافق الجاهلين على أن الاسلام بدعة من محدثات الأمور بدليل أنه يقول قولهم أو هو يريد أن يقول ونحن علينا ان نرى ما جاء به الاسلام من محدثات الأمور ، وعلينا ان نأتى بغيره. إذ كل سابق يقول عن رأى اللاحق محدث وبدعة وهكذا دواليك. ويؤكد هذا حين يبلغ به الشطط حد الاسفاف حين يقول : «وأعلمنا أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان أعظم رافض لاتباع سنة من كان قبله» ص ٧٥ عامود ٢ .

أترى كيف أراد أن يخدع القارىء بقوله عليه الصلاة والسلام عندما ذكر كلمة الرسول ليصرفك عما يضمر فى نفسه من حقد دفين على رسالة المسلمين ، وإلا فما معنى أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان أعظم رافض لاتباع سنة من كان قبله ؟ أيريده ان يتبع سنة من كان قبله ؟؟ إذا فلم الرسول والرسالة إن لم يكن هناك جديد من السماء يريد الله تبليغه أهل الأرض ؟ وهل المقصود من كان قبله من الأنبياء ثم جاء الرسول رافضاً لاتباع سنتهم ؟ كم مرة صرح القران بان الدين عند الله الاسلام منذ آدم عليه السلام حتى خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . ألم يسمنا ابراهيم عليه السلام بالمسلمين «ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين» (٦) ، ثم اقرأ قوله تعالى «ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين» (٧) ، لكن التشريعات اختلفت وتلك ارادة الله ليبتلى بها عباده بالايمان وعدمه . أم المقصود أنه صلى الله عليه وسلم رفض اتباع الكفار فى عبادة الأوثان وفى طرق حياتهم فاختر انت الجواب والحكم متروك عليك للقارىء الكريم ولنفسك .

أما ما يقوله عن فقهاء الاسلام ومجتهديه فاليك هو «ص ٧٦ عامود ٢» :

«قد دعانا من رأى قفل باب الاجتهاد الى الوقوف عند آراء مجتهدين فى عصر معين. وقد كان هؤلاء المجتهدون يفكرون لأنفسهم ، ويراعون فى وضعهم الاحكام موافقتها للظروف المتغيرة فى مجتمعهم ، غير أنهم سلكوا مسلكاً خاطئاً إذ صاغوا آراءهم المبتدعة فى قالب أحاديث نسبوها الى النبى واختلقوا الأسانيد لها حتى تلقى آراؤهم قبولا من الأمة . وعلى حد تعبير بعضهم واعترافه : «كنا إذا رأينا رأياً صيرناه حديثاً» ، فاذا بالأجيال التالية تقفل باب الاجتهاد وقد صدقت نسبة هذه الأحكام والآراء الى النبى . وحرمت على نفسها أن ترى لنفسها رأياً جديدا .....» .

وقبل ان اعلق على هذا القول أسارع الى التأكيد أن هذا القول ليس من عنده وليس هو قوله بل قول المستشرق الدكتور شاخت فى كتابه عن الشريعة المحمدية بنصه وفصه لم يخرم منه شيئاً . وهكذا فهو يرى رأى سيده شاخت بأن الأمة الاسلامية كلها كاذبة لأنه اذا كان فقهاؤها ومجتهدوها يكذبون حيث يضعون الأحاديث ويختلقون لها الأسانيد والأمة تتلقى ذلك بالقبول منهم وكذلك الأجيال المتعاقبة، فالأمة الاسلامية على هذا من أولها الى آخرها أمة كاذبة دينها مكذوب !!

والأغرب من هذا والأنكى أنه يستشهد بقول بعضهم : « كنا اذا رأينا رأياً صيرناه حديثاً » وهذا القول قاله رجل وضّاع كان يضع الأحاديث فلما تاب ورجع اعترف بهذا القول وهو يستشهد به على كل الأهة ، وليت شعرى الم ينقل هذا القول من الكتب فلماذا ينقله مبتسراً هكذا ليجعله حجة على جميع الأمة بل على الذروة منها وهم الفقهاء والمجتهدون وفى القرنين الثانى والثالث الهجريين . أفبعد هذا يبقى مقال لقائل فى ان يدفع سوء النية والقصد عن هذا الكاتب وهل قال أعداء الاسلام أكثر من هذا بل قاله شاخت وهو يهودى فهل هو على دينه أم على دينه ؟ نحكم بالأولى ونترك الثانية لله . انهم تحت شعار حرية النشر وحرية الكلمة يهجمون على عقيدة الأمة دون خوف من رقيب أو وازع من ضمير أو على الأقل تحكيم لمنطق العقل السليم . ولو أن شخصاً هاجم شخصية مرموقة فى مقال لقامت الدنيا وما قعدت ثم هل تجرؤ الصحف والمجلات على نشر مثل هذا المقال ؟؟ أما على الاسلام فحيهلا !!!!

استمع اليه يقول ص ٧٥ عامود ٣ : « ومفهوم هذا ان تعاليم النبى الملزمة للمسلمين هى تلك التى تتعلق بالدين والاخلاق لا المتعلقة بمعاش الدنيا الفرعية التى ذكرها على سبيل الرأى » ونحن نقول بهذا القول وكل مسلم يقوله ولكن الخلط والتخليط جاء عندما تابع كلامه قائلا : « ومع ذلك فاننا نرى بيننا من يذهب الى انتهاج نهج السلف الصالح فى كل شأن من شؤون الحياة كالملبس والمأكل بل وحتى فيما يقال لمن عطس . ولا يرون مسلماً حقاً من تبع شيئاً من عنده . وهاهو القسطلانى يرى بدعة مرفوضة كل ما يتبع دون مثل من العصر القديم ، وكل ما لم يكن معروفاً فى زمان النبى . وعلى هذا تصبح القهوة والطباعة والاذاعة والجرائد والمصباح الكهربائى واستخراج النفط واستخدام الشوكة والسكين فى الأكل بدعاً بغيضة ، وهو ما من شأنه أن يجعل الحياة فى ظل ظروف مخالفة للظروف السائدة زمن الصحابة والتابعين أمراً محالا » . هذا نص كلامه حرفياً . واستشهد - بعد ذلك - بقوله تعالى « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » الكهف ١٠٣ ، ١٠٤ وصدق الله العظيم .

بدأ كلامه فى هذه الفقرة بمفهوم أن التعاليم الملزمة للمسلمين هى التى تتعلق بالدين والاخلاق لا التى تتعلق بمعاش الدنيا الفرعية ووافقناه على ذلك . لكنه عندما ضرب الأمثلة بالملبس والمأكل أوردها هكذا دون تفصيل . فهل الاسلام اذ حرم لبس الحرير ونهى عن إسدال الازار يكون بذلك ضيق على الناس فى ملبسهم ؟؟ وهل الاسلام اذا أمر بالتسمية عند الأكل والأكل باليمين وان يأكل الانسان مما يليه يكون ضيق على الناس فى ماكلهم ومشربهم ؟؟ ولم لم يذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم « كل ماشئت والبس ما شئت من غير ترف ومخيلة » وهل اذا نهاهم عن الاكل فى انية الذهب والفضة دفعاً للكبرياء والغرور وحفاظاً على الاقتصاد يكون ضيق عليهم . ثم اذا كانت هذه نصوص صحيحة وهى من الدين لأن الدين عندنا « كتاب وسنة » فلماذا الاعتراض عليها ؟ أليس هذا يخالف قولك الذى بدأت فيه هذه الفقرة « ان التعاليم الملزمة للمسلمين هى التى تتعلق بالدين » . والآن ما هو الدين فى نظرك ؟؟ أهو العبادات فقط ؟ واقف عند هذا الحد لان الاستقصاء فى الرد سيطول ويحتاج الى مجال آخر ووقت آخر . والله المستعان وعليه التكلان والله غالب على أمره .

د . كامل زغموت
رئيس قسم العلاقات الاسلامية
قصر الدوحة

هوامش

(١) أى التى لقبها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة .
(٢) ص ٥ .
(٣) الزمر ٣ .
(٤) الحشر ٧ .
(٥) النجم ٢ ، ٣ .
(٦) سورة الحج ٧٨ .
(٧) سورة النحل ١٢٣ .

أغنية الربيع

شعر: مبارك بن سيف آل ثاني

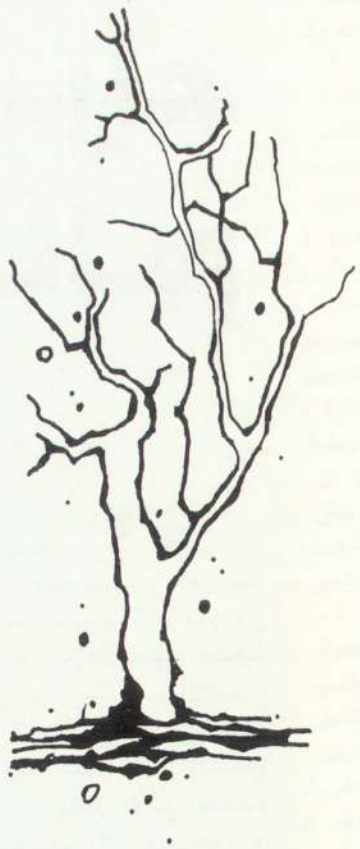
يا زهورَ الربيـــعِ قد عَادَ لَيْلِى ... بالنـــدى والنجومِ والأمنيـاتِ
وعشـــقتُ الحبيبَ فى كل طيفٍ ... وخيالٍ يزف أغلى الصـــفاتِ
فاسمعينى يا رفقتى .. يا طيورا ... واسمعى باغِمَ الظِّباءِ اللـواتى
كُنَّ لى الشاهدات فى كلِّ لُقْيَـا ... فاكتمى الحُبَّ واحفَظِى هَمَساتِى
إن يكنْ عندك الغرامُ ربيعـاً ... انشديه وهاتِ شـــدْوَك هاتِى
سوفَ يمْضِى الربيعُ بالزهْـرِ يوماً ... وســأبْقَى .. تشدُّنى ذِكْريـــاتِى

• • •

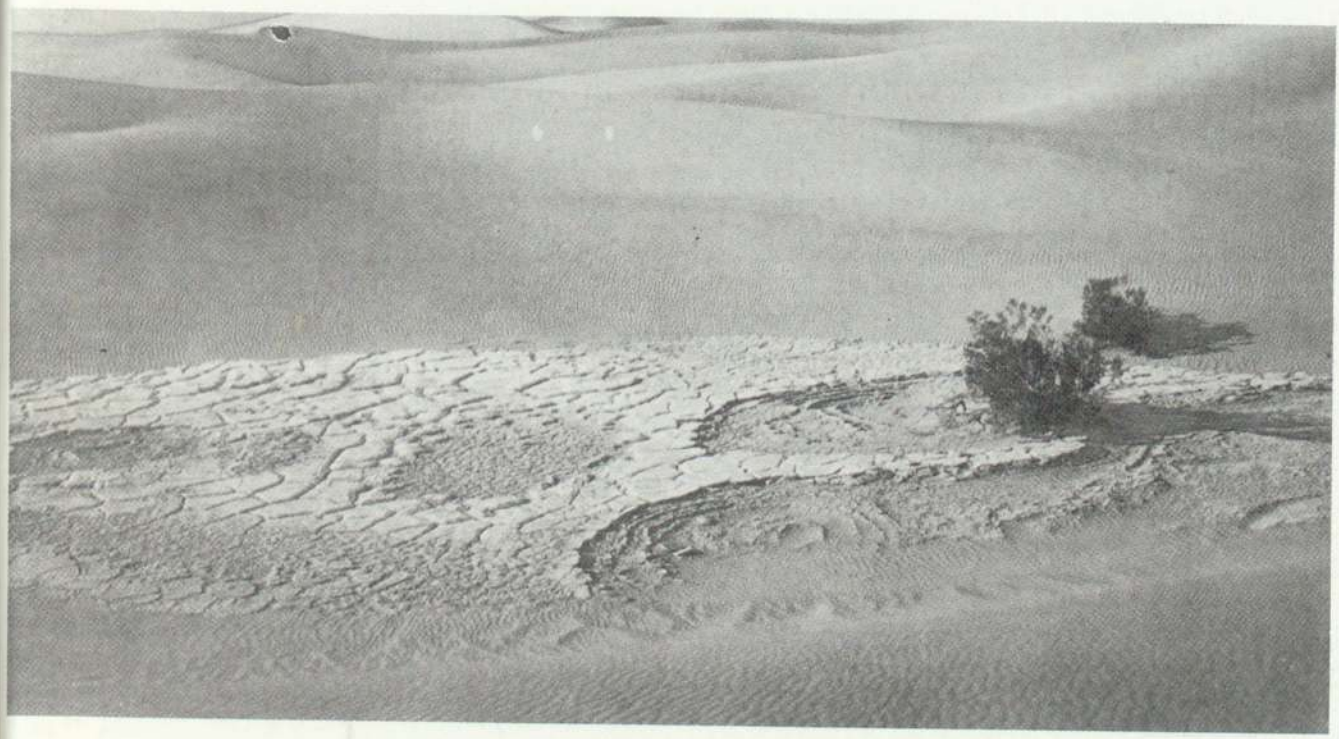
يا غديرًا ويا زهورَ الخـــزامَى ... يا ربيعًا .. ويا ليالى النَّـدَامَى
قد ألفت الربا طيوراً ورَوْضـاً ... فَعَلَامَ الرحيل هذا .. عَلَامَا ؟
هل بدرْبِ المنَى سئمت الليـالى ... وأطل الفـــراق والبعد حاما ؟
فدعينى يا رفقتى .. يا طيورا ... فلقد أَصْـــبَحَ الفؤادُ حُطَـامَا
ولقد ضَاعَ فى زحَامِ الأمَـــانِى ... كلَّ شىءٍ حســـبْتُه قد تَسَامَى
وغدا الخـــافقُ الطليقُ سجِينا ... بعد أن جَالَ فى سماك هيَـــامَا

• • •

يا ربيعًا لِمَ الرحيلُ شـــهورا ... وهبوبُ النسيم نجْمِى وفَجْرِى ؟
فأنَا شـــاعِرٌ كطيرك أهْفُـــو ... حيث نَبْـعُ الغديرِ والماءِ يجرِى
وأرى الليْلَ أنجُمًا وشُمُوسًـــا ... ضاحكاتٍ على النسَيْمَاتِ تسْرِى
لن يكونِ الفِرَاقُ يا فَجْـــرُ لَيْلِى ... لن يكونَ البِعادُ سجْنِى وأسْرِى
سوفَ أبقَى أعيشُ ذكرى ربيـــعٍ ... سوفَ أبقَى أعيشُهُ كلَّ دهْرِى
يا ربيعًا متى رحَلت .. وطيفـــاً ... عشتُه فى البِعَادِ .. لو كنتَ تدرى !



انتبهوا أيّها السادة:



هذه الصحراء يجب وقف زحفها حتى لا يسيطر شبح الموت على الأرض وتختفى الخضرة الجميلة

الصحراء تغزو العالم

بقلم: الدكتور محمد عاطف كشك

شهد عام ١٩٧٧ مولد علم جديد هو ما يمكن ان نسميه « علم الصحراء » Desertology وقد ساهمت فى قيام هذا العلم الجديد عدة عوامل كان أهمها كارثة الجفاف التى تعرضت لها منطقة الساحل الأفريقى بين عامى ١٩٦٨ ، ١٩٧٤ والتى نتج عنها موت عدة ملايين من البشر والحيوانات بسبب المجاعات والأوبئة ، وتحول مساحات شاسعة من الأراضى المنتجة الى صحراء جرداء . ولم يكن اهتمام العالم بمشكلة زحف الصحراء إلا جزءاً من الاهتمام العالمى الضخم والمتزايد بمشاكل البيئة والذى لم يكن انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة عن البيئة الانسانية (استكهولم) إلا مظهراً واحداً من مظاهره المتعددة . وقد كانت ضمن النتائج الهامة لمؤتمر استكهولم تكوين منظمة عالمية جديدة أطلق عليها « برنامج الأمم المتحدة للبيئة » UNEP (مقر هذه المنظمة نيروبى ورئيسها منذ تكوينها حتى الآن عالم مصرى هو الدكتور مصطفى كمال طلبه) .

وقد قامت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٤ بالدعوة لعقد مؤتمر عالمى لبحث مشكلة زحف وانتشار الصحراء فى العالم . وتم تكليف برنامج الأمم المتحدة للبيئة بالتحضير لهذا المؤتمر الهام . واستمر التحضير للمؤتمر لمدة ثلاث سنوات كاملة حتى تم عقده فى نيروبى فى الفترة من ٢٩ اغسطس الى ١٠ سبتمبر عام ١٩٧٧ وساهم فى أعماله حوالى ١٥٠٠ خبير وعالم سياسى يمثلون ٩٥ دولة و ٦٥ منظمة غير حكومية .

وخلال الجهود والدراسات المكثفة التى سبقت المؤتمر ومهدت له وتبلورت خلاله أمكن التوصل الى عدد من البيانات والمعلومات والتوصيات الهامة التى تلقى الأضواء على طبيعة وحجم مشكلة زحف الصحراء . وأهم النقاط التى توصل لها المؤتمر يمكن ان نجملها معاً بشكل مختصر فيما يلى :

١ ـ مشكلة زحف الصحراء مشكلة خطيرة تهدد العالم بشكل خطير فهى تؤثر بشكل مباشر على ثلثى العالم وعلى العالم كله بشكل غير مباشر .

٢ ـ تغطى المناطق الجافه ثلث مساحة الكرة الأرضية وهذه هى المناطق التى تنتشر فيها الصحراء بشكل سريع وخطير . والصحراء الزاحفة تتقدم لتغطى ٥ ـ ٧ مليون هكتار (حوالى ١٢ ـ ١٧ مليون فدان) من الأراضى الزراعية كل عام .

٣ ـ الصحراء الزاحفة تمثل خطراً شديداً على ظروف معيشة الجنس البشرى فهى تغطى مساحات شاسعة وتؤثر على الملايين من البشر . ورغم انتشار الصحراء بكثرة فى المناطق الجافة وشبه الجافة فى افريقيا وآسيا واستراليا وأمريكا الجنوبية إلا أن انتشارها لا يعرف الحدود فتوجد مناطق متاثرة بالمشكلة حتى فى الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى وبعض مناطق أوربا .

٤ ـ إن ظاهرة انتشار الصحراء ليست ظاهرة جديدة فهى تحدث منذ القدم لكن الجديد أنها وصلت الآن إلى معدلات انتشار عالية نتيجة الضغط البشرى على الأرض المتاحة . ومنذ أكثر من ٥٠ سنة بدأ بعض المفكرين والعلماء التنبيه الى مخاطر زحف الصحراء فى الصين وفى روديسيا وجنوب أفريقيا ومناطق أخرى . لكن العالم لم يعط هذه المشكلة ما تستحقه من عناية واهتمام الا فى أواخر السبعينات مع تصاعد الاهتمام بقضايا البيئة الانسانية بشكل عام .

٥ ـ كما سوف يتضح لنا فيما بعد فان هناك إجماعا علميا على أن الانسان هو الصانع الأول للصحراء وهو السبب والضحية فى نفس الوقت . وإلقاء اللوم على الانسان باعتباره صانع الصحراء ليس الهدف منه إيجاد متهم تلصق به التهمة بل ان له عدة نتائج علمية هامة فيما يتعلق بفهمنا للمشكلة وطريقة تناولنا لها وبالتالى طبيعة الحلول الممكنة لها .

التصحر أم انتشار الصحراء ؟

كلمة الصحراء مرادفه للموت أو غياب الحياة .

لكن الصحراء الكاملة نادرة الوجود ، فحتى فى المناطق الجافة جداً يمكن أن توجد بعض صور الحياة . ولذلك فان الصحراء تعرف بانها المساحات التى تكون فيها الرقعة النباتية قليلة جداً أو غير موجوده بالمرة والمطر فيها نادر والنشاط الحيوى ضعيف .

وعملية التصحر هى امتداد أو تكثيف لهذه الظروف وهى بذلك شكل من أشكال تدهور الأرض والموارد الطبيعية وانتشار الجفاف والبوار فى مناطق كانت قبل ذلك منتجه .

والصحراء ليست حالة استاتيكية حيث انه يمكن نشر الحياة فى الصحراء وبالعكس يمكن للصحراء أن توسع جبهتها فتغطى مناطق جديدة وتستبعد منها إمكانيات الحياة .

والسؤال الهام هنا : هل انتشار الصحراء ظاهرة طبيعية والانسان فى هذه الحالة هو الضحية ؟ أم أن الصحراء هى من صنع الانسان نفسه ؟ ؟

ولقد حاول مؤتمر نيروبى التصدى للاجابة على هذا السؤال ، وكان هناك تردد بين مصطلحين لتسمية الظاهرة : انتشار الصحراء Desertization أم التصحر Desertification بعد مناقشات قصيرة حصل مصطلح التصحر على قبول عالمى . والخلاف هنا لم يكن مجرد لفظى فمصطلح انتشار الصحراء يعنى أن عملية زحف الصحراء عملية طبيعية مناخية فى المقام الأول لا يمكن للانسان أن يتحكم فيها ، فى حين أن المصطلح الثانى « التصحر » يعنى أن الانسان هو الصانع الأول للصحراء بضغوطه الشديدة على الأرض واستعماله لها استعمالا أحمق .

وقد استندت الأبحاث والدراسات التى تؤكد المساهمة الرئيسية للانسان فى صنع الصحراء على عدة حقائق .

● هناك دلائل كثيرة تشير الى ان الصحراء فى تقدم سريع مستمر فقد وجدت فى بعض كهوف جبال منطقة الصحارى الأفريقية نقوش ورسوم على الأحجار لحيوانات مثل الفيلة والزرافات . وكذلك زراعات تحتاج إلى ظروف أقرب إلى الظروف الحالية فى المنطقة الاستوائية الرطبة . وهذه الحيوانات الاستوائية غير موجوده الآن بالمرة فى هذه المناطق . كما أن الزراعة فيها اختفت تماماً وحل الرعى محلها مما يدل على انها كانت مناطق رطبة ثم جفت .

● هذا التغير السريع لا يمكن رده إلى تغير المناخ فهناك اتفاق بين معظم المتخصصين على أن تغيرات المناخ مسالة لا يمكن الاحساس بها فى مدى زمنى قصير فهى تستغرق مئات القرون ولذلك فان انتشار الصحراء خطأ يلام عليه الانسان . ومما يؤكد ذلك حدوث تدهور سريع جداً للنظم البيئية فى المناطق المتاخمة وهو مالا يمكن تفسيره فى ضوء التغيرات المناخية التى تحدث تدريجياً وببطء شديد .

● يشهد التاريخ أن هناك حضارات كثيرة عظيمة اعتمدت على الزراعة وغطتها الآن رمال الصحراء وكما فى وادى دجلة والفرات .

وهكذا فان تحليل ظاهرة التصحر يقود إلى اكتشاف أن أهم الأسباب الفعالة لها هو سوء استخدام الامكانيات المحدودة للأرض وخاصة فى المناطق الجافة وشبه الجافة . فالأرض فى هذه المناطق ذات إمكانيات محدودة ولكن الضغوط عليها كثيرة . وعندما نجبر الأرض على ان تعطى اكثر مما تستطيع فانه قد تستجيب للضغط وتعطى لفترة قصيرة جداً ولكننا بذلك نستنزفها وندمرها ونحولها من أراض منتجه ـ ولو فى حدود متواضعة ـ الى صحراء جرداء كفت عن العطاء .

رغم توفر عدد من العوامل الطبيعية (متعلقة بالمناخ والتربة والطبغرافية)

الصحراء تغزو العالم



تؤثر على مدى وسرعة انتشار الصحراء إلا ان العوامل الانسانية تكتسب أهمية خاصة من حيث سرعة وضخامة تأثيرها ومن حيث أنها هى التى يمكن تعديلها والتحكم فيها .

والعوامل الانسانية التى يمكن أن تقود الى تدهور الأراضى والموارد الطبيعية وبالتالى انتشار الصحراء كثيرة منها :

● استعمال كميات كبيرة من مياه الرى أو كميات اقل مما قد يتسبب فى ظهور مشاكل الأراضى الغدقة ومشاكل الملحية والقلوية .

● سوء استغلال الأرض بزراعتها بكثافة اكثر مما تحتمل أو بانواع من النباتات غير ملائمة أو استعمال طرق خدمة غير مناسبة ، كل ذلك قد يعجل من تدهور الأرض .

● زراعات المنحدرات وريها يعرضها للانجراف الشديد بواسطة المياه وترك الأراضى الجافة عارية يعرضها للانجراف الشديد بواسطة الرياح . والانجراف يزيل من الأرض اخصب طبقاتها ويتركها اشبه ما تكون بالصحراء .

● الضغوط الانسانية والضغوط الحيوانية الشديدة والتى تفوق قدرة الأرض على الاستيعاب تجعل الانسان والحيوان يتحولان الى آفة ضارة ينتج عنها تدهور شديد للأرض .

● تجريف الأراضى الزراعية بواسطة الانسان أو ترك مخلفات الصناعة تؤثر عليها كل ذلك يعجل بتدهور الأرض وتحولها الى صحراء لاعطاء لها .

المناطق المعرضة لزحف الصحراء

حرص مؤتمر نيروبي على إقرار ما سمى « خطة العمل لمقاومة زحف التصحر » وقد بدأت الخطة توصياتها بأن عملية التصحر يجب تقديرها وتقييمها . وبالفعل كانت من أولى المهام التى شغلت العلماء والمنظمات العلمية هى رسم خرائط للصحراء الزاحفة ولأن عملية التصحر عملية ديناميكية وليست موقفا ثابتا فان رسم خرائط لها عملية صعبة للغاية اشبه ما تكون بمحاولة رسم خرائط للعربات التى تجرى فى شوارع القاهرة . ومع ذلك فان المحاولة كانت ضرورية ، ولذلك فقد اسندت مهمة اعداد خريطة العالم للتصحر إلى أربع منظمات دولية لديها خبرة كبيرة فى عمليات الحصر والتقييم وإعداد الخرائط هى منظمة الاغذية والزراعة وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة ومنظمة الأرصاد الجوية العالمية واليونسكو . كما تم إشراك عدد من بيوت الخبرة العالمية فى اعداد الخريطة التى تم انتاجها بالفعل لتشير إلى المناطق المعرضة لزحف الصحراء ومدى الخطر فى كل منطقة من العالم هل هو خطر شديد أم متوسط أم قليل .

ورغم انه يصعب فى هذا المجال إعطاء امثلة من خريطة العالم للتصحر أو للبيانات المستخلصة منها إلا انه يمكن الاشارة الى بعض الأرقام التى لها دلالات واضحة ، فقد بينت الخريطة مناطق العالم المعرضة لخطر تصحر عال ، وعال جداً ، أى أن انتشار الصحراء فيها سوف يتم بسرعة شديدة لو ظلت الظروف الحالية بدون تغير . وهذه المساحات هى على النحو التالى فى القارات المختلفة .

● امريكا الجنوبية ٥٠٠ مليون فدان (١٠٪ من المساحة الكلية) .

● امريكا الشمالية والمتوسطة ٥٤٠ مليون فدان (٦٪ من المساحة الكلية) .

● افريقيا ١٤٠٠ مليون فدان (٢٢٪ من المساحة الكلية) .

● اسيا ٢٠٠٠ مليون فدان (١٨٪ من المساحة الكلية) .

● استراليا ٤٨٠ مليون فدان (٢٦٪ من المساحة الكلية) .

● اوربا ١٢ مليون فدان (٥ر٪ من المساحة الكلية) .

ومن خريطة العالم للتصحر ووثائق مؤتمر نيروبى يمكن إيجاز الملاحظات التالية :

● ان خطر التصحر يهدد العالم كله حتى فى المناطق التى لا توجد بها صحراء طبيعية كما هو الحال فى أوربا .

● ان اكثر قارات العالم عرضة لخطر التصحر هى افريقيا وآسيا واستراليا والى حد ما امريكا الجنوبية .

● ان المساحات المعرضة للخطر فى العالم كله مساحات شاسعة . والعالم الآن يبحث عن كل شبر من الأراضى يمكن استغلاله لسد احتياجات الأعداد المتزايدة من السكان . وبالطبع فان الموقف الراهن فيما يتعلق بأزمات الغذاء والطاقة سوف يزداد سوءاً لو تركنا هذه المساحات الشاسعة تغزوها الصحراء وتستبعد منها الحياة .

الموقف فى مصر والشرق الأوسط

تتعرض مصر والبلاد المحيطة بها — لموقف شديد الخطورة فيما يتعلق بمشكلة زحف الصحراء . ومن فحص خريطة العالم

للتصحر يتضح لنا ما يلى :

● تقع مصر فى المنطقة شديدة الجفاف من العالم وخطر التصحر فى معظم مناطقها خطر عال جداً .

● تتميز المناطق المأهولة بالسكان فى مصر (وهى مركزة فى الوادى والدلتا) بضغط سكانى شديد حيث الكثافة السكانية تفوق بمراحل الحدود الحرجة الخاصة بكثافة السكان فى المناطق الجافة

● جميع الأراضى المصرية وخاصة الأجزاء الشمالية منها عرضة للتمليح والقلوية وعرضة للانجراف بواسطة الرياح .

هذا ما تقوله خريطة العالم للتصحر عن الموقف فى مصر . ولكن هناك عدة ملابسات وظروف خاصة بمصر لم تبينها الخريطة تجعل الموقف أكثر خطورة ، نذكر من هذه الملابسات والظروف ما يلى :

١ ـ تغطى الصحراء الفعلية حوالى ٩٧٪ من مساحة مصر فنحن نمارس الزراعة فى تخوم الصحراء أو فى قلب الصحراء . وفى مثل هذه المناطق تكون الأرض لها قدرات كامنة محدودة يجب ان تؤخذ فى الاعتبار عن استغلال هذه الأراضى ، ونحن حتى الآن لا نعطيها للأسف أى اعتبار .

٢ ـ الزراعة المصرية زراعة مكثفة جداً لكى تقابل الاحتياجات المتزايدة للسكان والزراعة المكثفة لها كثير من المخاطر على الأرض .

٣ ـ ما زالت الزراعة المصرية ـ ويجب ان تظل ـ تمثل اسهاماً اساسياً فى الاقتصاد القومى (حوالى ٣٠٪ من اجمالى الناتج المحلى فى حين انه فى الولايات المتحدة الامريكية ٣٪ فقط) أى أن أى خطر يواجه الزراعة سوف يكون تأثيره فى الاقتصاد المصرى عشرة اضعاف ما يمكن ان يصيب الاقتصاد الامريكى من خطر مماثل .

٤ ـ معظم الفلاحين المصريين فقراء يملكون مساحات صغيرة من الأرض وليس فى مقدورهم اتخاذ أى إجراءات أو تخصيص أى استثمارات لحفظ وصيانة أراضيهم ، ووسائل الدولة ومساعداتها فى هذا الصدد قاصرة الى حد بعيد .

٥ ـ تتميز مصر بموقف خاص بها وهى ان الزراعة فى معظم مناطقها تتم فى شريط ضيق جداً محاط بالصحراء من كل جانب

وهناك دلائل كثيرة تؤكد وجود إضافات من رواسب الصحراء على الأراضى المصرية الخصبة ، ورواسب الصحراء رواسب ضارة فهى خشنة جيرية قليلة الخصوبة . وقد ازداد تأثير هذه الرواسب بعد إنشاء السد العالى وحرمان الأراضى المصرية من طمى النيل الذى كان يقلل من التأثير الضار للرواسب الصحراوية . وبناء على الدراسات والأبحاث المتاحة فقد قمت بتقدير الخسائر الناشئة عن إضافة رواسب الصحراء إلى الأراضى المصرية ووجدت انها فى حدود ١٠٠ مليون جنيه سنوياً . واذا كانت الخسائر بمثل هذا الحجم فان المشكلة تستحق بذل الجهد والمال لوقفها خصوصاً إذا كان الحل معروفاً وهو اقامة حزام واق من الأشجار على جانبى وادى النيل والدلتا يحمى اراضينا من زحف الصحراء . هذا بالاضافة إلى أن الخسائر الناتجة عن مشاكل التمليح والقلوية (وهى صورة من صور التصحر) قد تم تقديرها بواسطة الدكتور الجبلى بما يزيد عن ٥٠٠ مليون جنيه سنوياً وهذه أيضاً لها حلول معروفة وتستحق الاستثمار فيها فهو استثمار مضمون العائد . ناهيك عن الخسائر الناتجة عن الانجراف وتجريف الأراضى وسوء استخدامها . وبذلك فانه يمكن بمنتهى الاطمئنان تقدير الخسائر الناتجة عن التصحر فى مصر بما لا يقل عن ألف مليون جنيه سنوياً .

خطة العمل لمقاومة زحف التصحر

كان من النتائج الهامة لمؤتمر نيروبى إقرار ماسمي « خطة العمل لمقاومة زحف الصحراء » . وقد اشترك فى إعداد هذه الخطة أكثر من ٥٠٠ خبير وعالم من مختلف انحاء العالم امضوا فترة سنتين كاملتين من العمل المكثف والدراسات الجادة . وتقع الخطة المعتمدة من المؤتمر فى ٩٠ صفحة وتحتوى على ٢٨ توصية بخصوص استعمال الأرض ، وصيانة للموارد المائية ، وصيانة وإعادة تكوين الغطاء النباتى ، وسياسات التوطن البشرى فى المناطق المتأثرة بزحف الصحراء ، وتنظيم استخدام مصادر الطاقة التقليدية والبحث عن مصادر جديدة . كما تضمنت الخطة توصيات بخصوص تعليم وتدريب وإعلام السكان فيما يتعلق بمشكلة التصحر ، وتوصيات بخصوص التعاون الاقليمى والدولى .. الخ وقد وضعت الخطة عام ٢٠٠٠ كهدف يتم فيه وقف زحف الصحراء نهائياً .

● وما يمكن أن يقال هنا ان هناك فى مصر قصور شديد فى تنفيذ بعض بنود خطة العمل لمقاومة زحف التصحر ، وخاصة فى مجال الأبحاث والدراسات وكذلك فى مجال الاستثمارات اللازم توجيهها لمقاومة التصحر . هذا بالرغم من أن مصر ـ قبل غيرها ـ يجب أن تبذل جهوداً جبارة فى هذا المجال نظراً لضخامة حجم المشكلة بها ونظراً لأنها يمكن ان تستفيد من الجهود العالمية فى هذا المجال وخاصة ان هناك اثنين من خيرة ابنائها يحتلان منصبين هامين فى مجال الاهتمام العالمى بمشاكل البيئة وهما الدكتور مصطفى كمال طلبه المدير التنفيذى لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة ، والدكتور محمد عبد الفتاح القصاص رئيس الاتحاد الدولى لصون الطبيعة والمحافظة على الموارد الطبيعية ولكل منهما قيمة عالمية كبيرة .

والآن أرجو أن أكون قد استطعت فى هذا الحيز الصغير أن ألفت الانظار الى واحدة من أخطر المشاكل البيئية ، تهدد الانسان فى مصدر غذائه وكسائه المباشر . وعندما وضع العالم عام ٢٠٠٠ كهدف يتم فيه وقف زحف الصحراء لم يكن ذلك مجرد أمل ولكنها فى الأساس مسألة حياة أو موت وفى مصر يجب ان نسعى بأيدينا وأسناننا لتحقيق هذا الهدف وإلا فان كل آمالنا فى الثورة الخضراء سوف تحبط فى هجوم الثورة المضادة « الصفراء » .

ولأن مشكلة تدهور الأراضى وتحولها الى صحراء عملية غير عكسية أى أنها متى حدثت فانه لا يمكن تصحيحها من الناحية العملية . ولأن الأرض مورد غير متجدد أى انها ليست كالهواء ما تستهلكه منه فى التنفس يتجدد باستمرار بما ينتجه النبات من اكسجين فى عملية التمثيل الضوئى . لأن الأرض مورد غير متجدد فاننا بسوء استغلالنا للأراضى وتسرعنا فى سبيل تحقيق الأمن الغذائى للجائعين حالياً ، قد نضيع الأمل الباقى فى أى أمن غذائى لأجيال المستقبل !!

د . محمد عاطف كشك

عيزر وايزمن

صاحب الآراء الزئبقية

بقلم : عصام شريح



عيزر وايزمن



مناحيم بيجن

لمع اسم عيزر وايزمن مرة اخرى فى الشهر الماضى منذ انزوائه عن مسرح الحياة السياسية فى الكيان الصهيونى فى ايار (مايو) ١٩٨٠ ، كخليفة محتمل لمناحيم بيجن فى زعامة حزب حيروت ، إن لم يكن فى رئاسة الحكومة ، وربما زعامة الحزب والحكومة معا ، فقد اعلن وايزمن نفسه عن نيته فى تشكيل حزب جديد (حزب وسط) فى العام الجديد فى حال تقديم موعد الانتخابات العامة للكنيست الحادى عشر ، وعلى اية حال فان هذه ليست هى المرة الاولى التى يلوح فيها وايزمن باعتزامه إنشاء حزب حيروت فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٨٠ ، فقبيل استقالته من وزارة الحرب عرض على موشي دايان (قبل وفاته) تشكيل حزب جديد برئاسة دايان ، وخلال الحملة الانتخابية للكنيست العاشر تردد مراراً ان عايزر وايزمن ينوى تشكيل حزب جديد مستقل ، لكن الانتخابات انتهت دون ان يرى الحزب المزعوم النور .

وفى الشهر الماضى سلطت مجلة «هعولام هزيه» الاسرائيلية التى يراس تحريرها «يورى افنيرى» ، الاضواء على عيزر وايزمن وعلى ما يجرى داخل حكومة بيجن وحزب حيروت من تنافس شديد على وراثة بيجن فى زعامة الاثنين . وقالت المجلة فى مقالة كتبها «شلومو فرنكال» : إن اريئيل شارون (وزير الحرب) واسحق شامير (وزير الخارجية) ، يكنان كراهية عميقة لعيزر وايزمن بسبب تخوفهما من احتمال عودته الى مسرح السياسة ، ولان مثل هذه العودة تعنى وضع نهاية لاحلامهما فى وراثة بيجن ، واضاف

«فرنكل» ان وايزمن يحظى بتاييد واسع داخل حزب حيروت ، مما يفتح المجال واسعا امامه لخلافة بيجن فى رئاسة الحكومة والحزب معا ، واستشهد الكاتب على ذلك بتاييد عدد كبير من رجالات حزب حيروت لوايزمن ، ومنهم دافيد ليفى (نائب رئيس الحكومة ووزير الاسكان حاليا) ، ويعقوب ميريدور (وزير المواصلات) ، ومردخاى تسيبورى ، وحاييم كوفمن ، ومينحا ريسر ، ومئير شتريت .

استقالة وايزمن

ونعود الى عرض اسباب استقالة وايزمن من منصب وزير الحرب فى حكومة بيجن فى السادس والعشرين من ايار (مايو) من عام ١٩٨٠ ، ولو بشكل مكثف وسريع ، لما فى ذلك من خلفيات تساعد على فهم افكار وطروحات عيزر وايزمن ، فقد اشار وايزمن فى كتاب الاستقالة الى ان السبب في تنحيته عن منصبه كوزير للحرب إنما يعود الى الخلافات «الآخذة بالاتساع والتعميق» بينه وبين مناحم بيجن وبقية الوزراء ، حول عدد من الموضوعات ، ولكنه تحاشى تقديم إيضاحات حول هذه الخلافات مكتفيا بالتلميح اليها من بعيد ، حيث قال مخاطبا بيجن «إن الكثير من الأمور اصبح موضوع خلاف بيننا ، كما ان تحفظاتى قد ازدادت إزاء سياسة الحكومة بالنسبة لموضوع السلام ، وخطتها الاقتصادية واسلوبها بالنسبة للقضايا الاجتماعية ، وطريقة ادائها لعملها ، وقد احسست انه اخذ يتبلور فى باطنى إدراك بان طريقنا لم يعد واحدا واننى لن استطيع الاستمرار فى حكومتك» . اما الخلاف الوحيد الذى اوضحه ، وهو السبب المباشر للاستقالة ، فهو اعتزام الحكومة تقليص ميزانية وزارة الدفاع ، فقد اوضح وايزمن فى مذكرة الاستقالة انه يرفض مقترحات الطاقم الوزارى بهذا الشان ، لان «الجيش الاسرائيلى لا يمكن ان يدار وفقا لمتغيرات مؤشر الاسعار الشهرى ، ووفقا للتغيير الذى يطرا على مزاج اعضاء الطاقم الوزارى للشئون الاقتصادية ، وان معالجة ميزانية الدفاع تعكس جيدا طريقة اداء الحكومة لمهامها فى جميع المجالات » ، واما بالنسبة لموضوع الخلاف حول السلام مع مصر ، فقد اشار اليه وايزمن فى كتاب استقالته بشكل غائم مكتفيا باتهام حكومة مناحم بيجن بعدم الرغبة فى السير فى طريق السلام ، وبالتالى تفويت «فرصة نادرة» على حد وصف «وايزمن» .

اما مناحم بيجن فقد جاء رده على عيزر وايزمن لاذعا وحاسما وسريعا ، حيث اتهم مصر بعدم الرغبة فى السير فى طريق السلام بسبب مقترحاتها حول «القدس وجوهر الحكم الذاتى ومسالة الأمن» ، مما يهدد امن ومستقبل اسرائيل على حد زعمه. ثم انتقل بيجن الى تسديد السهام الى وايزمن شخصيا ، حيث قال مخاطبا وايزمن :«إن شخصيتك غير مسئولة لدرجة غير معقولة ، فمن خلال حبك للظهور لدى دول اجنبية معينة ، اوحيت كانك الوحيد الذى يجرى وراء السلام فى حكومة تتالف ممن يسعون الى إفشاله ...» ، ثم انهى بيجن انتقاداته اللاذعة لوايزمن بقوله : «لقد اتيحت لك الفرصة ، وربما كنت بين الذين منحوك إياها ، بجعلك تشغل منصب وزير الدفاع ، الهام فى حكومة اسرائيل ، وفى فترة بالغة الأهمية ، لكنك بسبب قصر نظرك وطيشك ، حاولت إبعادى عن منصبى علنا ، وعن طريق التلفزيون اثناء وجودى فى الولايات المتحدة ، فى مهمة «قومية» هامة .. وقد حصدت فى مسعاك هذا فشلا ذريعا ، ولقد اعطيتك فرصة نادرة ، لكنك اضعتها بسبب طموحاتك التى تتجاوز حدود المعقول» !! «صحيفة عل همشمار ٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٨٠» .

حقيقة الخلاف

لقد حاول عيزر وايزمن ان يصور نفسه داعية سلام مع مصر بصورة خاصة عن طريق إظهار رئيس الحكومة مناحم بيجن فى موقف المتصلب والرافض للسلام كفكرة اصلا ، ومن خلال هذه الصورة المزيفة فى الواقع ، اراد وايزمن ان يطرح نفسه «حمامة سلام» وسط «صقور» حكومة بيجن وربما صقور حزب العمل المعارض ايضا ، لكن يكفى لدحض صورة الحمامة هذه ، ان نشير الى ان عيزر وايزمن كان بين اولئك المسئولين الاسرائيليين الذين بلوروا «سياسة اليد القوية» التى انتهجتها اسرائيل وماتزال ضد المواطنين العرب سواء فى الأراضى المحتلة فى عام ١٩٤٨ او فى الأراضى المحتلة فى عام ١٩٦٧ ، وهى سياسة القمع الدموى وهدم المنازل والاعتقالات الجماعية والطرد والابعاد خارج الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، ثم إذا كان وايزمن «حمامة سلام» بين «صقور الحروب» كما يزعم ، فلماذا يطالب بتخصيص المزيد من الأموال لوزارة الحرب ؟! كما ان من الاهمية بمكان ان نشير الى ان رئيس بلدية نابلس (المقال من منصبه) كان قد صرح بتاريخ ٧ ـ ٦ ـ ١٩٨٠ ، ان وايزمن عندما كان وزيراً للحرب «هددنى شخصيا بالتصفية الجسدية اذا استمررت فى التعاون مع رؤساء البلديات الآخرين لمواجهة مشروع الحكم الذاتى» !!

اما حقيقة الخلاف بين وايزمن وبيجن ، فان كتاب الاستقالة ورد بيجن عليه ، جاءا ليشكلا الستارة التى تحجب اهداف الاثنين ونواياهما الحقيقية ، وهى نوايا صهيونية فى المحصلة الأخيرة وان اختلف الأسلوب فى محاولة تحقيقها . فقد اعادت صحيفة «هارتس» الاسرائيلية استقالة عيزر وايزمن من منصب وزير الحرب الى الخلاف فى وجهات النظر السياسية بينه وبين بيجن ، الشخصيتين المركزيتين فى الحكومة ، وبصورة خاصة الى اتجاه كل منهما للاستفادة من «وهم السلام» ، ففى الوقت الذى اعتبر فيه بيجن هذا الأمر بمثابة ثغرة لتحقيق افكاره بخصوص ضم «جميع اجزاء ارض اسرائيل الغربية» الى اسرائيل عن طريق صفقة تبادلية ، راى وايزمن فيه فرصة لتثبيت وجود اسرائيل فى المنطقة عن طريق ما يصفه «بالاعتراف العربي» ، وقالت «هارتس» ، «إن إيجاد حل وسط بين وجهتى نظر بيجن ووايزمن امر لم يكن مستطاعا ، وكان لابد للتعايش الواهى بين رئيس حزب حيروت ، وبين الرجل الثانى فى الحركة ان يصل الى نهايته» .

أفكار رجراجة

يشير عيزر وايزمن الى ان حرب تشرين الأول اكتوبر من عام ١٩٧٣ ، او «حرب يوم الغفران» بالتسمية الاسرائيلية ، كانت العامل الذى احدث تحولا فى تفكيره من الصراع العربى ـ الاسرائيلى ، ويتحدث وايزمن فى كتاب اصدره بعد استقالته من حكومة بيجن فى ايار (مايو) ١٩٨٠ ، يتحدث عن الآثار التى خلفتها تلك الحرب لدى كل من العرب واسرائيل ، فيرى انها

عيزر وايزمن

صاحب الآراء الزئبقية

ضاعفت من ثقة العرب بانفسهم ، فيما كان الاسرائيليون يعتقدون ان العرب سيفكرون طويلا قبل ان يشنوا حربا جديدة ضد اسرائيل ، إلا ان حرب اكتوبر ، علمت العرب ان بامكانهم تحقيق بعض الانتصارات العسكرية فيما لو توفرت لهم بعض الشروط ، ولكن دون ان يتمكنوا من سحق اسرائيل وإلغائها من الخارطة كما كان يحلم بعض قادتهم سابقا . ويضيف وايزمن ان بين الدروس الاخرى التى استوعبها العرب من حرب «يوم الغفران» ان اسرائيل ليست تلك القلعة الحصينة التى لا يمكن اقتحامها ، وانها صاحبة جيش لا تحصى فيالقه المكونة من جنود متميزين ، فقد اطاحت حرب عام ١٩٧٣ بوهم اسمه اسرائيل ، واصبحت هذه فى نظر العرب مجتمعا مفككا تتنازعه الخلافات الداخلية وينتظر «الدولة» مصير شبيه بمصير «الدولة الصليبية» ، ثم ان العرب كانوا يعتقدون ان عنصر الوقت يعمل لصالحهم ، وقد جاءت «حرب يوم الغفران» لترسخ هذه القناعة لديهم ، إضافة الى ان استخدام العرب لسلاح النفط قد جعل منهم قوة اقتصادية لا يستهان بها بعد اليوم ، كما جعلهم «النفط» ذوى نفوذ سياسى وقوة استراتيجية .

ثم يشير وايزمن الى ان العرب غيروا من تكتيلهم ضد اسرائيل بعد حرب اكتوبر، اى ان هذا التكتيك الجديد اتسم «بالاعتدال» قياسا على الفترة السابقة التى كانت تتسم بالتصريحات والخطب العنيفة ، ويقول ان العرب قادوا حملة «كاذبة» من اجل السلام ، فصوروا سياسة اسرائيل فى شكل متصلب !!! ، بينما ابرزوا سياستهم فى شكل معتدل ، وتوصلوا بهذا التكتيك الى اقناع حكام الغرب انه لابد من إقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وغزة !!

وفى نقطة اخرى فى الكتاب يتطرق وايزمن الى مستقبل اسرائيل فيشير الى ان اسرائيل لن تضمن المستقبل إلا إذا اقامت روابط مع العالم الاسلامى ، إذ ان من الخطا ان تعتمد اسرائيل على الاقليات فى الشرق الاوسط ، وفى هذا المجال يشير وايزمن الى علاقات اسرائيل مع من يصفهم «بالمسيحيين فى لبنان» ، فيعزو هذه العلاقات الى «اسباب انسانية فقط» !! وبالنسبة للحكم الذاتى (الفلسطينى) يقول وايزمن ان بيجن طرح مشروع الحكم الذاتى من منطلق رغبته فى الاحتفاظ بالضفة الغربية وقطاع غزة تحت السيطرة الاسرائيلية ، وانه راى فى هذا المشروع وسيلة لمنع الانسحاب الاسرائيلى من هاتين المنطقتين . ويصف وايزمن بيجن هنا بالمستبد برايه ، فهو ليس بالرجل الذى يمكن ان يتعامل مع زملائه من خلال آرائهم ، بل انه يسعى دائما لان يكون رايه هو الحكم الفاصل فى كل قضية ، مستغلا منصبه كرئيس للحكومة فى هذا السبيل . ويضيف وايزمن فى تصويره لشخصية بيجن بقوله ، إن بيجن هو من طراز رجال السياسة الذين لا يحتاجون الى مستشارين ويكفيه بعض المساعدين فقط ، لانه لا يتحمل آراء ومقترحات تتعارض مع رؤيته «التوراتية» للامور ، ثم يصف الوزراء فى حكومة بيجن ، بانهم فئة من الناس تفكر كما يفكر رئيسها بيجن ، وقد تعلموا ان يتجاوبوا مع رغباته دائما .

وبالاضافة الى افكار عيزر وايزمن هذه التى ضمنها كتابه «المعركة من اجل السلام» ، نجد ان الرجل يشير لماما الى القضية الفلسطينية ، ونعثر على عبارة له فى مقالة كتبها اصلا لموسوعة الجيش الاسرائيلى تحت عنوان «الجيش والامن» فى عام ١٩٧٨ ونشرتها صحيفة «معاريف» بعد ثلاث سنوات ، حيث يقول إن رئيس اركان الجيش (فى عام ١٩٧٨) مردخاى غور رافقه فى إحدى زياراته للقاهرة ، للاشتراك فى مداولات اللجنة العسكرية المشتركة ، وقد اتضح هناك ان غور فهم بسرعة ان القضية الفلسطينية هى المشكلة الاساسية . وفى مقابلة مع التليفزيون الاسرائيلى بتاريخ ١٨ ـ ٨ ـ ١٩٨١ حث وايزمن حكومة بيجن على تغيير سياستها لكى يصبح بالامكان إيجاد حل للقضية الفلسطينية ، وقال انه «لا يعارض اقامة كيان فلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة» !! وفى نفس المقابلة قال وايزمن ايضا ان الغارة الاسرائيلية على المفاعل النووى العراقى «لم تحل شيئا» واضاف ان المشكلة النووية فى الشرق الاوسط ينبغى ان تحل باتفاق سياسى فى المنطقة .

وإذا اخذنا هذه الآراء على محمل الجد ، دون النظر الى خلفياتها ـ وهى توفر فرصة لتاكيد وضمان وجود اسرائيل من خلال اعتراف عربى بها ـ فان آراء عيزر وايزمن تبدو متطورة فعلا لكن بالاضافة الى تلك الخلفية التى اشارت اليها صحيفة «هارتس» بوضوح بتاريخ ٢٨ ـ ٥ ـ ١٩٨٠ كما اسلفنا ، فان افكار وايزمن التى سبقت عام ١٩٧٧ ، تلقى اضواء اكثر سطوعا على مفاهيمه الرجراجة ، والتى لا يمكن تقييمها خارج اطار الانتهازية السياسية التقليدية ، فلقد كان وايزمن هو الذى مد اليمين الصهيونى فى حزب حيروت بالافكار التى ساعدت على انجاحه فى انتخابات عام ١٩٧٧ بعد تحالفه مع حزب الاحرار وتشكيل «الليكود» ، حيث كان «حيروت» يعانى من افتقاره الى نظرية بشان امن الكيان الصهيونى ، فجاء انضمام وايزمن اليه بما يحمل من افكار فى هذا الشان ، بداية انطلاق من نقطة العجز نحو تكوين نظرية امنية لاسرائيل من وجهة نظر اليمين المتطرف . وقد اخذ هذا اليمين فعلا بالترويج لافكار وايزمن وتتمثل هذه الافكار باختصار فى قول وايزمن ان شمال سيناء اهم لاسرائيل من شرم الشيخ ، وان غزة اهم لها من ثيران ، وانه لا يجوز لمصر ان تعود الى سيناء ، إلا اذا جردت هذه من السلاح المصرى ، اما عن الضفة الغربية فان غور الاردن يشكل الحدود الشرقية لاسرائيل ، واما هضبة الجولان فان وايزمن يصر على نزع سلاحها ايضا إذا تحقق السلام .

ويفصح وايزمن عن افكار اخرى فى مقالته « الجيش والامن » التى اشرنا إليها انفا ، فيكشف النقاب في سياق حديثه عن غزو جنوب لبنان في عام ١٩٧٨ ، عن عدد من المعلومات الجديدة والمهمة ، ومنها الاسباب الحقيقية وراء خلق واحتضان ظاهرة سعد حداد فى جنوب لبنان ، والسخرية من الدوائر الاسرائيلية التى حاولت تغليف ظاهرة حداد هذه بغطاء الدوافع الانسانية لحماية الجيب الانعزالي ، كما يكشف النقاب كذلك عن مخططات اسرائيلية لايجاد امتداد اقليمي اسرائيلي من جبل الشيخ وحتى البحر المتوسط ، والتاكيد على ان عملية اجتياح

الجنوب اللبناني في عام ١٩٧٨ ، كان يتوجب أن يشمل مدينة صور أيضاً . وقد قال وايزمن عن احتضانه لسعد حداد : «إنني لم أبع للأمريكيين وللعالم المرأة الحامل القادمة من جنوب لبنان لتلد طفلها المسيحي ، وإنما اعتبرت الأمر ضمانة افضل لأمن مستوطنات مثل « مسغاف عام » و «معيان – باروخ ... ولم يكن من قبيل الصدفة انني التقيت بحـــداد منذ ولايتي (كوزير للحرب) » .



موشي ديان



اريل شارون



اسحاق شامير

من هـــو ؟

ولد عيزر وايزمن في تل ابيب في عام ١٩٢٤ ، وتجند في سلاح الجو البريطاني سنة ١٩٤٢ ، والتحق بمدرسة الطيران في روديسيا (زيمبابوي حالياً) . وبعد تسريحه من الجيش البريطاني ، درس العلوم الجوية في بريطانيا لمدة عام ، ثم اصبح في مطلع عام ١٩٤٨ طياراً في البالماخ (الجناح العسكري لعصابة الهاغاناه) ، وتوجه إلى تشيكوسلوفاكيا في مطلع آيار (مايو) ١٩٤٨ مع مجموعة صغيرة من الطيارين لدراسة طائرات ميسر شميدث ونقلها الى فلسطين ، ثم عين قائداً لأول سرب قتالي في سلاح الجو الاسرائيلي ، وبعد ذلك رئيساً لدائرة العمليات في سلاح الجو ، وتوجه إلى بريطانيا في عام ١٩٥١ ، حيث التحق بمدرسة القيادة والأركان التابعة لسلاح الجو البريطاني ، ولدى عودته عين (في عام ١٩٥٣) قائداً لجناح طائرات ميثيور المقاتلة ، واصبح خلال العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ ، قائداً لجناح جوي مقاتل ، ثم عين في اعقاب تلك الحرب رئيساً للقسم الجوي في سلاح الطيران ، ثم قائداً لسلاح الجو في تموز (يوليو) ١٩٥٨ .

وبتاريخ ١٩٦٦/٤/٢٧ ، نقل من منصب قائد لسلاح الجو ، لكي يعين رئيساً لشعبة الأركان العامة ، وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ ، انهى خدمته في هذا المنصب ، وترك الجيش ، إلا انه استدعي الى الخدمة مرة ثانية لدى اندلاع حرب عام ١٩٧٣ ، وعين مساعداً لرئيس هيئة الأركان العامة ، ثم ترك الجيش مرة اخرى لدى انتهاء الحرب . وفي ١٩٧٧/٥/١٧ اسفرت الانتخابات العامة في الكيان الصهيوني عن فوز كتلة الليكود اليمينية باكثرية مقاعد الكنيست التاسع ، الامر الذي ادى إلى خروج حزب العمل من الحكم الذي تولاه منذ قيام اسرائيل في عام ١٩٤٨ ، وكان عيزر وايزمن ثالث ثلاثة بين زعماء الليكود الذي تشكل من توحيد حزبي حيروت والاحرار ، وكان الزعيمان الآخران مناحم بيجن وسيمحا إيرليخ ، وإزاء هذه النتيجة المفاجئة ، اصبح عيزر وايزمن وزيراً للحرب في الحكومة التي شكلها مناحم بيجن عقب تلك الانتخابات ، وبقي يشغل هذا المنصب ، إلى ان انفجر خلاف عنيف بينه وبين رئيس الحكومة مناحم بيجن حول اسلوب « الســلام مع مصــر » وقد تفاقم ذلك الخلاف إلى حد دفع عيزر وايزمن إلى تقديم استقالته من منصبه كوزير للحرب ، وذلك بتاريخ ١٩٨٠/٥/٢٦ ، وانصرف منذ ذلك الوقت إلى اعماله التجارية الخاصة (استيراد وبيـــع السيارات) .

بين الجمود والانفتاح !!

لقد طرحنا افكار عيزر وايزمن ، او بالاصح بعض مفاهيمه وافكاره ، من باب التعريـــف بالرجـــل ، باعتبـــاره احد الشخصيات التي لعبت دوراً بارزاً في تاريخ الكيان الصهيوني ، وباعتباره احد الشخصيات المطروحة كبديل لمناحم بيجن في رئاسة الحكومة الاسرائيلية ، ولا شك ايضاً ان التعريف بعيزر وايزمن يبدو امراً في غاية الاهمية في ضوء الشعار الصيني القديم « اعرف عدوك » ، ويبقى ان نشـير بحذر شديد إلى ان ما توحيه افكار ومفاهيم عيزر وايزمن «المستحدثة» وخاصة بعد عام ١٩٧٧ ، من «انفتاح» ليست في الواقع إلا تعاملا اكثر عقلانية مع الآفاق الجديدة التي طرأت على الصراع العـــربي – الصهيوني منذ حرب اكتوبر المجيدة في عام ١٩٧٣ ، وبقدر ما تمثل من خروج على «الدوجمية» التي يتميز بها مناحم بيجن وأريئيل شارون واسحق شامير ويوسف بورج ، وربما كان في نشاة وايزمن المختلفة عن هؤلاء سبب بين اسباب اخرى عديدة في تخلي وايزمن عن الدوجمية والتعصب الاعمى للأفكار التي اشتهر بها حزب حيروت ، حيث يقول يوري افنيري في مقاله نشرتها مجلة « ويرلد رفيو في آذار (مارس) ١٩٧٩ » ، يقول عن عيزر وايزمن إنه نشا وترعرع بين العرب الذين يشكلون جزءاً من عالمه ، اما بيجن فلم تطا قدماه ارض فلسطين إلا عندما كان في الثامنة والعشرين من عمره ، مما جعل العرب عنصراً غريباً تماماً بالنسبة إليه ، إضافة إلى اختلاف في العقليتين ، حيث يعلق بيجن اهمية كبرى على العبارات والنصوص والصيغ ، ويبحث دائماً عن معنى مختبىء وراء لفظ او عبارة ... اما وايزمن فهو ينظر دائماً الى صلب الموضوع ولا صبر لديه على القضايا الجانبية .

وعلى اية حال ، فخـــير وصـف يمكن ان يوصـــف بـــه عيزر وايزمن هـــو انه صـاحب الآراء الزئبقيـــة .

الدار

قصة بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

انتهى ترتيب الدار وامتلأت الغرف باثاثها . بعض هذا الاثاث كان مودعاً عند اهل الزوجة وبعضه كان في منزل تاج الدين ، الاخ الشقيق للاستاذ محيي الدين . إنه اثاث لائق على قدمه ، لم يحتج لغير نفض الغبار عن قماش مقاعده ومسح خشب الخزائن بخرقة مبلولة لياخذ مكانه في البهو ، وغرفتي النوم ، وغرفة جلوس الاسرة ، كان عشر سنوات لم تنقض على اخراجه من هذه الحجر وإيداعه في منزل شقيق القاضي المتقاعد ومنزل حميه .

قالت أم بشار ، زوجة الأستاذ محيي الدين ، تخاطب ابنها الذي انتهى من غسل يديه وعاد إلى غرفة الجلوس :

ـ هذا لتتعلم يا ولدي أن الرزق نصيب مقدر ، وأن تستفيد مما تتعلم .

كان بشار ، ولدها ، قد عاد إلى الدار منذ قليل ، فرحاً بتسجيل أوراقه في المدرسة الثانوية المجاورة ، في الصف الحادي عشر وإن كان اكثر اترابه من سنه ينتسبون الى صف البكالوريا . لم يرد على كلمات أمه ، ولعله لم يفهم ما تقصده منها ، وقام ليزيح الطاولة الواطئة من مكانها الجانبي كي تتوسط الغرفة . وتولى الأستاذ محيي الدين ، القاضي المتقاعد ، التعليق على كلام زوجته وقد خيل إليه أن لهجتها فيه لا لا تخلو من مرارة . قال :

ـ لنحمد الله على كل حال يا امرأة . الأولاد بصحة جيدة ، ونحن مستورون .

قالت : وهل تكلمت بشيء لا يرضي يا ابا بشار ؟ اردت لولدنا أن يستفيد من أخطاء ابويه ، فلا يقع فيها .

قال الأستاذ محيي الدين ، ببعض الحزن : شكراً يا أم بشار ان أشركت نفسك ، ولم تقولي خطأ ابيه وحده .

قال بشار ، وقد أثرت به لهجة أبيه فأراد أن يسري عنه : أنتما لا تحسبان لي حساباً . الدار لا تعجبكما وانا مسرور بالعودة إليها . غرفتنا ، انا واختي ، لاتزال على حالها ، وإن وجدتها أصغر مما كنت اتصور . لا ، لم تصغر الغرفة ... نحن كبرنا . كم كان عمري ، يا أبي ، لما تركنا الدار والبلدة الى الخليج ؟ .

فاضت نفس الأب بالعطف ، وأحس ببعض الراحة أن ما يجرحه هو وزوجته من أمر الدار لا يقلق ابنهما البكر . قال :

ـ كان عمرك سبع سنين ، وانت الآن في السابعة عشرة . عشر سنوات من عمرنا قضيناها في تلك البلاد البعيدة .. الطيبة . لا يمكنني أن أقول عنها إلا أنها طيبة .

قالت أم بشار : الحق معك . إنها طيبة ، ولا ذنب للناس هناك فيما جرى لنا هنا . كنت أنت مقدراً عندهم ، فهم لا يذكرون القاضي المستشار إلا بالثناء والاحترام . وكانت نساؤهم يفسحن لي صدر المجلس في الاستقبالات والأعراس قائلات : أوسعن لزوجة المستشار .. اكرمن زوجة المستشار .

قال بشار ، مقاطعاً أمه ، في خبث : والحر يا أمي ، والرطوبة ، وزوابع الغبار ..

قالت الأم : هذا لم يكن بيدهم . المنزل الذي خصصوه لسكنانا كان من أحسن المنازل . وراتب أبيك ...

وسكتت للحظة ، فأكمل الأستاذ محيي الدين الكلام قائلاً ، كأنما كان يحدث نفسه :

ـ لم تكن لي شكوى من ناحية الراتب . أعطوني المتفق عليه وفوقه علاوات . وزاد راتبي عاماً بعد عام زيادة ما كنت أتوقع الحصول عليها لو اننا ظللنا هنا . وما اقتصدته ، فوق ما صرفناه ، كان كذلك أكثر مما كنت أتوقع . ما ذنبهم هناك في الجنون الذي أصاب الدنيا هنا ، حين ارتفع ثمن كل شيء ؟

قال الصبي ، بمرح : إلا ثمن الانسان . انت قلت هذا أكثر من مرة .

فرد الأب جاداً : لعلي لم أقصد حياة الانسان يا بني ، بل قصدت جهده . وليس جهد أي انسان ... بل الانسان الشريف .

فتدخلت الزوجة قائلة : كانك نادم على انك كنت انساناً شريفاً يا ابا بشار .

قال القاضي المتقاعد ، بلهجة احتجاج : انا ؟ متى سمعت مني هذا ؟

قالت متضاحكة : لا تغضب مني . وكذلك لا تحمل هماً عني . أعرف أن نصف ما أصابنا كان من فعل الظروف التي ما لنا قدرة عليها ، ونصفه لأنك تصرفت عند سفرنا ، قبل عشر سنين ، تصرف رجل شريف .

وهنا قال بشار ، مخاطباً أبويه معاً : قبل لحظات قال أبي انني بلغت السابعة عشرة . صرت رجلا . ولكنكما تعاملاني كطفل . وتتكلمان أمامي بكلام مبطن . ما هو هذا الهم الذي يشغلكما ويحاول كل منكما أن يحمله عن الآخر ؟

تطلعت المرأة الى زوجها بنظرة ذات معنى ، ثم التفتت الى ابنها وقالت :

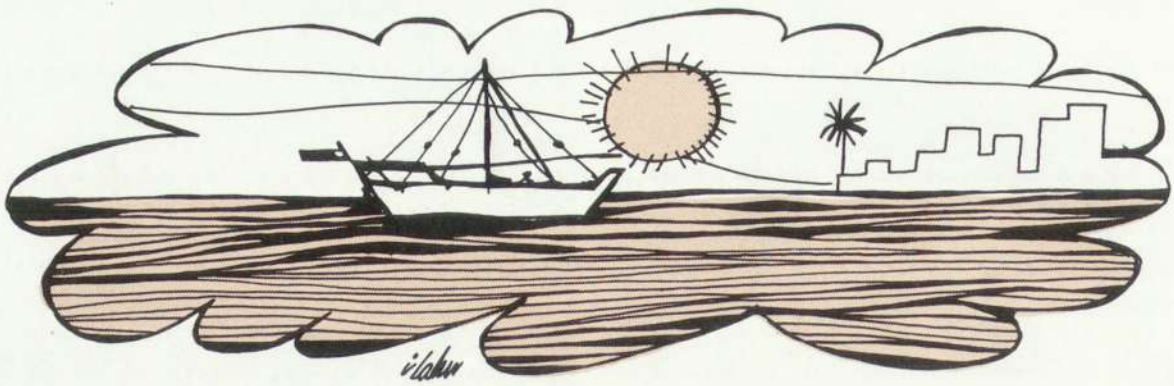
ـ غير معقول أن لا تكون عرفت همنا يا بشار يا ولدي .

أضاف الأب موضحاً : همنا أننا ، بعد عشرة أعوام من التغرب ، ومن العيش في قوة ومناخ لا يرضى ، عدنا الى دارنا بالذات .

قال بشار : وهل هذا هم ؟ ما دخل عودتنا الى دارنا بكونك رجلا شريفاً يا أبي ؟

زفر الأب وظل ساكتاً بينما قالت أم بشار : اسمع يا ولدي . كنا نسكن هذا البيت ، ونملكه ، حين كلفوا أباك بمهمة . أصدروا قراراً بنقله قاضياً معاراً الى البلد الخليجي الذي تركناه منذ شهر ...

قال الأستاذ محيي الدين : بل قولي له



الحقيقة . انا المسئول . فكرت بانكم ستكبرون ، وستصبح الدار صغيرة علينا . وكنا فوق ذلك فى ضائقة . ولاحت لي فرصة لتحسين مواردنا فالتمست قبول طلبى . انا الذى تقدم الى الوزارة بطلب الاعارة .

قالت : لا فرق بين ما اقوله انا وما يقوله ابوك . كان علينا دين . فلما قبل طلبه قال لي ان الدنيا فيها حياة وممات ، وانه لن يسافر الى ذلك البلد البعيد وفى عنقه قرش لانسان ، ولهذا فانه ينوى بيع الدار ليفى ديونه . دائنوه كانوا من اقاربنا ، ولا يصعب عليهم الانتظار الى ان تتيسر الامور ، إلا ان اباك يا بشار قاض ... رجل شريف .

وعلى الرغم منها تسرب عرق من المرارة الى لهجتها وهى تلفظ جملتها الاخيرة . فقال القاضى المتقاعد كالمعتذر عن ذنب اتى به :

ـ من يملك معرفة المستقبل وما يجرى فيه ؟ المستقبل بيد الله . تصرفى فى تلك الايام ، يا ام بشار ، كان معقولا . غير المعقول هو ما جرى فى هذه السنين العشر.

وهنا قال الصبى : ولكننا عدنا الى دارنا القديمة .. انا ، ومعى سعاد وهناء ، مسرور بالعودة اليها وباننا بعدنا عن غبار تلك البلاد الخانق وعن رطوبتها الفظيعة . إذن انتم لم تتبيعوا الدار قبل عشر سنوات .

قالت الام : بل باعها ابوك يا ولدى ، وفى ديونه .

قال الاب : انا لا الومك اذا لم تعجبك تلك السنوات العشر . ولكننا اضطررنا الى الهجرة . كان علي ان افى الدين ، كما كنت احلم بان استبدل هذا البيت بمنزل اوسع اذ بدا يضيق بنا ، امك وانا وانت واختيك .

قالت الامرأة ، مكررة ما قاله زوجها فى اول حديثهما مع صبيهما :

ـ الحمد لله على الصحة والستر يا رجل .

قال الاستاذ محيى الدين : بل ليعرف بشار . الم يقل انه اصبح رجلا ؟ اسمع يا بنى . بعنا الدار وعشنا عشرة اعوام فى الغربة التى تحملناها نحن وضايقتكم ، انتم اولادنا . لم يسهل عليكم العيش فى حرارة تلك البلاد ولا تقبلتم رطوبة الجو فيها ولا غبرتها الخانقة . مرضت انت ، ومرضت اختاك ، اكثر من مرة . ومع ذلك بقينا هناك اكثر مما كنا نتوقع . كل ذلك طمعاً بان نعود بكم الى دار اوسع وحياة ارغد . وجمعنا يا بنى مالا . كنا نقدر اننا جمعنا ثروة كبيرة . ولكننا حين عدنا وجدنا فى بلدنا التى غادرناها منذ عشرة اعوام ازمة لم تكن فيها عند مغادرتها ...

فسال بشار : اى ازمة يا ابى ؟

فاجابت الام قائلة : ازمة المساكن .

قال الصبى : ولكنى ارى فى كل مكان عمارات وبيوتا جديدة . بعضها جاهز للسكن وبعضها قيد البناء .

قال الاب : الصحيح ان الازمة ليست فى وجود الدور وإنما فى غلاء تكاليف بنائها وغلاء اثمانها . بحثنا عن الدار التى كنا نحلم بشرائها لتتسع لنا ولكم يا اولادى ، ولكننا لم نجدها . او اننا وجدناها ووجدنا معها ان الثروة الوفيرة التى جمعناها فى تلك السنوات الكثيرة لا تكفى ثمنا لها . وفى آخر الامر ...

وسكت الاب فردد بشار جملته الاخيرة سائلا : وفى آخر الامر يا ابى ؟

فلم يرد الاستاذ محيى الدين . وكان زوجته وجدت ان عليها ان تتولى الجواب ، فقالت وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة عطوف :

ـ صرنا نبحث عن دار تؤوينا ولا تضطرنا الى النزول ضيوفا على الاقارب . وفى آخر الامر وقعنا على بيت يتلاءم وما استطعنا ان نجمعه فى سنوات الغربة العشر . ولا تحسب يا ولدى اننا وجدناه بسهولة . تعذبنا كثيراً حتى وقعنا عليه .

قال بشار : واين يقع البيت ذاك ؟

قال الاب : الم تعرف بعد ؟ انه هذه الدار . الدار التى نحن فيها الآن . بعناها قبل ان نسافر وعدنا اليوم فاشتريناها ... بغربتنا وشقائنا فى عشرة اعوام كاملة !

تطلع الصبى فى وجه ابيه لحظة ، ثم اطرق برأسه وردد بصوت خفيض كانه يحدث نفسه :

ـ عشرة اعوام كاملة !

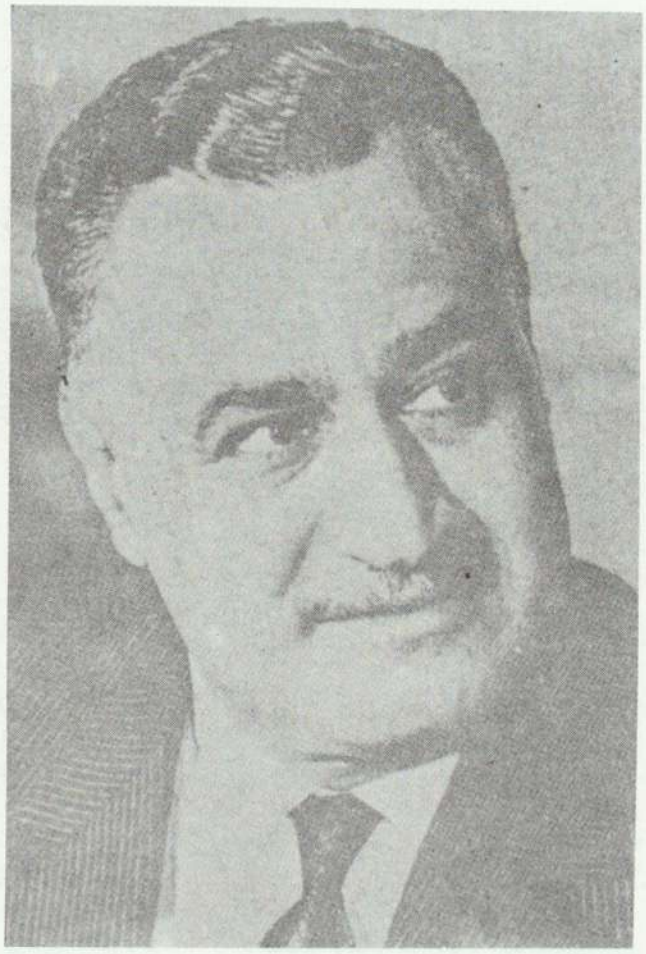
اما الاب فتابع يقول : عندما تتذكر امك انى بعت الدار قبل سفرنا لاقضى ديونى وتلومنى على ذلك فالحق معها . انها قاست من الغربة اكثر منى . ولكنى لو لم اتصرف كما يتصرف الشرفاء من الناس للامتنى ايضاً . انا اعرفها .

فاعترضت ام بشار قائلة : ليس كل الشرفاء يصيبهم ما اصابنا . لعلها القسمة والنصيب ... الحظ .

وهنا قام ابو بشار ، الاستاذ محيى الدين القاضى المتقاعد ، من مكانه وخطا فى غرفة الجلوس كمن يريد ان يختم الكلام فى الموضوع . وقال وهو يتصنع الابتسام :

ـ الحظ .. ربما . ولعله حظ الشرفاء يا ام بشار . انفقنا من عمرنا عشر سنوات فى الغربة والعناء ، ورجعنا الى حيث انطلقنا.

هذا ليعلم بشار اى هم لنا فى عودتنا الى هذه الدار . انه مسرور بالعودة اليها ، وهذا ما يجعلنا نحمد الله . نحمده على ما قسم لنا ، وعلى الصحة ، يابنى ، والستر .



جمال عبد الناصر



جون كيندى

بين جمال عبد الناصر وجون كيندي

بقلم: جمال الكناني

لولا قناعتى بأن مجلة الدوحة الغراء تلتزم البعد عن السياسة تماماً ، لكان لي شأن اخر فى معالجة الوثائق التاريخية التى يحتويها هذا المقال ، ولقدمناها دليلا ماديا على الفرق الشاسع بين شخصيتين مصريتين كان لهما على السياسة العربية أثر عميق .

كان الزعيم الراحل جمال عبد الناصر فى نيويورك أيام الحملة الانتخابية للرئاسة ، وفيها وقف نكسون مرشح المحافظين أمام كيندى مرشح الديموقراطيين .. ونتيجة انتخابات الرئاسة الأمريكية ، التى تتحكم فيها اسرائيل دائما ، تهم مصر والعالم العربى بطبيعة الحال . ورتبت شبكة التليفزيون الأمريكى سلسلة مناظرات بين مرشحى الحزبين ، وحرص جمال عبد الناصر على متابعة تلك البرامج .. واتفق رأيه إذ ذاك مع آراء أغلبية الأمريكان الذين حكموا بتفوق كيندى فى تلك المناظرات ، بأن كيندى هو الذى يفوز بالرئاسة ، وقد فاز فعلا .. وكان عبد الناصر رغم اعجابه بشخصية كيندى ، يتمنى أن يفوز نكسون الذى كان نائبا للرئيس ايزنهاور أيام العدوان الثلاثى على مصر ، وكان لايزنهاور فى تلك المناسبة موقف مشرف .

جاء نجاح جون إف كيندى وبدء رئاسته فى أعقاب الخلاف الذى دب بين عبد الناصر وخروشيف حول الوحدة العربية ، مما أتاح الفرصة إذ ذاك للولايات المتحدة لاعادة بناء بعض ما تهدم من الجسور السياسية بينها وبين مصر ، وأصدرت الولايات المتحدة القانون رقم ٤٨٠ مما مكن الحكومة الأمريكية من ارسال القمح الى مصر فى الفترة بين ٥٩ ـ ١٩٦٠ ..

استمع عبد الناصر لخطاب الافتتاح الذى القاه كيندى فى يناير ١٩٦١ فى الاحتفال بتنصيبه رئيسا ، وأعجب بما قال الرئيس الشاب وخاصة اشارته الى الجيل الذى ولد فى القرن العشرين وقدرته على تفهم شئون القرن العشرين ، كما اعجبه قول كيندى لكل مواطن أمريكى « لا تسأل عما يمكن لوطنك أن يعطيك ولكن اسأل عما يمكن أن تعطيه أنت لوطنك » .

وظهرت فى الجو شائعات ، وتسربت الاخبار لعبد الناصر فعرف ان الاسرائيليين فرحون مغتبطون لانتخاب كيندى لأنه قطع لهم وعودا سرية بمدهم بالسلاح بعد أن كان ايزنهاور من ناحية وديجول من ناحية قد عوقا ارسال الاسلحة الى اسرائيل .. ولعب « الفار فى عب » جمال وساورته الشكوك ولكنه كان مضطرا الى بناء نوع من العلاقة مع كيندى ..

● ●

فى ٢٠ فبراير ١٩٦١ كتب عبد الناصر أول خطاب منه لكيندى ، فكان الحلقة الأولى فى حوار استمر طويلا بين الرجلين . كان موضوع هذا الخطاب هو مقتل لومومبا الذى سبب حزن عبد الناصر وغضبه وإيمانه بأن أمريكا لعبت فيه دورا .. واتسم الخطاب بالدبلوماسية ولكنه لم يدع مجالا للشك فى عمق شعور كاتبه إذ قال :

« الولايات المتحدة مسئولة الى حد كبير عن نجاح الأمم المتحدة .. وكثيرا ما يكون موقفها من تلك المنظمة عاملا حاسما يقرر فشلها أو نجاحها .. من ذلك أن الأمم المتحدة فشلت فى حل قضية فلسطين لأن أمريكا لم تقدم لها أى عون أو مساعدة . ومن ناحية أخرى ، أحرزت الأمم المتحدة فوزا أثناء أزمة السويس عام ١٩٥٦ لأن أمريكا لم تتخل عن مسئولياتها تجاه المنظمة الدولية وغضت نظرها عن العلاقات السيئة آنذاك بين مصر وأمريكا .

ومن المؤسف حقا أننا لا نستطيع أن نصف الدور الذى لعبته أمريكا فى الكونغو على نحو ما وصفنا دورها فى السويس حين وقفت بجانب المبادىء دون النظر عن الصداقات والعداءات ..

ورد كيندى على عبد الناصر فى ٢ مارس ١٩٦١ بخطاب اتسم بالاحترام والمجاملة دون أن يتجرد عن الحزم .. وشرح الرئيس الأمريكى نواحى الاتفاق بين وجهتى النظر بصورة عامة وقال « من واجب أمريكا أن تلعب دورا أكبر ، وليس أصغر ، فى إعادة الهدوء للكونغو ، كما يجب إبعاد الكونغو عن نطاق الحرب الباردة .. ولعلكم تتفقون معى كذلك فى أن الاغتيال السياسى سواء أكان موجها للمستر لومومبا واتباعه ، أو كما حدث مؤخرا ، لخصومه على أيدى جماعة ستنالى فيل ، يجب أن يخضع لتحريات وتحقيق لا هوادة فيه وان نشجبه بكل قوة ونحن متفقون كذلك على أن أى عون يصل الى الكونغو عن غير طريق الأمم المتحدة ، سواء أكان من الرجال أو المال أو المواد يجب أن يعتبر تدخلا بالغ الخطورة ، ويجب تحريمه تحريما باتا » .

ثم قال : « ولا أكون صريحا اذا أنا لم أذكر أن الاعتراف بأى هيئة غير الحكومة الشرعية التى اعترفت بها الأمم المتحدة يعتبر فى رأينا نيلا من كرامة المنظمة الدولية وحدا من سلطتها ، كما أنه يزيد من احتمال نشوب حرب أهلية وما يتبع ذلك من تدخل أجنبى .



نيكسون



ديجول



داج همرشلد



ايزنهاور



باتريس لومومبا

بين جمال عبد الناصر وجون كيندي





لقد أكدتم ياسيادة الرئيس « المسئوليات الخاصة » التى ترون أنها تقع على عاتق حكومتى بالنسبة لصيانة دستور الأمم المتحدة ، وأقترح بدورى أن دولا أخرى وخاصة الدول غير المنحازة ذات النفوذ ، فرادى وجمعاً ، عليها مسئوليات ثقال وأمامها فرص خاصة .

الولايات المتحدة كفيلة برعاية مصالحها ولكن نظام الأمم المتحدة هو الذى يضمن الأمن لكل شعب . والدول التى تعتمد على هذا النظام الى حد كبير ، كوسيلة لصيانة كيانها واستقلالها يجب ان تلعب دور القيادة فى تجسيم مساندتها الكاملة وأبرازها لاستمرار عمل الأمم المتحدة فى الكونغو . وبهذه الطريقة وحدها يمكن حل مشاكل الكونغو والمحافظة على الأمم المتحدة كقوة كبرى بناءة تدعم السلام والتطور المنتظم الرتيب فى شئون العالم . وأنا ارحب بكل لفتة تشير الى مساندتكم الشخصية لانجاز هذه المهمة العاجلة ..

أنا أقدر ما بعثتم الى به من تمنيات طيبة وأبادلكم إياها » .

● ●

كانت الرسائل المتبادلة بين عبد الناصر وكيندى بعد ذلك ، كما كانت اللقاءات بين عبد الناصر وداج همرشلد ، هى الترمومتر الذى تقاس به العلاقات بين مصر وأمريكا وكانت درجة حرارتها ترتفع حينا وتنخفض أحيانا ..

أهم الأحداث التى تلت ما وقع فى الكونغو ، كانت قيام بعض رعايا كوبا المقيمين فى الولايات المتحدة ، تلقائيا ، او بايعاز من الحكومة الامريكية أو بموافقتها المستترة ، بحملة فاشلة لغزو بلادهم بقصد الاطاحة بنظام فيديل كاسترو .. وكان كاسترو يتمتع اذ ذاك بتاييد عبد الناصر وتيتو ..

وكتب عبد الناصر خطابا لكيندى يعلن تأييده لكاسترو .. ورد كيندى على عبد الناصر فى ٣ مايو ١٩٦١ بخطاب جاء فيه :

« لم يتهم أحد قواتنا الامريكية المسلحة بالتدخل فى الموقف الكوبى ، إذ لو أن هذه القوات تدخلت ، لكانت النتيجة مؤكدة لاشك فيها .. وما الاحداث المحزنة التى وقعت فى كوبا مؤخرا الا مثلا آخر ، من عديد ما ورد فى التاريخ ، على أن عددا من المواطنين ممن يقدسون الحرية ، حملوا السلاح لتخليص وطنهم وانقاذه من الظلم والطغيان والاضطهاد ..

لقد جازف نفر قليل من الوطنيين الكوبيين الذين صمموا على اعادة الاستقلال السياسى لوطنهم ، بحياتهم وواجهوا جيشا يفوقهم عددا وعدة بدرجة ساحقة فقتل منهم من قتل وأسر وهرب من أسر أو هرب لينضم لحركة المقاومة التى تعتصم بالجبال لمواصلة الكفاح .

ولسوف تواصل حكومة الولايات المتحدة بذل أقصى جهد لضمان عدم اشتراك أى أمريكي فى أية عملية تجرى داخل أرض كوبا ، لكن الامريكيين وهم شعب يقدس الحرية ، لابد يتأثرون بما حل بجيرانهم فى كوبا من ضيق وبؤس . ولا يسع الامريكيين الا أن يتعاطفوا مع أولئك الذين اضطروا لاستعمال القوة لانقاذ وطنهم من العسف والطغيان .

وأنت ، سيدى الرئيس ، وبوصفك قائدا ثوريا تعرف تماما تلك العوامل والظروف التى تستطيع إثارة الرجال وتغيير وجه الشعوب .. وهناك ادعاءات باطلة بان هؤلاء الأحرار الذين بذلوا جهدهم للاطاحة بنظام كاسترو ، ما هم الا مرتزقة اجراء .. ومع ذلك فان آخر رسالة صدرت عن قائد هؤلاء الثوار ، كانت رده على شخص سأله عما اذا كان يطلب مساعدة للجلاء عن أرض كوبا والعودة الى امريكا فقال « كلا .. لن ارحل عن هذا الوطن » .. أبهذا يجيب مرتزق اجير ؟ هذه اجابة وطنى غيور .

ولأهل كوبا أنفسهم ان يتخذوا القرار الاخير ، وأنا وغيرى من الامريكيين على ثقة بأن الكوبيين لابد يكسبون النضال من اجل الحرية .

أعضاء الثورة الكوبية التى أعطت السلطة لكاسترو قد غدروا بالاهداف التى أعلنتها ثورتهم وكانت اهدافا نبيلة تعاطف معها الامريكيون .. وبلغ الغدر أن سجون كوبا قد امتلأت اليوم كما لم تمتلأ من قبل بالمساجين السياسيين .. ولقد أعدم أكثر من ٦٠٠ شخص دون النظر الى شرع أو قانون .. وهذا العدد يتزايد يوما بعد يوم ، وأكره أكثر من ١٠٠ر٠٠٠ كوبى على الهرب من بلادهم بسبب انتهاك حقوق الانسان منذ تولى السيد كاسترو حكم البلاد .

والثورات الوطنية الصادقة مثل الثورة المصرية ، لا تخلف مثل تلك الآثار السيئة .. الثابت أن عدد من سجن أو نفى أو انضم للمعارضة من بين اعضاء أول وزارة ألفها السيد كاسترو نفسه يبلغ اليوم ٢٣ وزيراً ، يضاف اليهم وزير آخر تم اعدامه .. والأمريكيون لا يستطيعون اخفاء عطفهم وتعاطفهم مع من يقاومون مثل هذا الطغيان .

ولقد حدث لاشك تدخل فى شئون كوبا الداخلية .. فهناك دولة عظمى تعادى العالم الحر ، سعت عن طريق كاسترو ونظامه الى استغلال آمال أهل كوبا ومطامحهم ، لتحقيق أهدافها الاستعمارية فى الحرب الباردة . ولعلك تذكر إنى قلت للشعب الامريكى يوم ٢٠ ابريل أننا غير مستعدين لقبول اية نصيحة بشأن « التدخل من قوم طبعوا بصماتهم على شوارع بودابست الدامية الى أبد الآبدين » ..

ورد جمال عبد الناصر على ذلك الخطاب بتاريخ ١٨ مايو ١٩٦١ وجاء فى رده :

« دعنى أخاطبك من وحى حديث شريف ورد عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم معناه ان صديقك هو الذى يخلص لك وليس هو الذى يؤمن بك فقط .. بعبارة أخرى أنا أرى فى الظروف الحاضرة أن من واجب من يهمهم مستقبل العالم ان يتبادلوا الآراء فى وضوح وصراحة واخلاص .. وأنا استهل خطابى بهذه الديباجة لكى اتحرر من قيود اللغة الدبلوماسية التقليدية » .

وجاء فى رسالة عبد الناصر بعد ذلك .. « لاحت لى فرصة لقاء الدكتور فيديل كاسترو ، رئيس وزراء كوبا ، مرتين . وتحدثنا طويلا ولمست اخلاصه لما عبر عن رغبته فى تأسيس علاقات ودية بين بلاده وبلادكم وهى جارتهم القوية المتقدمة .

وشعرت أن مشكلة العلاقات بين بلادكما تكمن فى الحاجة الى دراسة أعمق لمشاكل الشعوب التى تصبو الى بناء حياتها الاستقلالية ، فى الوقت الذى تمر بتاريخها لحظة تفجر ثورى ، وتمتزج فى اتجاهها رواسب الماضى بآمال المستقبل فى جو يتأثر بعناصر مقاومة التغير الثورى من ناحية وظروف الحرب الباردة وما ينجم عنها من توتر عالمى من ناحية أخرى .

والمألوف فى مثل هذه الظروف أن أى تدخل أجنبى يزيد الموقف تعقيدا ، وخير ما يمكن عمله هو السماح لتلك الشعوب

– دون التدخل فى شئونها – بتنظيم انفسها وشق الطريق الذى تختار بمحض إرادتها ، وهذا ما تستطيع هذه الشعوب انجازه بنفسها دون عناء .

كان أملى عندما تسلمتم زمام الحكم ، أن تقوم حكومتكم بمحاولات جديدة نحو كوبا لا تتأثر بالظروف السيكولوجية السابقة التى سادت العلاقات بين قطريكما قبل فترة رئاستكم وخاصة واننا لمسنا استعدادا من جانب حكومة كوبا للاستجابة لمثل تلك المحاولة .

ومن واجبى هنا أن احيطكم علماً بما شعرنا به فى الجمهورية العربية المتحدة وما أحس به غيرنا فى أنحاء العالم وهو ان الولايات المتحدة لم تكن بعيدة تماماً عن الأحداث المؤسفة التى وقعت فى كوبا . وهذا رأى لا يحتاج الوصول اليه أى عناء فمجرد النظر الى الصحافة الأمريكية أو الاستماع الى التصريحات الرسمية لبعض موظفى الحكومة الامريكية ، تكفى للكشف عن مدى التدخل الامريكى فى الاحداث الكوبية والكشف عن أدق تفاصيل ذلك التدخل .

وانتم لاشك تدركون فداحة الصدمة التى أصابت الرأى العام العالمى ، ولكنى أشعر – بكل اخلاص – أن علاج تلك الصدمة لا يكون بانكار ما حدث ولكن بمواجهته فى صراحة والعمل على أن لا تتكرر مستقبلا .

ولقد أعجبت كثيراً بشجاعتك المعنوية لما أعلنت أنك تتحمل مسئولية الموقف الذى اتخذته حكومتكم تجاه كوبا ، وشهدنا بعد ذلك نقطة تحول نبعت مما بدا لنا فى وقت ما كأنه اندفاع من السياسة الامريكية نحو صراع سافر لا مناص منه مع حكومة كوبا . ونسجل هنا كذلك تقديرنا لعدم تدخل القوات الامريكية المسلحة فى أحداث كوبا وتصميمك فى كل تصريحاتك على عدم تدخلها . وفى رأينا أن هذا الاتجاه انقذ الموقف فى كوبا من تدهور سيىء العواقب وأنقذ السلام العالمى من مأساة ظن ان تفاديها أمر مستحيل » .

● ●

ومرت الأيام وتعاقبت ونسي كيندى أو لعل الاحداث العالمية الأخرى انسته ما كان فى كوبا ، ثم انه لم يستطع مقاومة جذب أكبر مغنطيس سياسى فى العالم وهو الموقف المتفجر فى الشرق الأوسط فكتب لعبد الناصر فى ١١ مايو ١٩٦١ خطاباً يعبر فيه عن صداقته ومساندته للدول العربية ، ولكن بيت القصيد فى الخطاب كان الخلاف العربى الاسرائيلى .. قال كيندى :

« أنا ادرك أن القضية تنطوى على مشاعر وأحاسيس ومعتقدات عميقة راسخة وان حل المشكلة صعب عسير .. على أن الحكومة الامريكية ومعها الشعب الامريكى تؤمن بامكان إيجاد تسوية انسانية ، وهى مستعدة لبذل جزء من المجهود وحمل نصيب من المتاعب التى تصحب مثل تلك التسوية ، ذلك اذا رغبت الأطراف المعنية رغبة أكيدة فى اشتراكنا .

ونحن راغبون فى حل المشكلة المأساوية للاجئين الفلسطينيين على أساس اعادتهم الى وطنهم أو تعويضهم عن ممتلكاتهم ، وفى ايجاد حل مناسب لمشكلة تنمية موارد مياه نهر الأردن وتحقيق تقدم فى نواح أخرى من نواحى هذه المشكلة العويصة المعقدة » .. وكان فى الرسالة كلام معاد يؤدى نفس المعنى .

ورفض عبد الناصر ذلك « الطعم » أولا فلم يرد على الخطاب حتى يوم ١٨ اغسطس ١٩٦١ ، معتذراً عن التأخير بحجة أن لخطاب كيندى من الاهمية ما يبرر الرؤية فى فحصه والتأنى فى صياغة الرد .. وكان الرد طويلا فيه وصف مسهب لموقف العرب من القضية الفلسطينية . وصاغ جمال رده صياغة دبلوماسية دون ان يترك مجالا للشك فى آرائه وخاصة فيما يتعلق بالسياسة الامريكية ، وقال ان وعد بلفور لليهود بوطن قومى فى فلسطين كان ضرباً من الاحتيال ، تعاقب كل محاكم العالم من يرتكبه وان ذلك الوعد الخسيء يعطى الشيء لغير مالكه دون حق .. ثم قال « ومن المؤسف ، سيادة الرئيس ، أن الولايات المتحدة ألقت كل ثقلها فى هذه القضية ضد القانون وضد العدالة .. ويرجع السبب فى ذلك الى عوامل داخلية ، أهمها محاولة الحصول على أصوات اليهود فى انتخابات الرئاسة وهى محاولة لوثت السياسة التى يتبعها فى الشرق الأوسط أغلب رؤساء الحكومة الامريكية .. ولقد قرأت أن سلفك المستر هارى ترومان ، وهو الذى وضع كل ثقله وبالتالى ثقل الحكومة والشعب الامريكى ضد حقوق العرب المشروعة ، لم يجب على من حاولوا اقناعه بتعديل وجهة نظره ، الا بسؤالهم فى بساطة « هل للعرب أصوات فى الانتخابات الامريكية ؟ » ..

واستطرد عبد الناصر فى حديثه وشرح فى خطابه كيف احتل الاسرائيليون مساحات شاسعة من أرض فلسطين تحت ستر الهدنة التى فرضتها الأمم المتحدة ، واشار الى أخطار التوسع الصهيونى وكيف تستعين القوى الامبريالية باسرائيل وتستعملها أداة ضد الوحدة العربية .. وقال لكيندى إنه إنما يتحدث بصراحة ويعتذر إن تجاوز حدود اللياقة الدبلوماسية ثم قال « كم حاولنا ومازلنا نحاول مد أيدينا لمصافحة الشعب الأمريكى لكنى مع شديد الأسف أجد يدى معلقة فى الهواء أحيانا » .

وأشار عبد الناصر بعد ذلك الى صفقة الأسلحة التى عقدت بين مصر والاتحاد السوفيتى فقال ان بسببها « تغير جو العلاقات بين قطرينا فأصبح عاصفاً .. وقامت محاولات لتشويه سياستنا الوطنية وشنت علينا حرب سيكولوجية من محطات الاذاعة التى حاولت النيل من عزيمة شعبنا وإضعاف مساندته لحكومة الثورة . وبلغت الحملة ذروتها لما سحبت أمريكا وعدها بالمساعدة على بناء السد العالى فى أسوان وهو وعد قطعته الحكومة الأمريكية على نفسها بكامل حريتها وخلقت طريقة سحب ذلك الوعد وضعاً لم يستطع الشعب قبوله دون رد فعل ..

وسرد عبد الناصر قصة العلاقات المصرية الأمريكية وأشار لتقدير مصر لموقف أمريكا من قضية العدوان الثلاثى على مصر وذكر انه حار فى تعليل فشل أمريكا فى إعادة تقييم سياستها فى الشرق الأوسط بعد انهيار حلف بغداد ، ثم قال :

« دعنى أناشد شبابك وشجاعتك يا سيادة الرئيس ، فلقد حان الوقت لتفتح أمريكا عينيها لترى ما يجرى من أحداث فى منطقتنا .. والعلاقات بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط أهم من أى انتخابات محلية ! » .

كان يمكن لكيندى ان يتخذ من ذلك الخطاب مرجعا يهتدى به وهو يعامل مصر فقد رسم فيه جمال عبد الناصر سياسته واهدافه بكل وضوح كما أكد عدم شرعية الدولة اليهودية ومعارضته للتوسع والعدوان الصهيونى واصرارد على صيانة

بين جمال عبد الناصر وجون كيندي





استقلال مصر ودعم الوحدة العربية دون التسليم لاى ضغط او التفريط فى ذرة من الحرية .

● ●

وعلى الرغم من تلك الرسائل التى كان يمكن ان تقرب بين وجهات النظر وتصفى الجو بين مصر وامريكا ، تلبدت السحب واكفهر جو السياسة بين القطرين مرة اخرى فى أواخر عام ١٩٦١ فى وقت كانت امريكا تعيد التفاوض مع مصر بشأن احتياجاتها ـ أى مصر ـ من القمح .. وكان من أعضاء مجلس الشيوخ الامريكى ، وفى مقدمتهم « اللوبى » الصهيونى . من يطالب برأس عبد الناصر وتجويع شعبه .

زاد الطين بله أن كيندى بعث برسالة شفوية ، عن طريق سفيره « بادو » اشار فيها الى سباق التسلح الذى يجرى فى الشرق الأوسط والى ان بعض اعضاء مجلس الشيوخ يضغطون عليه لاعتقادهم بان امريكا تساعد عبد الناصر على شراء الأسلحة ، بالعملة الصعبة التى يوفرها من وراء ما يصله من قمح أمريكى ..

وادرك عبد الناصر لتوه ما فى الرسالة من تهديد مقنع فوجد على كيندى دون أن يعلن غضبه لكن الشكوك ساورته من جديد تجاه نوايا ذلك الرجل وخاصة وأن تلك الرسالة وصلت عبد الناصر أيام انهيار الوحدة بين مصر وسوريا وكان جمال فى حزن شديد على انفصام تلك الوحدة .

لكن للسياسة مستلزمات تفرض أحيانا على رجل الدولة .. وتناسى عبد الناصر ما كان ، وفى ربيع العام التالى تبادل مع كيندى عدداً من رسائل المجاملات من ذلك انه هنأ الرئيس الامريكى بنجاح رحلة ، «جون جلين » رائد الفضاء .

● ●

نختار بعد ذلك من بين ما تبادل الرئيسان من رسائل ، رسالة كيندى ورد عبد الناصر بخصوص قواعد الصواريخ التى أقامتها روسيا فى كوبا ، وكادت ان تقدح زناد حرب كونية ثالثة .

رسالة كيندى حول ذلك الموضوع كانت بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩٦٢ وكانت رسالة موجزة جاء فيها « الدليل على أن حكومة الاتحاد السوفيتى أقامت فى كوبا قواعد للصواريخ النووية الهجومية دليل لا يقبل الشك ، بل وأن العمل يجرى لبناء المزيد من تلك القواعد وسنطلع سفيركم لدينا على تفاصيل ذلك . والسوفيت يعلمون ذلك رغم التصريحات التى أدلى بها المستر خروتشيف وأكدها لى شخصياً وزير خارجيته المستر جروميكو ـ من أن روسيا لن تعطى كوبا غير أسلحة دفاعية . ولعلكم تذكرون أنى صرحت علنا فى الشهر الماضى انه « اذا حدث فى أى وقت أن تحول تكديس الأسلحة الشيوعية فى كوبا الى قاعدة عسكرية هجومية ذات طاقة لها دلالة بالنسبة للاتحاد السوفيتى فان أمريكا ستتخذ كل ما يلزم من اجراء لحماية امنها وامن حلفائها .

فلابد إذن من فرض حظر وحصار نووى فورى لمنع الاتحاد السوفيتى من وضع أى صواريخ هجومية اضافية فى كوبا وأمل أن يكون فى هذا الاجراء ما يؤدى الى سحب الصواريخ التى نصبت فعلا .

ولقد عبرت للمستر خروتشيف عن أملى فى استئناف مفاوضات سلمية .

هذا وقد طلبت عقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن وطلبت من سفيرنا لدى الأمم المتحدة أن يتقدم نيابة عن حكومتى بقرار يطلب فيه سحب قواعد الصواريخ وغيرها من الأسلحة العدوانية من كوبا على أن يتم ذلك تحت اشراف مراقبين من الأمم المتحدة .

وفى هذه الاجراءات ما يمكن الولايات المتحدة من رفع الحصار الذى ضربته وأمل ان تصدر تعليماتك لممثلكم فى نيويورك بالقيام بعمل فعال الى جانبنا ومساندتنا فى الأمم المتحدة بصورة لا تقبل الشك . وستعمل وزارة خارجيتنا على اطلاع سفيركم على جميع تطورات الموقف » .

ورد جمال عبد الناصر على تلك الرسالة بتاريخ ٣١ أكتوبر ١٩٦٢ مبينا اعتراضاته وتحفظاته بشأن الحصار الذى فرضته امريكا وقال :

« تسلمت رسالتكم المؤرخة ٢٢ أكتوبر بكثير من القلق وتسلمت مرفقاتها ـ التصريح الرسمى الموجه للشعب الامريكى بخصوص الموقف فى كوبا . وأنا أقدر حقا جهودكم فى ايضاح النوايا الأمريكية لمن يهمهم مجريات الحوادث وقضايا السلام فى العالم .

وأرى أنه لا مجال الآن لبحث مختلف وجهات النظر فى نوعية وطبيعة القواعد التى تواجدت فى كوبا وأثارت شكوككم ، ولا مجال فى الوقت عينه لبحث الاجراءات الأمريكية التى اتخذت نتيجة لذلك كما أنى لا أجد الآن ما يبرر مثل هذا البحث الذى أصبح الآن لحسن الحظ ، عديم الأثر على قلق الناس على السلام وعزمهم على صيانته وجهودهم فى داخل الأمم المتحدة وخارجها ، ولا على الحكمة والتقييم الصحيح والشعور بالمسئولية الذى تحلت به أطراف هذا النزاع .. وهذه العوامل كلها تتآلف لتحفز على التطلع الى المستقبل وترك الماضى ..

على أنى أود أن أسجل عددا من الملاحظات :

كلنا لاشك يقدر جميل استجابتك لأوثانت ، السكرتير العام للامم المتحدة بالوكالة ، ويقدر التعاون الذى لقيه من الوفد الامريكى لدى الأمم المتحدة . ومازلنا نؤمن مع الكثيرين من محبى السلام بأن خير ضمان لافضل الحلول للمشاكل هو التعاون باخلاص داخل اطار الأمم المتحدة .

وكلنا يقدر كذلك عميق التقدير ان الاجراءات الامريكية ـ بصرف النظر عن رأينا فيها ـ قد نفذت بطريقة تجردت تماما عن كل تحد عدوانى .

ونقدر وعدك بعدم غزو كوبا عسكريا ، ونرى أن ذلك الوعد كان عاملا أكيدا أسهم فى تخفيف حدة التوتر .

ونحن نؤمن بأن الولايات المتحدة بمالها من قوة ومكانة تستطيع أكثر من غيرها دعم السلام فى العالم . وهى فى هذا الصدد تحمل مسئولية تاريخية أمام الجنس البشرى ، لأن السلام الذى يقوم على أساس من العدل مطلب انسانى يسبق كل ما عداه ، فهو لا يصون الحياة فحسب بل يكرمها كذلك .

أرجو ان تتقبل يا عزيزى الرئيس أطيب تمنياتى .. » .

جمال عبد الناصر

ومرت الأزمة بسلام ولكنها تركت بصماتها على قلب خروتشوف وعقله وسمعته . ومات بعدها كيندى .. قتلته رصاصة مغتال لم يرحم شبابه .. أو لعله كان أحد الساخطين على سياسته .

جمال الكنانى



بقلم : الدكتور محمد البهي

الأساطير

يصف الله سبحانه فى سورة النحل موقف الماديين الوثنيين بمكة ـ وهم المشركون الذين لا يؤمنون بالله وحده .. ولا باليوم الآخر ـ من دعوة التوحيد فى الالوهية ، فى قول القرآن الكريم :

ـ الٰيهكم اله واحد .

ـ فالذين لا يؤمنون بالآخـــرة (وهم الماديون) قلوبهم منكرة (اى لدعوة التوحيد هذه) وهم مســتكبرون (اى متعالون عنها .. ولا يعيرونها اهتماما) .

ـ لا جَرَمَ (اى حقا ، ومن غير شك) : ان الله يعلمُ ما يُسِرُّون وما يُعْلِنُون ، انه لا يحبُّ المستَكْبِرين (اى المتعالين المغرورين بقوتهم وجاههم) .

ـ واذا قيل لهم : ماذا انزل ربكم ؟ (اى اذا ما سئل هؤلاء عن القرآن) قالوا : اساطير الأولين ..

وفى آيات أخرى فى السور المكية يردد القرآن دعوى المنكرين له ، بانه اساطير الاولين ، واساطير الاولين هى قصص السابقين ، التى يأخذ ما فيها مكان العقيدة فى نفوس السامعين ، والمرددين لها . وهى قصص يلعب فيها الخيال .. والاختلاق دورا كبيرا . ويستهدف من اختلاقها : التاثير على الأفراد فى مجتمع ما ، وضمان تبعيتهم لاتجاه معين ، يراد لهم أن يسلكوه كثيرا ما تختلق هذه الاساطير فى المجتمعات البدائية او المتخلفة . والذين يختلقونها هم رجال الدين ، لمصلحة الكبراء والزعماء فى هذه المجتمعات .

ومن شان الاساطير ان لا تقف امام الواقع ، والتحليل للوقائع . والمكيون ـ او الماديون والوثنيون على عهد الرســـول عليه السلام ـ كانوا لمعارضتهم له صلى الله عليه وسلم فى رسالته : يتهمون كتاب الله الذى انزل اليه : بانه اسطورة من اساطير الأولين . اى لا يقف امام الواقع والتحليل العلمى لما جاء فيه . وما زال هذا الاتهام يكرر اليوم .. وسيظل يقال : غدا ، وبعد غد ، طالما : ان الوثنية المادية تنكر الايمان بالله واليوم الآخر .

ويكشف القرآن عن طبـــائع الوثنيين الماديين الذين يرون فى كتاب الله : انه من اساطير الأولين ، فيما يقصه بقوله :

ـ ومنهم من يستمع اليك (اى من المكيين المشركين) .

ـ وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه ، وفى اذانهم وقرا (وهؤلاء الذين يستمعون اليك اغلقت افهامهم وعقولهم فلم يعد لهم منفذ يتيح لهم ان يفهموا ان سمعوا ، وصمت اذانهم كذلك ، فلم تعد امامهم فرصة ليسمعوا حتى يعقلوا او يفهموا ما يسمعونه . وهذا كناية عن انهم من أول الأمر ليسوا على استعداد للنظر ، ومراجعة الامر ، ومحاولة استخلاص منهج سليم فى حياتهم ، غير ما الفوه عن الآباء ، أو غير ما تمليه عليهم انانية الزعامة وغطرسة الصدارة والوجاهة) .

ـ وان يروا كل آية لايؤمنوا بها ، حتى اذا جاءوك يجادلونك (اى يحاجونك فى دعوتك الجديدة) يقول الذين كفروا (ويعنى القرآن هنا بالذين كفروا هم هؤلاء الذين اغلقت افهامهم وصمت اذانهم) : إنْ هذا إلاَّ اساطير الأولين (اى هذا القرآن ، ان هو الا من الابـاطيل والترهـــات والاكاذيب القديمة) .

ـ وهم ينهون عنه (اى يبعدون الناس عن الايمان به ، بما لهم من زعامة وجاه) ويناون عنه (اى ويبتعدون هم عنه كذلك ، تحت تاثير اتجاههم المادى فى الحياة) وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون (وفى واقع الأمر بموقفهم من القرآن هذا الموقف لا يسيئون الا لانفسهم بالهلاك والفناء ، وان لم يحسوا بانهم فى طريقهم الى ذلك ..

● ويأتى القرآن ـ فيما ياتى به ـ برد على مثل هذا الاتهام ، بقوله :

ـ وانه لتنزيل رب العالمين (اى أن القرآن ليس من الاكاذيب والاباطيل الماضية .. بل هو منزل من عند مالك الكون كله) .

ـ نزل به الروح الأمين (وهو جبريل عليه السلام) .

ـ على قلبك لتكون من المنذِرين . بلسانٍ عربى مبين ..

وكون القرآن من رب العالمين هو تحدٍّ لأن توجد فيه آية ثغرة ينفذ منها باطل ما :

ـ لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ـ تنزيل من حكيم حميد ..

حتى لا ننسى :

يافا

تحت شمس الأصيل

بقلم : يوسف الخطيب

إعداد الفنان : عزيز إسماعيل

تقع مدينة يافا على نشز هين من الأرض يشكل ما يشبه النتوء الصغير الذى يعترض انتظام خط الساحل الفلسطينى ، فى منتصف المسافة تقريباً بين حيفا فى الشمال ، وغزة فى الجنوب . وتشرف يافا من موقعها هذا على زرقة البحر الأبيض المتوسط غرباً ، وعلى بحر آخر من الخضرة اللامتناهية المفعمة بأريج البرتقال شمالا وجنوباً ، بينما تحد هذا البحر الأخضر سفوح جبال القدس على مبعدة حوالى أربعين كيلومتراً من جهة الشرق .

تبلغ يافا من العمر قرابة أربعة الاف وخمسمائة سنة ، منذ أن أرسى اجدادنا العرب الكنعانيون أول حجر فيها على شاطىء البحر ، وسموها منذ ذلك الزمن السحيق باسم « يافى » بمعنى الزاهى ، أو الفاتن ، أو الجميل . وهكذا فان يافا الكنعانية ، أى العربية ، تعتبر من أقدم موانىء العالم القديم . ولقد ظلت تحتفظ بهويتها العربية هذه طيلة تلك القرون العديدة . الى أن تبدل كل شىء ، دفعة واحدة ، اعتباراً من أوائل القرن العشرين فقط ، عندما تنازلت وزارة الخارجية البريطانية عن التراب الوطنى الفلسطيني فى سنة ١٩١٧ ـ كما لو كان هذا التراب من الاملاك الخاصة التابعة للتاج البريطانى ـ من أجل ان تقيم عليه الحركة الصهيونية وطناً قومياً لاتباع الديانة اليهودية من شتى أنحاء العالم . وطبيعى ان هذا ، منذ البداية تماماً ، هو أخطر مطعن فى شرعية الأساس الذى تقوم عليه « دولة اسرائيل » حتى لو قدر لها أن تستمر عشرات السنين الأخرى على أرض فلسطين .

وعلى امتداد عهد الاحتلال البريطانى البغيض الذى استمر ثلاثة عقود ، والذى وضع الوطن الفلسطيني خلال هذه المدة قطعة أثر أخرى بين انياب حلفائه الصهيونيين ، فان مدينة يافا بوجه خاص قد لعبت دور الرمز العربى فى مقاومة اطماع الغزاة العنصريين ، وذلك بحكم اقتطاعهم للاجزاء الشمالية والشمالية الشرقية من أرضها الطيبة ، بغية تضخيم مستوطنة « تل أبيب » واشباعها حتى التخمة بالمهاجرين اليهود من أوروبا الشرقية على وجه الخصوص . فهكذا وقعت يافا ، منذ البداية فى موقع المصادمة الحادة المباشرة مع الغزاة العنصريين ، هؤلاء الذين اجتاحوها كقطعان الذئاب الجائعة عشية تأسيس « اسرائيلهم » فى سنة ١٩٤٨ ، فشردوا حوالى ٩٥٪ من سكانها العرب خارج الحدود وحولوها مع الزمن الى ما يشبه الخرابة الأثرية الهائلة الملحقة بمدينتهم « تل ابيب » التى لا تزيد فى الحقيقة عن كونها مجرد امتداد ليافا الجديدة شرقاً وشمالا .

فى هذه اللقطة الجزئية لرأس يا بالبلدة العتيقة ، وهى ماخوذة من الشما الشرقى باتجاه الجنوب الغربى ، يبدو ل فى مقدمة الصورة تماماً اتصال مويجا البحر برمال شاطىء الرشيد ، نسبة ، عل الأرجح ، الى الخليفة العربى هارو الرشيد ، ثم يبدو لنا ، فى قمة الرأس ال يسار الصورة ، برج دير الكازانوفا ، حي شهد القديس بطرس رؤياه الشهير بضرورة السعي الى قيسارية للاجتما بقائد المئة ، ومن ثم للانطلاق بالتعال المسيحية الى جميع الأمم ، عوضاً ع تخصيصها باليهود دون غيرهم : « والأ ارسل الى يافا رجالا واستدع سمعان الم بطرس » (راجع الاصحاحين العاش والحادى عشر) .

ثم على استقامة الدير غرباً يظهر جام البلدة القديمة شبه متصل برصيف مينائ الأثرى العريق ، ويحدثنا المقدسي ، م القرن العاشر الميلادى ، عن البلدة القدي وجامعها ، ومينائها : « يافا على البح صغيرة ، الا انها خزانة فلسطين . عل حصن منيع بأبواب محددة ، وباب البح كله حديد . والجامع مشرف على البحر نزه ، ومينأؤها حديد » .



مدينة يافا .. البلدة العتيقة حيث تتصل امواج البحر بمال شاطىء الرشيد

السّيف العربيّ

رحلة مع الإبداع الفني

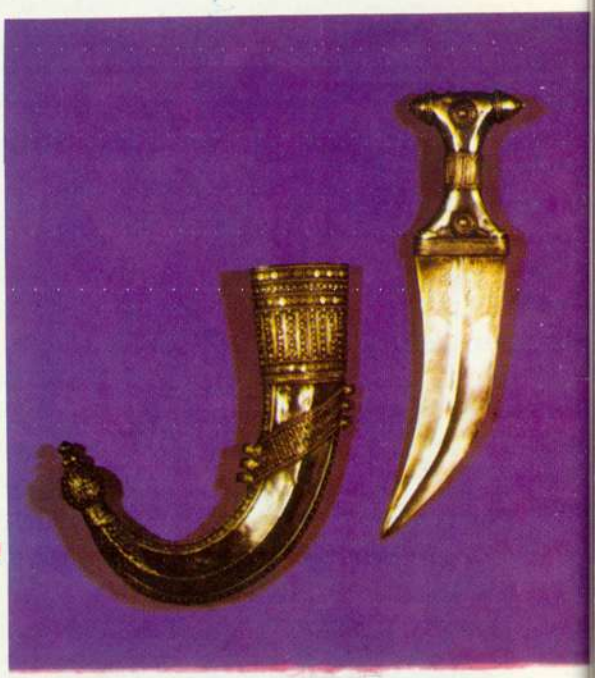
بقلم: نديم خشفة



الخنجر او « الجنبية » .. حملها العرب فى الجزيرة العربية .. وكانت رمزاً للشجاعة والرجولة والاعتزاز بالنفس



الى اعلى : فارس مملوكى فوق صهوة جواده الاصيل ، يحمل بندقيته وسيفه كما رسمه الفنان العالمى « كارل فيرنيه » .. وإلى اليمين لقطة يتضح فيها مدى براعة الصانع الدمشقى فى نقش هذا الخنجر وجرابه (الجنبية) .



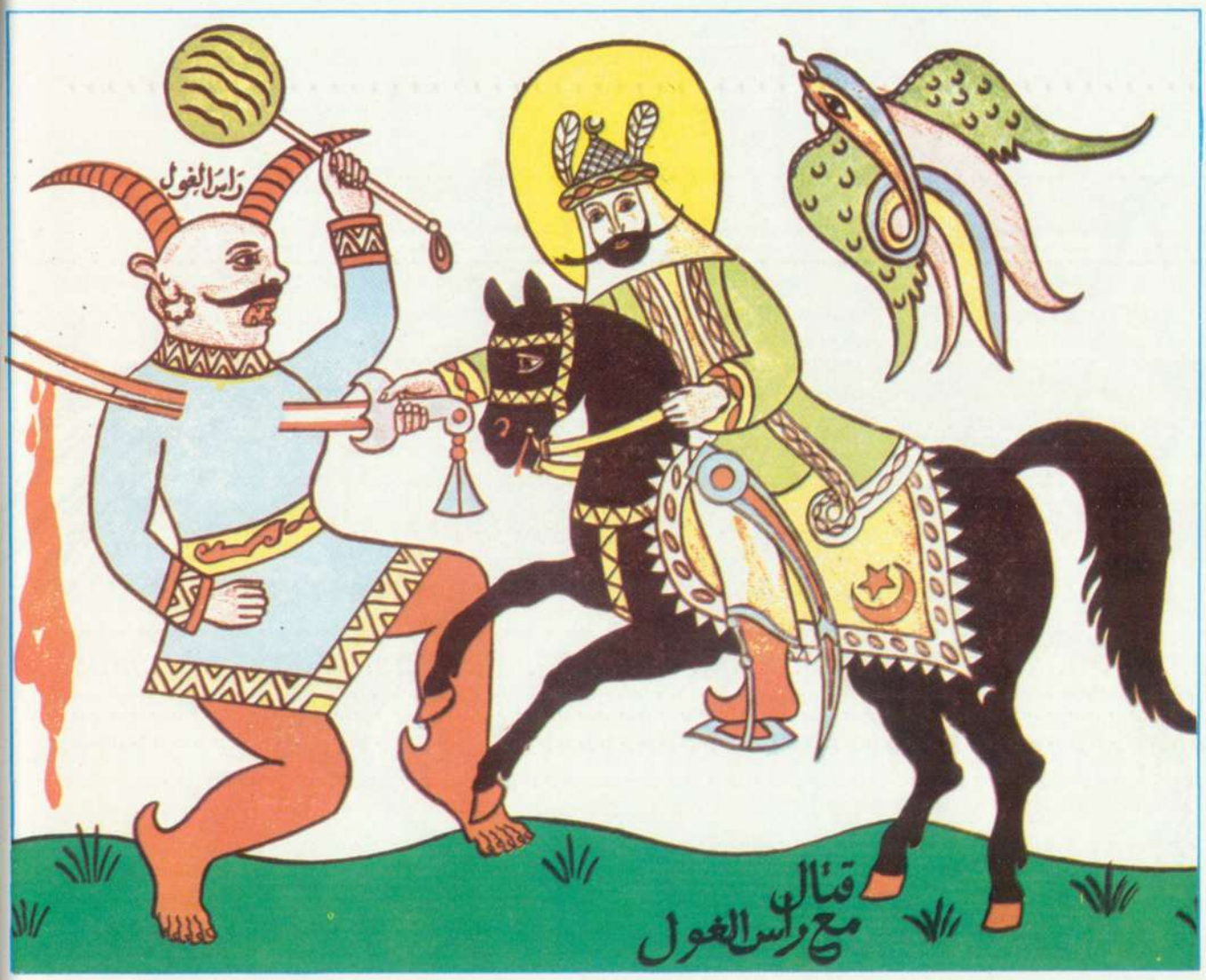
لا يذكر السيف إلا وتذكر معه بطولات العربى الذى انطلق من صحرائه ، فنبه الدنيا من غفوتها ، وأنهض العقول من غفلتها .

وكما فتن الحصان العربى الغربيين ، كذلك فعل السيف العربى ، فنسبوه إلى أقرب العـــرب اليهم ، ودعـــوه السيف الدمشقي .

ولا يتصور الغربيون العربى إلا رجلا محارباً وفارساً على صهوة جواده الاصيل ، شاهراً سيفه الرهيف .. فكان همهم أن يترجل الفارس ، وأن ينثلم السيف أو يغمد .. فهل تحقق حلمهم ؟

لم يكن السيف لدى العربى زينة يتحلى بها في حله وترحاله ، بل أداة حرب ورمز

السّيف العربيّ
رحلة مع الإبداع الفني



الفارس العربى ينتصر على رأس الغول فى أساطيرنا الشعبية

عزة ، ومجالا لاظهار الابداع الفني ، والبراعة الصناعية ..

فالسيف نصل .. والسيف مقبض .. والسيف غمد .. والسيف حمائل .. وهذه الأجزاء الأربعة ، على ضيقها ، كانت مجالا رحباً للابداع العربى ، أما النصل فقد نسبه العرب الى الهند :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
مني وبيض الهند تقطر من دمي

ونسبه الغربيون إلى دمشق ، واشتهر لديهم الفولاذ الدمشقي ، المسقي ، المائل إلى السواد ، وحكوا عنه الأساطير ، وعكف علماء الكيمياء والمعادن المحدثون على تحليل مكوناته ، وخاصة في فرنسا وروسيا ونشرت الصحف مؤخراً اهتمام عالم أميركي بتركيبة ذلك الفولاذ الدمشقي .. فهناك نوعان من الفولاذ ينسبان الى دمشق ، أحدهما خليط من الفولاذ القاسي والفولاذ اللين ، نتيجته فولاذ أصم لا رنين له ، وهو معروف لديهم .. وآخر رائع الرنين ، يجهلونه ، ويصنفونه حسب لونه : الأسود اللامع ، والأسود الخراساني ، والشامي .. أما تركيبه الكيميائى فهو : ١,٥ كربون و ١٠ر٠٪ إلى ٢٥ر٠٪ فسفور ، وهما السبب فى سهولة كسره . وهذا الفولاذ من فلز يسمى « ووتز » ، يحمى حتى الاحمرار ثم يبرد ببطء شديد ، ومصدر « الووتز » ضواحي حيدر آباد ، يصنع في نواحى مختلفة من الهند ، ثم تنقله القوافل إلى خراسان فاسيا الصغرى ، أو تنقله السفن إلى الخليج العربى الذي كان مصدراً هاماً من مصادر الفولاذ الهندي :

قد زرته وسيوف الهند مغمدة
وقد نظرت إليه والسيوف دم

وعرف السيف رحلة طويلة قبل أن يصل إلى يد العربى فيجعله أداة حرب بهرت العالم ، ومن المحتمل أن تكون الصين مهده الأول ، أو آسيا الوسطى ، ثم انتقل إلى اليابان فالهند ، ثم وصل إلى الشرق العربى فتبدل شكله وتغير تركيبه ، وتغير معهما مصير الحضارة ..

ووصل السيف Le SABRE الى أوروبا فى بداية القرن الثامن عشر . أوصله إليهم المجريون والبولونيون . ولم تكن أوروبا تعرف سوى تلك السيوف الثقيلة



نقوش ايات قرانية تحث على الجهاد فوق سيف عثمانى (٩١٤ ـ ١٥٠٩) .



سيف عثمانى موجود فى المتحف الحربى بباريس

الحمل ، السيئة الصنع ، التى تشبه خيولهم السمينة ، البطيئة الحركة ..

الصانع الدمشقى

إلى جانب الديباج الدمشقي والزجاج الدمشقي والفولاذ الدمشقي ، اشتهر الترصيع والتعشيق والنقش على المعادن DAMASQUINE . ويستعمل الصناع المهرة لذلك المعادن الثمينة كالذهب والفضة ، أو الأحجار الكريمة ، وربما استعملوا المعادن الرخيصة كالنحاس والحديد والرصاص ، أو أضافوا إليها العاج والصدف والعظم . ولا يتسع المجال لشرح المهارة الفنية التى ميزت الصانع الدمشقي ولا تزال ..

وانتقل هذا الفن إلى البندقية فى القرن الخامس عشر للميلاد ، نقله بعض العمال المشارقة ، وعرف هناك باسم AZZIMINI تحريفاً لكلمة « العجمي » العربية . وانتشر بعدها فى أوروبا كلها ..

إننا لا نؤرخ هنا لهذا الفن ، لكن الصور المنشورة تعطينا لمحة مشرقة عن ازدهاره فى البلاد العربية والإسلامية .

ولا يفوتنا منفذ آخر دخل منه التأثير العربى الى أوربا : الأندلس .

فقد ازدهرت دار الصناعة زمن الخليفة الأموي عبد الرحمن الثاني (٨٢٢ ـ ٨٥٢) فى مدينة طليطلة ، ويروى أن الصناع كانوا يعملون فى ظلام الليل ليتأكدوا من درجة احمرار الفولاذ قبل تبريده التدريجى بالماء ..

وحفظت لنا المتاحف الاسبانية بعضاً من تلك السيوف . وخاصة ذلك السيف المسمى باسم : « البوعبدلي » . نسبه إلى عبد الله محمد BOABDIL ، آخر ملوك غرناطة (١٤٨٢ ـ ١٤٩٢) .

وعبد الله هذا هو الذي ترك غرناطة وفى أذنيه صدى صوت عائشة أمه العظيمة :

ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً
لم تحافظ عليه مثل الرجال

وقد استخرج أحد هذه السيوف من



نوع من السيوف النادرة التى تفنن الصانع العربى فى صنعها على هذه الصورة الدقيقة



مقبض هذا السيف على شكل جواد .. انه قطعة نادرة تجمع بين القوة والفروسية

مقبرة الملك « دون سانشيه » الرابع المتوفى سنة (١٢٩٥) للميلاد . وهو سيف مستقيم النصل ذو حدين ومقبضه مزين بزخارف اندلسية وهو تقليد للسيوف العربية التى عرفت قبل هذه الفترة بزمان طويل . وقد كتب عليه اسم (الله) ونقش عليه شعار بني نصر من ملوك الطوائف : (ولا غالب إلا الله) ، وهو الشعار الذى ما يزال يزين المباني المغربية المبنية على الطراز الأندلسي أو المورسكي .

براعة المماليك

وبعد فترة طويلة ال حكم الشرق إلى المماليك ، فاحسنوا العناية بالسيف وبرعوا فى استعماله . وشهد لهم بذلك الجنرال ادوار كوبير EDOUARD COLBERT

فقال : « لقد رأيت واصحابي بعد معركة الصالحية ـ كثيراً من جنودنا قد قطعت رؤوسهم أو أكتافهم أو معاصمهم ، ورأيت أحد الجنود قد قطعه السيف من كتفه حتى حقويه ، وقد جربت بنفسي سيف المماليك ، فكنت أقطع به عنزة أو نعجة أو كلباً بضربة واحدة ، وكلمة « الضرب » لا تصلح للتعبير عن استعمال هذا السيف . فانه ينسرب انسراباً ولا يحتاج الا إلى قليل من الجهد وكثير من البراعة ، وقد كان المماليك يتدربون بان يمسك اربعة رجال قطعة واسعة من الموسلين ويحركونها فى الهواء حتى تنتشر ثم يطلقونها ويهربون عنها ، ويندفع إليها الفارس بسيفه فيقطعها شطرين بضربة واحدة قبل أن تسقط إلى الأرض » .

ولا نرى سبباً يدعونا للشك فى شهادته ، خاصة وانها شهادة عدو لا صديق !

الفرسان العثمانيون

ولو تابعنا السيف العربي فى رحلته فلسوف نراه مشهراً بيد الفرسان العثمانيين ، وهم على مانعلم جنود من الامبراطورية العثمانية تضم الترك والعرب وغيرهم ..

قالوا عن السيف

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
(ابو تمام)

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم
(المتنبي)

إذا عربي لم يكن مثل سيفه
مضاء على الأعداء ، انكره الجد
(الشريف الرضي)

بيض صنائعنا ، سود وقائعنا
خضر مرابعنا ، حمر مواضينا
(صفي الدين الحلي)



لوحة بيعت في لندن عام ١٨١٣ ، تمثل تدريب المماليك على الضرب بالسيف في سفح جبل المقطم



« البالا » سيف نادر .. زينه اشهر الخطاطين بجمال خطوطهم ويعتبرونه اقوى السيوف واكثرها صلابة

نقوش العصر الحديث

وقد انتشرت في الجزيرة العربية عادة حمل الخنجر أو (الجنبية) وهي رمز الرجولة والشجاعة والاعتزاز بالحرية ، حتى لقد قال قائلهم : « إنا لنولد والجنبية على صدورنا والبندقية في أيدينا » .. وقد وجد فيها بعض المحللين النفسانيين رمزاً لتفوق الرجل على المرأة ، لا مجال للدخول في تفاصيله !!

وهناك عدة أسماء اطلقها العرب على السيف ، وترك لنا التاريخ اسم « الصمصامة »و « ذو الفقار » سيف الامام علي ابن ابي طالب (كرم الله وجهه) وهو السيف ذو الشعبتين الذى دخل فى الأساطير والرسوم الشعبية ..

وعرف المحارب التركي بشدة البأس ، واحتفظت اللغة الفرنسية الى اليوم بهذه الجملة « قوي كأنه تركي » تعبيراً عن هذه الشهرة ، وعندما تالق نجم الامبراطورية العثمانية كان ذلك بفضل الفارس « الصباهي » ، وتحتفظ المتاحف ومجموعات الأفراد بالعديد من تلك السيوف العربية ، التي كتبت عليها آيات من القران الكريم بأقلام الخطاطين المعروفين بجمال خطوطهم ، كما نوع الأتراك أشكال السيوف فابتكروا (البالا) و (اليطقان) وغيرهما

وقد نقشت على بعض نصال وقراب هذه السيوف الجملة التالية :

« لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار »

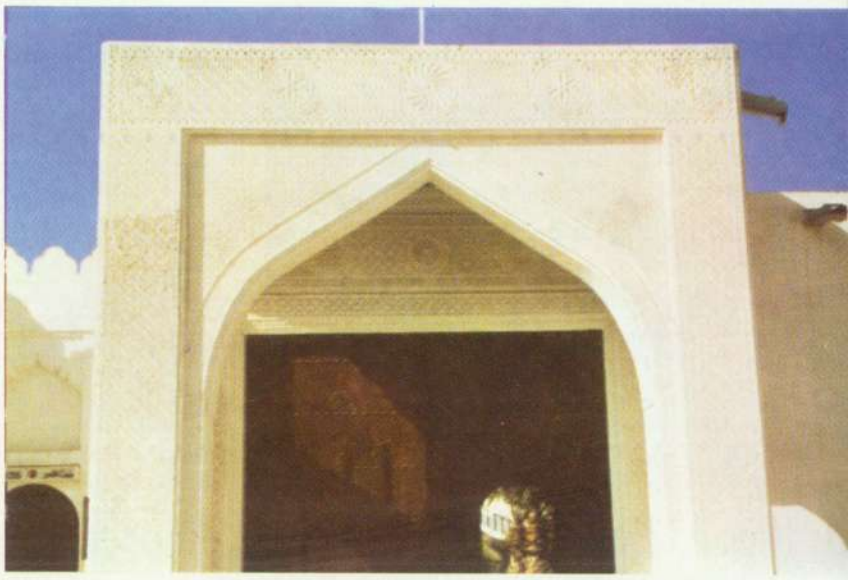
كما ألف الفنانون نقش آيات قرآنية ، أو حكم شائعة تحث على الجهاد والقتال في سبيل الله والوطن ، والدفاع عن الشرف والاباء ، وبلغ الامر بالشريف الرضي أن قال :

إذا عربي لم يكن مثل سيفه
مضاء على الأعداء أنكره الجد

فهل نحن جديرون بأن ننتسب الى أولئك الأجداد العظام ؟ كلنا أمل !

نديم خشفة – الجزائر

صالح غريب



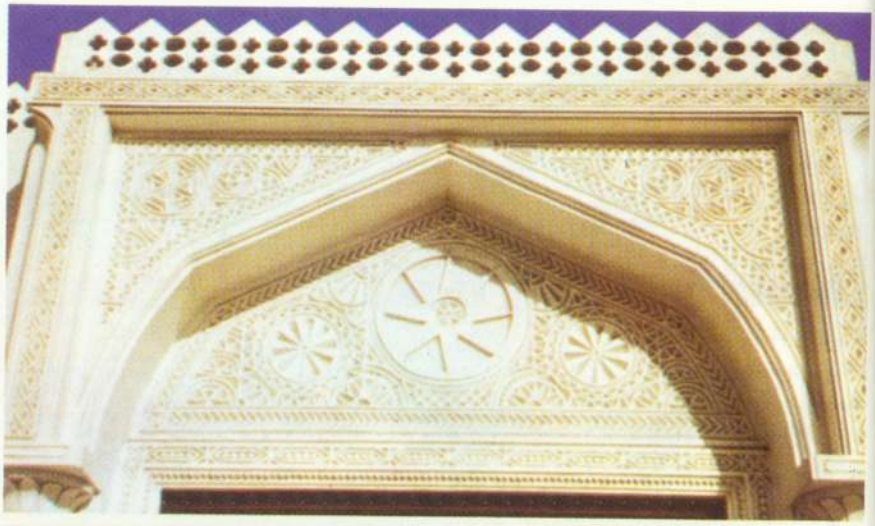
ممر قصير يؤدى إلى الباب الرئيسى للبيت الخليجى وعليه نقوش من الداخل والخارج

البحث عن الحضارة في نقوش الخليج



نقوش خليجية اعلى النـــافذة أو (الدريشة) كما يسمونها فى منطقة الخليج

عندما بدأت بشائر الثورة الفرنسية بالظهور ، تساقطت الحدود الوهمية التى كانت تحجز الثقافات الأوروبية عن بعضها البعض ، فقبل هذه الحركة كان من السهل واليسير على الرجل العامى ، أن يتعرف على لوحة رسمها فنان أسبانى ، أو مبنى بني فى أسبانيا وطابعه هولندى أو بمعنى اخر أن كل مكـــان كان يملك طابعـــاً يميزه ، وبعد هذه الحركة زادت تنقلات الفنانين والمعماريين واجتيازهم لحدودهم الاصلية ، وما كان لا يبنى إلا فى هولندا بدأ يظهر فى أسبانيا وفرنسا وايطاليا ، والأسلوب الأسبانى فى الرسم بما فى ذلك أسلوب الفنان « جويا » أصـــبح الذوق المؤثر فى فن الرسم فى فرنسا وعليه ظهرت المدرسة الرومانسية ، وهنا أخذ الفنانون ينذرون المجتمع من ضياع هويته ، وظهور هوية لا تنتمى الى أحد ، أو الى منطقة ، ولكن حركة الانتقال الثقافى كانت أقوى من نذر الفنانين فتلاشت دون أن تضع حداً للمشكلة ، والمشكلة ذاتها تتكرر فى أيامنا هـــذه ، وبنفس الظروف الســـابقة الا أن الحيز الجغرافى هو الخليج العربى ، وحركة الانتقال الثقافى مصدرة من العالم شرقه وغربه . فهل نياس لاننا وجـــدنا أن إنذارات من سبقونا من فنانين باءت بالفشل وبالتـــالى نداؤنا سيلاقى نفس المصير . طبعاً لا نستطيع اطلاق الأحكام قبل أوانها وأرجو أن نكون أفضل حالا مما كان عليه الفنانون الفرنسيون ، وذلك لأن وسيلة الاتصال فى ذلك العصر كانت الصالون من خلال اللوحة وبعض الصحف ، وأما اليوم فوسيلة الاتصال التى نستطيع أن نطلق من خلالهـــا انذارات أكبر فعاليـــــة من العصر الســـــابق هى الصـــحف ، التلفزيون ، الاذاعة ، والمعارض . فالاذاعة والتلفزيون هما وسيلتان لو كانت بين يدى الفنانين الفرنسيين فى القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر لافترضنا أن انذارهم وصل الى الناس ولنجحت دعوتهم فى احتفاظ البلدان بانماطها المميزة . أيا كانت هذه الافتراضات فما يهمنا الآن أن منطقتنا تمر بنفس الظروف ، فكل شيء ينتمى الى المنطقة بدأ يتراجع فى وجه المتغيرات القادمة من كل الاتجاهات . ولذا فان هناك كتابا على وشـك الانتهاء ، يقـوم بتاليفه الفنان التشكيلى القطرى محمد علي ، عن النقوش الجسية فى الخليج وقد استوحيت مقدمة هذا اللقاء عندما سالته عن الهدف الذى جعله يقوم بتاليف هذا الكتاب ، فكان مما قاله : «ان المنطقة تمر بمرحلة انتقالية ، لا يمكن التكهن بنتائج هذه المرحلة ، ولكن أحس بالتشاؤم لما نرى من غزو معمارى وثقافى ، أتى على سمات الانسان والمنطقة ومحاها ، ولم يبق لنا ما يذكر بسمات الانسان وسمات المنطقة إلا بعض المحفوظات فى المتاحف ، وهذا نذير شؤم لا أشك فى أن أحداً من أهل المنطقة سيسعد له ، كما أن اختفاء طابع المنطقة برمته فى فترة قصيرة (منذ اكتشاف البترول) لنذير بأن نراجع أنفسنا ونتأمل ما ستكون المنطقة عليه بعـــد فترة من الزمان ، وسنجد أننا المسئولون أمام الأجيال القادمة لضياع ثقافة المنطقة ، لذا فان العمل على انقاذ ما تبقى هو مسئولية تخص الفرد ، والمؤسســـــة الجماعيـــة





صورتان .. الأولى لنقوش تفصيلية موجودة فى زخرفة منطقة الخليج .. والثانية لطراز معمارى حافظ على الشـــكل القـــديم

كمؤسسات الدولة كل ضمن تخصصه » .

● سؤالى الأول كان عن تفاصيل الكتاب ما الأهداف التى ينوى أن يقوم الكتاب بادائها ؟

ـ «بما أننا عرفنا الدوافع التى من أجلها قمنا بعمل هذا البحث فاننى اتمنى أن يصل الكتاب الى المكان المناسب الذى يستطيع أداء مهمته على أكمل وجه ، فمثلا يحوى الكتاب على أكثر من مائة وخمسين نموذجاً للنقوش الخليجية والتى قمت برسمها رسماً هندسياً بنسبها الحقيقية والأصلية ، وهذه النماذج جمعت على مدى أكثر من سنتين من مصادرها الأصلية ، واقصد بالمصادر الأصلية البيوت القديمة الواقعة فى المساحة الجغرافية الممتدة من الكويت الى عمان ، وهذه البيوت اما أن تكون أطلالا ، أو شبه مسكونة ، وهذه النقوش تتوحد فى النمط والأسلوب الفنى فى جميع أجزاء الخليج ، فلذلك يمكننا اعتبار الكتاب مصدراً مصنفاً لنقوش المنطقـــة ، يســـتطيع المصـــمم المعمارى الاعتماد عليه كمصدر نقي وصحيح للنقوش الخليجية بدلا من الاقتباس من الكتب المتعددة ، والتخبط فى اقتباس نقوش لا تنتمى الى المنطقة . ورغم أن النقوش الخليجية تنطبق عليها مزايا النقش الاسلامى ، فوجود مثل هذا المصدر أو البحث سيملأ فراغاً أحوج ما يكون اليه المصمم المعمارى ، ومن خلال تنقلى بين بلدان الخليج لجمع مصادر البحث وجدت أن كثيراً من الأبنية الحديثة حاول مصمموها استخدام النقش القديم ولكن مع الأسف استخدموا نقوشاً أبعد ما تكون الى روح المنطقة ، وذلك باستخدام العناصر الهنديـــة ، والفارســية وغيرهـــا ..

● ذكرت فى حديثك أن النقوش الخليجية تنطبق عليها المزايا الاسلامية ولكنها تحوى سمات تميزها عن الهندية والفارسية وغيرها فما هى الظروف التى تسببت فى خلق هذا الطابع الخاص ؟

ـ إن الأرض ، أو الحيز الجغرافى بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، كالمناخ المصاحب للأرض ، وجيولوجية الأرض ، وموقع هذه الأرض على البحر ، أو فى وسط الصحراء ، هو الدافع الرئيسى للثقافة ويصاحب هذا الدافع دافع فى مستواه هو العقيدة ، أو الدين ، فهذان العنصران ، لهما قوة كبيرة فى تشكيل نمط وفن وثقافة المجتمع ، فمثلا الظروف التى تعايش معها الانسان القديم فى بلاد ما بين النهرين اختلفت عما هى عليه فى بلاد مصر القديمة وهذه كانت السبب الرئيسى فى أن الفن فى بلاد ما بين النهرين يختلف عما عليه فى مصر . وهذه الحقيقة تنطبق على طبيعة الفن فى الخليج فطبيعة الأرض ، وتقاليد الانسان ، والمنـــاخ والخامـــات المتاحة للانسان اختلفت عن الهند وفارس ، لذا ما أنتجه الفنان فى الخليج يحوى سمات محلية لا تملكها منطقة سواها ، فهذه النقوش اسلامية لأنها تحمل المزايا الاسلامية وأهم هذه المزايا ، اللولبية ، أو التطور من المركز فى حركة لولبية أو حلزونية الى ما لا نهاية ،

● هل استطعت إيجاد أى معان لهذه النقوش ؟

ـ من خلال قراءاتى لآراء المستشرقين فى الفن الاسلامى ، والبحث فى آرائهم عن معانى النقوش الاسلامية ، وجدتهم يتفقون فى أن المعانى لهذه النقوش قد ضاعت لقدم هذه النقوش ، وذلك لأن الحضارة الاسلامية احتوت جميع الحضارات التى كانت سائدة فى المنطقة وهذه الحضارات كانت تمنح معانى ورموزاً لنقوشها ، ولكن الاسلام عندما جاء استخدم هذه النقوش على أساس أنها تزينية بدون أن تستخدم معانيها التى وجدت من أجلها فمثلا هنالك بعض الوحدات الزخرفية كانت الشعوب البدائية تضعها على مداخل معابدها وبيوتها منعاً للارواح الشريرة ، أو لجلب الحظ ، وهـــذه المعـــانى تناقض المنطق الاسلامى ، فلذلك تلاشت . وبالرغم من ذلك مازالت هنالك وحدات تحتاج الى الدراسة لاكتشـــاف جـــذورها التاريخية وأهميتها المعنوية ، وقد لاحظت أن الحرفيين يطلقون على زخارفهم بعض التسميات البسيطة الساذجة مثل الوردة ـ بيذانة ـ سنكل ـ نقر الحمام الخ هذه التسميات .

وكم كان بودى أن يستمر هذا اللقاء ، فتداعى الكلمات وحيوية البحث ، وأهميته، كل هذا لا يكفيه هذه المقالة ، ولن يرويه إلا ظهور الكتاب ، فتمنيت للفنان التشكيلى القطرى محمد علي أن يستطيع تحقيق هدفه من خلال هذا الكتاب ، ونرجو أن يرى هذا الكتاب النور فى أسرع وقت .

صالح غريب

● أسرار مذهلة تتكشف في خلق الكائنات ●

وفيك الباعث والمبعوث وكل مسجل ومكتوب!

بقلم : د. عبد المحسن صالح



شكل (١) نموذج لجزء ضئيل من الجزيء او الشريط الوراثي الحلزوني ، والواقع ان الاشرطة الوراثية في كل خلية من خلايا الانسان والحيوان والنبات تتكون من ملايين فوق ملايين من هذه اللفات الحلزونية وبين شقي الشريط تكمن درجات كيميائية هي لب شفرة الحياة في المخلوقات .

لا ريب أن العلم بأسرار الحياة ، يبصرنا ببديع صنع الله ، ويفتح عقولنا على اتقان في الخلق له مغزاه ومعناه ، فنرى فيه أفكاراً أصيلة ، ونظماً فريدة ، وسنناً صامدة لا خلل فيها ولا فوضى .

وكلما تعمق العلماء التجريبيون في آيات الخلق اكثر ، تجلت لهم الحقيقة بصورة أقوم ، وعرفوا انهم يقفون أمام كنوز من المعرفة تشير إلى وحدة الخلق ، ووحدانية الخالق ، ولا يتدبر ذلك إلا أولو الألباب ! .

ولقد تحير العلماء السابقون في سر التنوع الهائل بين الكائنات ولم يستطيعوا له تفسيراً ، ولا لأصوله تعليلا ، لأنهم كانوا ينظرون إلى ظاهر الخلق ، ولم يعرفوا شيئاً عن باطنه ، وهم في ذلك معذورون ، لأن زمانهم لم يكن مهيأ للكشف عن الأصول الكامنة في الكائنات ، فهذه ، تحتاج الى وسائل علمية متطورة ، لتغوص بها الى لب الحقيقة .

وفي زماننا هذا ، لا يختلف اثنان من العلماء على أن الكائنات جميعاً قد ورثت صفاتها التي تجيء بها الى الحياة من خلال أشرطة وراثية سجلت عليها شفرات كيمائية أربع ، وكل شفرة منها تتكون من عناصر أربعة هي : الكربون والأوكسيجين والايدروجين والنتروجين ، ولا شيء غير ذلك (شكل ١) .

تصورات صعبة

وطبيعي أن احداً لا يستطيع أن يستوعب أن ذلك التنوع الهائل بين الكائنات يمكن أن يتأسس على هذه العناصر والشفرات الأربع ، اذ كيف تشكلت حقاً ، لتعطينا كل هذا الطوفان الدافق من الكائنات ، وبكل سلالاته وأنواعه وعائلاته ورتبه ؟

أن ذلك قد نشأ على أساس فكرة الشفرة ، والشفرة (الكود Code) ليست غريبة علينا ، خاصة في عصرنا الحديث ، فمن الممكن استخدامها كلغة تعبير مختصرة (كالشرطة والنقطة في التلغراف ، أو الواحد والصفر في الحاسبات الالكترونية ، أو الشفرة المستخدمة في الحروب .. الخ) .. ومع ذلك ، فهناك فرق جوهري بين شفرة كيمائية تؤدي الى كائنات

مختلفة ، وشفرة بشرية تتحول الى لغة تصلح للتفاهم .

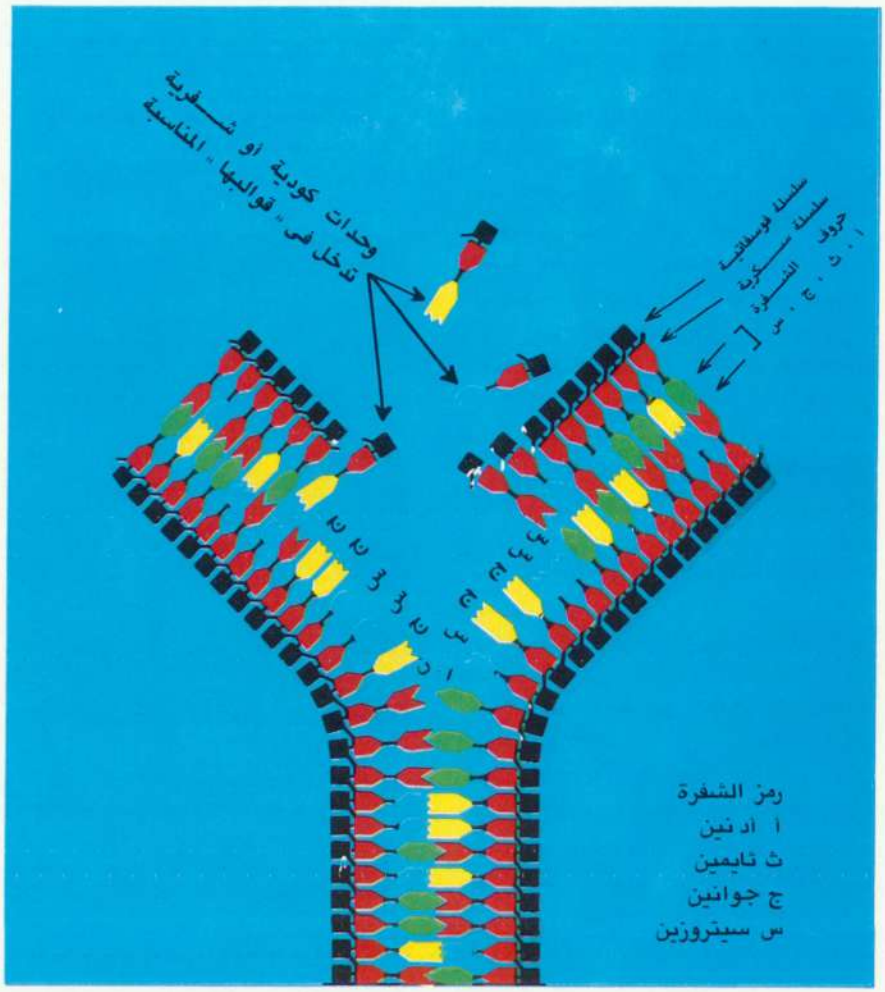
وفكرة الشفرات الكيمائية الاربع الموحدة بين الكائنات ، قد نشأت أساساً من تآلف العناصر الاربعة في جزيئات مختلفة في الاشرطة الوراثية التي تحتويها خلايا جميع المخلوقات ، ويعني هذا أن تلك الأشرطة مبرمجة بشفرات محددة ، ولابد من ترجمة هذه البروجرامات ، لتتحول إلى خطة عمل .. إلى مخلوقات شتى !

ولقد كانت شفرة الحياة من أعظم التحديات التي جابهت العلماء لفترة طويلة ، وكأنما هي بمثابة لغة سرية على درجة هائلة من الكفاءة والتعقيد ، ولاشك أنها تحتاج لعقول على قدر كبير من الذكاء لفك طلاسمها ، ومعرفة مضمونها .

والواقع أن مضمون الشفرة معروف من زمن ولكن من غير المعروف هو كيفية ترجمة الشفرة ، لتتحول الى برامج او خطط تصلح لادارة كل العمليات الحيوية المتناسقة ، لتنشأ على أساسها ظاهرة الحياة ، وهي ـ بلاشك ـ أروع وأجمل ظاهرة في هذا الركن من الكون العظيم !

وشفرة الحياة هى : أ ، ث ، ج ، س .. وهذه الحروف هى اختصار للمركبات الكيميائية الأربعة : أدينين ، ثايمين ، جوانين ، سيتوزين ، وهو ما سبق أن قدمناه في دراسة سابقة على صفحات هذه المجلة ، ولابأس هنا من تذكرة مختصرة ، بأصول هذه الشفرة ، فهى تتراص مثنى مثنى فى أشرطتها الوراثية على هيئة درجات فى سلم كيميائى طويل ، وحتى لا ندخل فى التفاصيل ، فعليك أن تلقى نظرة أخرى على الشكل (١) لأنه يغنى عن أى كلام يمكن أن يقال فى هذا المجال .

ومن طبيعة هذه «السلالم» الكيميائية أنها تنشق طولياً الى نصفين ، وهى لا تنشق بذاتها ، بل هناك خميرة أو أنزيم يقوم بهذه المهمة ، ويمكن تشبيه هذه العملية بفكرة الزمام المنزلق (السوستة) الذى يفتح ويغلق على حسب الحاجة ، فاذا فتحناه ، ظهرت أسنانه على الجانبين واذا اغلقناه ، تداخلت الأسنان ، وكذلك الحال مع الأشرطة أو السلالم الكيميائية ، فاذا انشقت طولياً ، ظهر لها ما يشبه الأسنان على الشقين ، وقد تراصت بمئات الالاف أو الملايين ، لكن هذه الأسنان ليست إلا مركباتنا الكيميائية الأربعة ا ، ث ، ج ، س .. ومن الممكن قراءتها ، لكنها أصعب قراءة على أية حال ، وقراءة الشريط الذى



شكل (٢) نموذج صغير من الشريط الوراثى الموحد الشفرة فى كل الكائنات ، وهو هنا منشق الى نصفين ، وكل نصف يكمل ذاته بالشفرة المناسبة (اى «ا» ترتبط دائما مع «ث» وكذلك «ج» مع «س») وبهذه العملية يصبح الشريط الواحد شريطين متماثلين او «توامين» ، ليحتفظ بصفات المخلوق الذى يحويه عن طريق انتقال كل توام الى كل خلية جديدة فى عمليات الانقسام .

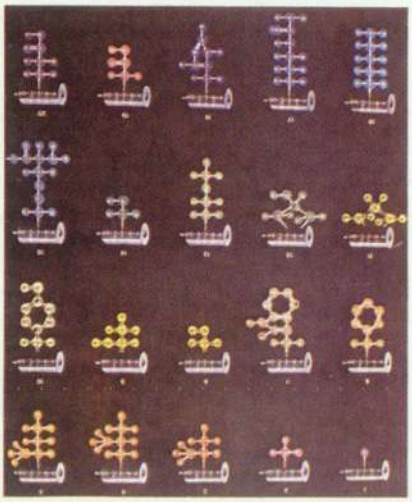
لا يزيد طوله عن جزء من الف من المليمتر يحتاج الى فرقة كاملة من العلماء ، والى سنين طويلة من الجهد المتواصل ، فالعلماء هنا لا يرون الشفرة كما نرى نحن النقط أو الحروف ، بل يقرؤونها بطريق عويص غير مباشر ، وهذا يحتاج الى تحليلات كيميائية دقيقة ومضنية ، والحديث فيها قد يتشعب ويطول ، وليس له هنا مجال ، لكن العلماء قراوها على أية حال ، واذا اردنا كتابتها بلغتنا لكانت هكذا على سبيل المثال : سثاجثسسثاثثججسسا .. الخ .. الخ ، وعلى الشق الآخر لابد أن تنتظم الشفرة هكذا : جاثثسا ججا ثاا سسججثث .... الخ .. الخ (شكل ٢) .

وربما تكون قد لاحظت أن الشفرة «س» على أحد شقى الشريط ، لابد وأن يقابلها «ج» على الشق الآخر ، والشفرة «أ» يقابلها دائماً «ث» ، لأن هذه الشفرات تتقابل أزواجاً أزواجاً ، وكأنما هذه لباس لتلك (انظر شكل ٢) ، ويرجع ذلك الى هندسة فراغية جزيئية تسرى فى تكوين الشريط طولياً ، فيكون هذا الحرف قالباً للذى يقابله ، فيلبس فيه ، ويتاخى معه ويرتبط .. فالف لثاء ، وسين لجيم ، ولا شىء غير ذلك !

ترجمة البرمجة

وعند هذه الحدود وقف العلماء حيارى ، إذ ماذا تعنى هذه الشفرات الأربع التى جاءت متراصة بالملايين فى أشرطة دقيقة

وفيك الباعث والمبعوث وكل مسجل ومكتوب !



شكل (٣) الصيغة أو التشكيل الكيميائى للاحماض الامينية العشرين ، ويمكن تشبيهها بحروف لغتنا التى نكون بها كلماتنا ، وعندما تتجمع هذه الاحماض بالعشرات والمئات حسب خطة مبرمجة على الاشرطة الوراثية ، وبتباديل كثيرة جداً ، يمكن تكوين ملايين فوق ملايين من انواع البروتينات المختلفة ، ليؤدى كل بروتين منها وظيفته المقدرة فى الحياة .

غاية الدقة ؟ .. وكيف يمكن تفسير التنوع الهائل بين الكائنات على هذا الأساس الذى يبدو كطلاسم لا طعم لها ولا معنى ؟ .

ان حل هذا اللغز العويص يحتاج الى عقول ذكية ، وبحوث رائدة ، وتجارب تتسم بالعمق والأصالة ، وبدون الدخول فى التفاصيل التى قد تجرنا الى متاهات نحن فى غنى عنها ، وقع العلماء على كنز ثمين من الأسرار ، إذ وجدوا أن هذه المركبات الأربعة قد أصبحت بداية لغة جديدة ذات رموز ثلاثة ، أى من الممكن تحويل المركبات الأربعة الى ٦٤ شفرة ثلاثية بتباديل مختلفة .. فالشفرة الثلاثية «ااا» تعنى شيئاً مختلفاً عن «سسس» ، أو «ااث» ، أو «اثا» ، أو «ثاس» ، أو «جسا» ، أو «ججس» .. الخ .. الخ ، وأنت تستطيع أن تكتب هذه الشفرات الثلاثية الأربع والستين بسهولة على هذا الأساس .

ولاشك أن كل سر مكتشف يقود الى أسرار جديدة أعمق وأجمل ، وبحيث يبدو لنا أن الحياة ما هى إلا مخزن هائل من أدق الالغاز ، وطبيعى أن هذه الشفرات الثلاثية لها هدف ومعنى ، وهدفها أن تشرف على تكوين لغة أخرى جديدة ، هى لغة البروتينات ، وعلى البروتينات تتأسس كل عمليات الحياة ، ولهذه أيضاً ـ أى البروتينات ـ حروفها المفككة ، ولابد من جمعها كما يجمع الطابع فى المطبعة حروف لغتنا أو أية لغة أخرى ، لتتحول الى كلمات فجمل ففقرات يمكن بها تبادل المعلومات ، وكذلك الحال مع البروتينات ، فلها حروفها العشرون ، وما الحروف هنا إلا الاحماض الأمينية ، وكلها تتكون أيضاً من ذرات كربون وايدروجين وأوكسيجين ونيتروجين (عدا حرفين أو حامضين أمينيين منها يضاف اليهما الكبريت) لكن هذه الذرات تتشكل فى انماط مختلفة ، لتعطى أحماضاً أمينية متنوعة (شكل ٣) .

والواقع أن كلا من الشفرات الثلاثية والأحماض الأمينية هى بمثابة العملة الموحدة بين كل أنواع الكائنات ، وهى التى تستخدمها فى تكوين ما تحتاجه من بروتينات ، لكن كل كائن يشكل بروتيناته على حسب الشفرات الوراثية المسجلة على أشرطته .. ولهذا جاء كل شريط مقسماً الى فقرات كثيرة متجاورة (أى جينات) ، وكل فقرة مسئولة عن تكوين نوع واحد من البروتين ، ولكل بروتين رسالة محددة لا يحيد عنها ولا يميد .

ان جسم الانسان مثلا يستطيع أن ينتج مائة ألف نوع من البروتينات المختلفة على أقل تقدير ، وفى تقدير آخر مبالغ فيه حوالى مليون نوع .. وقد تكون الجزيئات البروتينية صغيرة أو متوسطة أو كبيرة أو عملاقة .. فمنها ما يتكون من عدة أحماض أمينية متالفة لا تزيد عن عدد أصابع اليدين ، ومنها ما تتالف أحماضه بالعشرات ، والكبير منها بالمئات ، ولابد أن تجمع جمعاً صحيحاً ، لأن وضع حامض واحد محل آخر فى جزيء به عدة مئات من الاحماض الامينية ، يعتبر خطأ جسيماً ، لأنه يؤدى الى مرض وراثى يصبح من الصعب علاجه .. ان أخطاءنا فى كتاباتنا قد تغتفر ، أو يمكن تصحيحها بسهولة تامة لكن الأخطاء فى جمع أحماض أو «حروف» هذه البروتينات يؤدى حتماً الى كارثة فى حياة المخلوق ، لكن هذا موضوع طويل ومثير ، وقد نتعرض له فى دراسة أخرى قادمة .

أسطول النقل الجزيئى

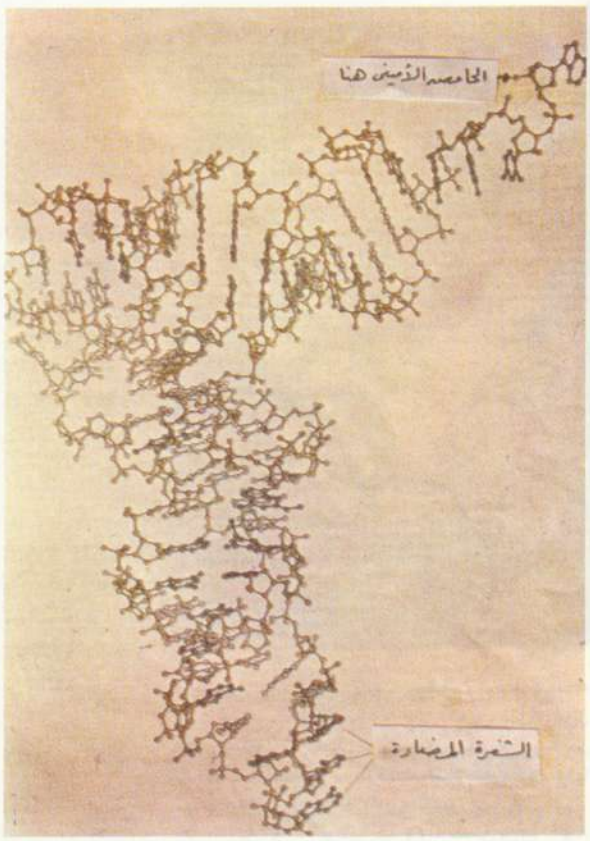
وطبيعى أن حروفنا أو أحماضنا الأمينية العشرين لا تتجمع بذاتها اعتباطاً بل لابد من تنظيم صارم تسير على هداه ، والتنظيم مصدره الأشرطة الوراثية فى النواة ، وعلى أقسام محددة من هذه الأشرطة تطبع جزيئات شبه وراثية بمواصفات محددة ، وبعد طبعها تخرج من النواة الى ساحة الخلية ، لتصبح فيها بمثابة أسطول للنقل الجزيئى ، ولكل ناقلة منها علامة مميزة ، وعلامتها شفرة ثلاثية ، وكل شفرة تتعرف على حامض أمينى من العشرين ، فتشبك فيه ، أو يشبك فيها ، فكأنما نحن ـ فى الواقع ـ أمام حشد هائل من الركاب (الأحماض الأمينية) الذين تيسرت لهم سبل مواصلاتهم ذات الطرازات المختلفة من الناقلات .. ثم ان كل خلية تحتوى على مئات أو ربما آلاف الملايين من الأحماض الأمينية المختلفة التى تنتشر فى ساحة الخلية بدون نظام ظاهر ، ويعنى هذا أن كل حامض يوجد بعشرات الملايين ، وغير مسموح للناقلة الواحدة إلا بنقل «راكب» واحد ، لتوصله الى هدفه ، ثم تعود فارغة لتنقل الراكب التالى من نفس النوع من الأحماض ، وهكذا تسرى الأمور بنظام بديع فيه عبرة لأولى الألباب .

لقد قضى العلماء سنين طويلة فى فصل وتحليل ومعرفة التكوين الدقيق لكل ناقلة ، وما تخصصت فى نقله ، فتبين أنها ذات تكوين معقد وغريب ، ولن ندخل هنا فى التفاصيل ، بل يكفى أن نعرض هنا نموذجاً مفصلا لواحدة من أسطول النقل الجزيئى (شكل ٤) ولاشك أن نظرة عابرة على الناقلة ، توضح سراً غالياً من أسرار الحياة ، وتظهر لنا قدرة الله .. «وما قدروا الله حق قدره» .. حقاً وصدقاً ، لأنهم لا يعرفون ما يخفى على حواسهم ، ولو عرفوا لقدروا ، وهنا يحق القول الكريم «إنما يخشى الله من عباده العلماءُ» .

ولكى نوضح ما يجرى فى ساحة الخلية ـ أى خلية تشاء ، من أى مخلوق تريد ـ كان لابد أن نضرب مثلا من واقع حياتنا ، ولنتصور أن هناك حشداً هائلا من سيارات الركوب ذات الطرازات المختلفة ـ مرسيدس وبيجو وفيات وفولفو وفورد ومازدا وعشرات غيرها ، وان هناك حشداً أكبر من ركاب ذوى أزياء مختلفة ، فمنهم من يضع على رأسه عمامة أو عقالا أو طربوشاً أو قبعة أو طرطوراً .. الخ ،







شكل (٤ أ) طراز من الناقلات الذى تم طبعه أو «صبه» على جزء محدد من الشريط الوراثى ، وقد استطاع العلماء معرفة تكوينه الدقيق ، وهو يحمل فى احد طرفيه الشفرة الثلاثية التى يتعرف بها على واحد من الاحماض الموجودة فى شكل (٣) .. وفى شكل ٤ ب تجسيد لفكرة بناء الناقل كما تمخضت عنه البحوث الرائدة .

ولنتصور أن لكل زى طرازاً محدداً من وسيلة النقل ، فذوو القبعات مثلا لهم الفيات ، والمرسيدس لذوى العقال .. وهكذا .. صحيح أنهم جميعاً بشر ، وصحيح أن كل وسائل النقل سيارات ، لكن النظام فى الركوب يحتاج الى هذا التحديد من البداية .

وقد يبدو أن هذا تصور مبالغ فيها الى حد بعيد ، لكنه موجود فى كل خلية بالتاكيد ، ليس على هيئة ركاب وسيارات ، ولكن على هيئة جزيئات تخصصت فى نقل جزيئات ، ولاشىء غيرها ، ورغم أن الجزيئات لا تسمع ولا ترى ، إلا أن لها وسيلة للتعرف على بعضها ، وهذا ما كشف عنه العلماء الحجاب ، ليتبين لنا معنى النظام ، حتى ولو كان على مستوى جزيئات لا تدرك ولا تعقل ومع ذلك فقد تيسرت لها أمورها من خلال شفرة ثلاثية تحدد هويتها ، وهى أشبه بالأرقام التى تحدد سياراتنا ، لكنها علامات كيميائية على درجة هائلة من الكفاءة والاتقان ، فالجزيء العملاق الذى يحمل الشفرة «ججى» على أحد طرفيه ، متخصص فى نقل حامض أمينى اسمه جلايسين على الطرف المقابل ، والذى جاء بالشفرة «جىج» ينقل الحامض الامينى فالين ، والشفرة «سس س» للحامض برولين ، والشفرة «ىسج» لسيرين ، وهكذا تسرى الأمور مع البقية الباقية من الأحماض العشرين .. واختصاراً للموضوع ، فقد قدمنا هنا جدولا يشير الى جزء من هذه الشفرات الثلاثية ، وهى فى مجموعها تصل الى ٧٤ شفرة ثلاثية ـ كما سبق وذكرنا (شكل ٥) .

والى هنا قد يطرأ على البال تساؤل : اذا كانت أنواع الأحماض الامينية عشرين نوعاً ، فلابد أن يكون لها عشرون نوعاً من الناقلات ، فلماذا اذن هذا الاسراف فى العدد الزائد من طرازات الناقلات ـ أى الـ ٦٤ نوعاً ؟

وهذا تساؤل وجيه ، والجواب أن لمعظم الأحماض الأمينية أكثر من طراز الناقلات ، بمعنى أن حامضاً أمينياً واحداً مثل السيرين له ناقلات بعلامات مسجلة على هيئة يىسأ ، يىسج ، يىس س ، ىس ى ، وكذلك حامض ليوسين له أربع أخرى مختلفة ، ومنهاما له ثلاث ، أو اثنان ، أو واحد فقط ، كل هذا يتوقف على أن هناك أحماضاً مرغوبة فى التجميع أكثر من غيرها ، ولهذا تيسرت لها سبل مواصلاتها ، حتى لا تتعطل العمليات .. أى لا اسراف ولا تبذير !

لكن العلماء قد وقعوا فى حيص بيص عندما اكتشفوا أن القليل جداً من هذه الناقلات لا تتعرف على أى حامض من الأحماض العشرين ، ولاشك أن انتاجها فيه حكمة ، لأن نظم الحياة الرائعة قد علمت العلماء الحكمة ، ثم ان شيئاً من هذه الأسرار لا ياتى هكذا عبثاً ، ولقد تحقق ما كان يساور ظنونهم ، أن الناقلة المميزة بالعلامة «ىاا» أو «ىاج» قد جاءتا لتكونا بمثابة الفصلة أو الشرطة التى نحدد بها بداية جملة ونهايتها ، لأن البروتينات نفسها عبارة عن جمل أو فقرات يتكون كل منها من عشرات أو مئات الاحماض المتشابكة ، وكأنما هذه الناقلات تقف كعلامات فاصلة بين الطرازات البروتينية أثناء جمعها على مطابع الخلية ، وكأنما لسان حالها يقول : ابدأ «الكتابة» من هنا ، وتوقف هناك !

الرسل والمطابع

وقد يبدو هذا الكلام غامضاً بعض الشىء ، لكن أصوله سوف تتضح عندما تتجلى لنا أدق آيات الخلق وأعمقها غوراً ، إذ مما لاشك فيه أن سؤالا ملحاً قد طرأ على البال : فالى أين يتوجه أسطول الناقلات بما يحمل من أحماض أمينية مختلفة ، وفى أى مكان تفرغ كل ناقلة حملها ؟

الواقع أن هدفها مطابع الخلية ، والمطابع مثبتة ومشيدة على حوائط أو جدر

وفيك الباعث والمبعوث وكل مسجل ومكتوب !

رقيقة غاية الرقة ، وهى تنتشر فى الخلية بالملايين ، ورغم دقتها المتناهية ، إلا أن كل مطبعة منها (اسمها العلمي ريبوسومة) Ribosome

وقد شيدت تشييداً مذهلا قد لا يطرأ على عقل بشر ، لأنها بمثابة آلة جزيئية اليكترونية أو كومبيوتر (حاسبة أو عقل اليكترونى) يترجم الشفرات والشفرات المضادة فى التو واللحظة .. والريبوسومة بالفعل كذلك ، لأنها تجمع الحرف مع الحرف ، أو تشبك الحامض بالحامض ، وفى ثوان معدودات يخرج الى الوجود جزيئاً بروتينياً له هدف فى الحياة ، ورغم سهولة «الطباعة» الخلوية ، إلا أن الجزيئات البروتينية الناتجة قد تكون معقدة غاية التعقيد ، وبحيث يعكف العلماء على الجزيء الواحد منها سنوات ، علهم «يقراون» حروفه ، أو يفكون لغته ، وما حروفه إلا تلك الأحماض التى حملتها الناقلات الى الريبوسومات ، لتضعها فى الريبوسومات ، تترجم شفراتها ، فتؤدى الى بروتينات ، وتسيطر فيما بعد على كل العمليات !

ليست هذه فى الواقع اضغاث أحلام ، ولا شطحات خيال ، رغم أن الأمور قد تبدو أمام البعض كذلك ، لكن روعة هذه الأسرار تنم عن عظمة فى الأفكار ، وبها تتجلى قدرة الله الواحد القهار «الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى» .. والهداية فى هذه العوالم الدقيقة ـ التى ظلت خافية عن حواس كل الأجيال السابقة ـ هي هداية وتيسير جزئيات لجزئيات ، وكأنما هي مجتمعات ديدنها الاتقان وسلوكها النظام ، بحيث تجعل من نظم مجتمعاتنا البشرية شيئاً بدائياً ، إذ ليس هناك نظم أجمل من هذه النظم التى تحيل عناصر الأرض ، أو سلالات الطين ، الى ملايين الأنواع من المخلوقات ، ومنها الانسان العظيم الذى يبحث فى الأصول ، ليعرف المضمون ، وهو مضمون يضن على كثير من العقول .

لكن .. كيف تحدث الترجمة الفورية ، لتتراص على أساسها الأحماض الأمينية ، فتؤدى الى جزيئات بروتينية ، لنا ولغيرنا فيها حياة ؟

باختصار شديد نجيب على ذلك بأن الأشرطة الوراثية فى النوى ، هى الأساس ، لأنها تحدد كل شىء من البداية ، وعليها كل البرمجة أو الخطط ، ولقد رأينا فيما قدمنا ، كيف أن أقساماً كثيرة منها كانت تنشق طولياً ، وعند انشقاقها تبرز شفراتها ، وعلى هذه الشفرات تطبع الأنواع المختلفة من الناقلات ، لتخرج الى ساحة الخلية فتتعرف على الأحماض الأمينية .. وهذه واحدة ، وما الثانية ؟

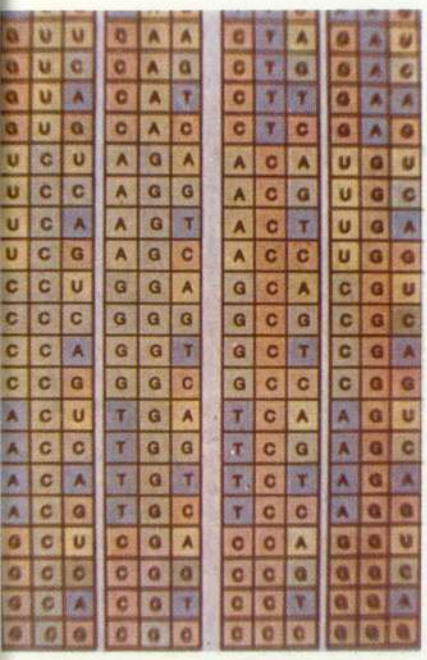
الثانية أن على أقسام أخرى محددة من الأشرطة الوراثية الأساسية فى النواة ، تطبع أشرطة أخرى ، تعرف بالأشرطة الريبوسومية ، ثم تترك هذه الأشرطة النواة وتتوجه الى ساحة الخلية ، وهناك تتجمع بطريقة لازالت غامضة بعض الشىء ، فتبنى «المطابع» التى تنتشر بالملايين فى الساحة ، وهى التى نعرفها باسم الريبوسومات ـ كما سبق أن قدمنا .

والثالثة أن أقساماً أخرى كذلك من الأشرطة الأساسية ، تطبع على ذاتها نوعاً ثالثاً من الأشرطة تعرف باسم الأشرطة الرسولة أو المبعوثة ، وعلى هذه الأشرطة تكمن مئات أو آلاف الشفرات المتراصة ، وهى بدورها تترك النواة ، وتتوجه الى ساحة الخلية ، وتتخذ مواقعها فى المطابع الخلوية (الريبوسومات) ، وعندما تشتغل هذه الأشرطة فى آلات الطباعة الجزيئية ، تتجمع الأحماض الأمينية واحدة بجوار الأخرى ، وكأنما هى أشبه بتجميع حروفنا فى كلمات وفقرات .. ولهذه معنى ، ولتلك معنى آخر خاص بأسرار الحياة (شكل ٦) .

ترجمة الشفرات

والواقع أن كل شريط مبعوث من قبل النواة له مهمة معينة ، لأنه حامل لشفرات محددة ، وكل شفرة تتكون من ثلاثة حروف وفى ساحة الخلية تتعرف الشفرات الثلاثية للناقلات على الشفرات المضادة أو المناسبة على الشريط المبعوث بخطة البناء وكأنما هذه ترجمة لتلك .

ولكى نوضح أكثر ، دعنا نضرب مثلا بجزيء الأنسولين ، والأنسولين بروتين ، أو هو الهرمون الذى يساعد على حرق السكر فى أجسامنا وأجسام الحيوانات

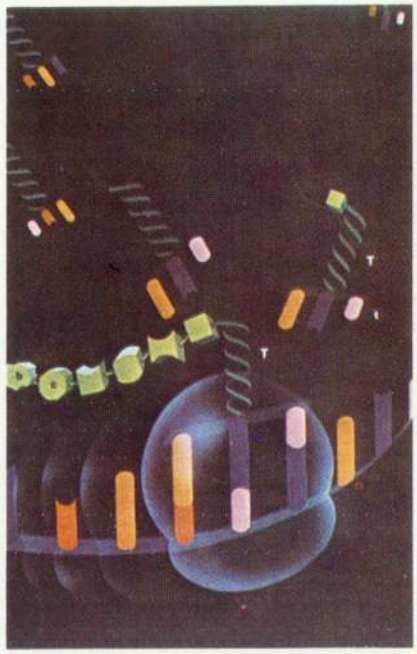


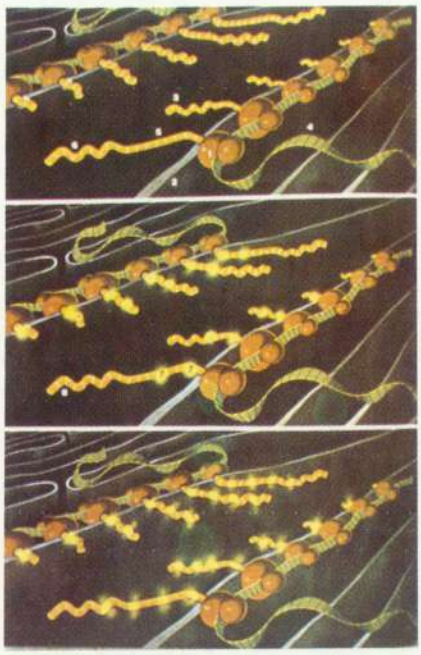
شكل (٥) بعد بحوث طويلة ومضنية توصل العلماء الى معرفة الشفرة الثلاثية التى يتعرف بها كل ناقل على حامضه الأمينى ، والجدول يوضح جزءاً من انماط هذه الشفرات الثلاثية التى يتعرف كل منها على حامض أمينى أو أكثر (أدينين = A ثايمين = T ، جوانين = G ، سيتوزين = C ، يوراسيل = U .

الثديية الأخرى ، فيهبنا ويهبها طاقة الحياة ، وانسولين البشر ، كانسولين الخنازير والبقر ، أى أن كل جزيء يتكون من ٥١ حامضاً أمينياً جمعت فى «سطرين» أو سلسلتين ، احداهما طويلة والأخرى قصيرة ، لكن هناك اختلافاً طفيفاً بين الأنواع ، والاختلاف فى حامض أو اثنين ، لكن الأمر الهام هنا ، ان طبع أو بناء جزيئات الأنسولين فى الحيوانات المختلفة يتم عن طريق أشرطة مبعوثة مبرمجة ، وعلى كل منها يكمن ١٥٣ حرفاً كودياً أو شفرياً ، وكل ثلاثة منها مسئولة عن جمع حامض أمينى واحد من الواحد والخمسين حامضاً التى يحتويها جزيء الانسولين (أى ٥١ × ٣ = ١٥٣) .

وعلى مثل هذه الوتيرة يسرى جمع البروتينات الأخرى صغيرها وكبيرها ، فاذا ظهر فى ساحة الخلية بروتين من عشرة أحماض ، فان ذلك يعنى شريطاً مبعوثاً عليه ٣٠ حرفاً كودياً ، وبروتين بمائة ، له شريط عليه ثلاثمائة ، ٦٠٠ يحتاج لمبعوث عليه ألف وثمانمائة .. الخ .

لكن .. كيف تتعرف الشفرة الوراثية





شكل (٦) يوضح بطريقة مبسطة للغاية عملية تكوين او «طبع» الاحماض الامينية فى جزيئات بروتينية .. والطبع يستلزم وجود شريط مبعوث بالخطة ليلبس فى الريبوسومات R او مطابع الخلية (اسفل الصورة) كما يستلزم وجود ناقلات T تتعرف على الاحماض الامينية بشفرة ثلاثية ، وتتجه بها الى الشريط المبرمج على المطابع ، فتتعرف شفرة الناقلة الثلاثية على الشفرة الثلاثية المقابلة على الشريط .. لاحظ وجود ناقلة وهى تلبس بشفرتها على الشريط المار فى المطابع ، وقد شبكت حامضها الامينى فى السلسلة البروتينية (الخضراء) التى بدأت فى التكوين .. وحول الريبوسومات تنتشر بعض الناقلات ، فمنها ما افرغ حمولته ، ومنها ما يحملها وبها يتوجه الى الريبوسومة .. ولمزيد من التوضيح انظر شكل ٦ ب .

للجزيء الناقل للحامض الامينى على الشفرة الثلاثية للشريط المبرمج الموجود فى «الكومبيوتر» الخلوى ـ اى الريبوسومة او مطبعة الخلية ؟

نظنك لازلت تتذكر المبدأ الاساسى الذى قامت عليه كل الشفرات ، سواء على الأشرطة الأساسية فى النواة ، او على الناقلات ، او على الشريط المبعوث ، او فى الأشرطة الريبوسومية التى تالفت فى تكوين المطابع .. فهى دائما اربعة مختلفة ، اى زوجان .. وكل زوج منها يتالف مع بعضه .. هى فى الشريط الأساسى من «أ» مترابطة دائما مع «ث» ، او «س» مترابطة دائما مع «ج» ، لينتج منها درجات فى سلالم كيميائية متتابعة تقدر بالملايين ، او عشرات ومئات الملايين .

لكن الأمر ينطوى على اختلاف بسيط بين الأشرطة الباعثة ، والأشرطة الى ساحة الخلية ، فلكى لا يرقى المبعوث الى مرتبة باعثة ، قام الباعث بابدال حرف واحد محل حرف ، اى أبدل «أ» بالحرف «ى» (ادينين محل يوراسيل) ، وبهذه «السياسة» الكيميائية الحكيمة ، لا يحق للمبعوث ان يتصرف كباعثه !

وعلى هذا الاساس تتعرف الأزواج على أزواجها فى ساحة الخلية .. «ى» فى الشريط المبرمج على المطبعة ، تتعرف على «أ» فى الشريط الناقل ، والعكس صحيح ، كذلك تتعرف «س» على «ج» والعكس ايضا صحيح .

خذ لذلك مثالا للتوضيح .. ان الناقل للحامض الامينى بالشفرة الثلاثية س س ا ، يتعرف على موقعه من الشريط المبرمج على المطبعة عن طريق الشفرة ج ج ى ، لأن «س» دائما تلبس فى «ج» ، «أ» تلبس فى «ى» ـ كما سبق أن قدمنا .. كذلك لو جاء الناقل بالشفرة ج س ج ، فقالبه على شريط الطبع س ج س ، كذلك ى ج ى يقابلها اس ا .. وعلى هذه الفكرة الجميلة يعرف كل ذى علامة هدفه وموقعة من المعمعة الهائلة التى تجرى احداثها فى كل خلية حية .

عود على بدء

بعد هذه الجولة السريعة فى قطرة من بحر أسرار الخلايا الحية ، يتضح ان بينها عوامل كثيرة مشتركة ، او «عملة» عامة موحدة بين جميع الكائنات ، بمعنى انها تستخدم جميعا نفس الاحماض الامينية ، ونفس الشفرات الوراثية ، ونفس الاسطول الجزيئى الناقل ، ونفس الريبوسومات ، لتبنى بها البروتينات ، فلو انك أخذت جزءا من الشريط الوراثى (اى جينة) للانسان ، وزرعته فى ميكروب ، فان الميكروب يستطيع ان يترجمه ، ويعرف شفراته ، ويكون به نفس البروتين الذى يتكون فى جسم الانسان !

إن مثل هذه اللعبة الخطرة التى تتركز فى نقل صفة او صفات وراثية من مخلوق الى مخلوق آخر مختلف ، واكسابه صفة جديدة ، سوف تحدث ثورة هائلة فى علوم الحياة ، وهذا ما يعبر عنه العلماء بثورة الهندسة الوراثية ، لانها ستتمخض عن أهداف غريبة أشد الغرابة على عقولنا وزماننا ، لكن ذلك موضوع طويل ومتشعب ومثير ، وسوف نتعرض له فى دراسة قادمة ، لنعلم على اى عصر غريب نحن مقبلون ، لكننا ذكرناه هنا ذكرا عابرا ، ليتبين ان الكائنات جميعا تجمعها فى الخلق أصول كثيرة مشتركة .

لكن بقي سؤال هام : كيف تجيء الانواع مختلفة ، رغم أن أصولها الكيميائية مشتركة ، وعلى راسها الأشرطة الوراثية المبرمجة بنفس الشفرة ؟

السؤال كبير ، والاجابة عليه اكبر ، لكن يكفى أن نذكر أن الاختلاف فى الأنواع يرجع الى مضمون الشفرات ، ومرورها فى مراحل تطورية طويلة جدا ، فترتقى معلوماتها وتصقل بمرور الزمن ، حتى توجت مشوارها الطويل ، بظهور الانسان الحكيم ، الذى خلق «من سلالة من طين» .. وكذلك كل الكائنات ، لانها تكونت من نفس العناصر ، لتؤدى الى نفس الفكرة التى حلت فى ملايين الأنواع .. كيف ؟

لهذا دراسة قادمة ، لنعلم ما لم نكن نعلم ، وندرك أن للخلق ظاهرا وباطنا ، وانه ينطوى على فكرة موحدة ، تدل على وحدانية الخالق «ولكن اكثر الناس لا يعلمون» .

دكتور عبد المحسن صالح

جمال قطب



بيتربول روبنز (١٥٧٧ ـ ١٦٤٠)

أعظم من صوّر المرأة في التاريخ

مدينة « انتويرب » مسقط رأس فناننا « روبنز » بلجيكا وادعة .. حالمة .. عريقة ، خرجت اجيالا ، من عمالقة الفن الذين اثروا عصر النهضة الاوروبى بكنوز الابداع الرفيع ! وقد عرفت هذه الابداعات فى تاريخ الفن (بمدرسة انتويرب) ، وكان آخر اساطينها هو (بيتر بول روبنز) . وتقع المدينة فى تلك المنطقة من الأراضى المنخفضة فى الشمال الأوروبى ، والتى يطلق عليها الآن اسم بلجيكا ، فقد كانت هولندا وبلجيكا فى تلك الأيام (القرن السادس عشر) ضمن مجموعة أقاليم متفرقة تحت حكم أسبانيا .

التحق الصبى روبنز ـ وهو فى الثالثة عشرة من عمره ـ عام ١٥٩٠ بمراسم الفنانين فى المدينة مبتدئا مسيرة عشر سنوات حافلة ، قضاها متتلمذا على يد المشاهير آنذاك ، وتفتحت موهبته وبصيرته ، وأظهر نبوغا مبكرا جعله محط الأنظار وموضع الرعاية الخاصة من أساتذته الفنانين ، واختلط بالعديد من الشخصيات ذوى الجنسيات المختلفة ، فاكتسب مهارات ومعلومات ولغات كثيرة ، حتى انه أجاد ـ بجانب لغته الفلمنكية ـ عدة لغات أخرى كالأسبانية والايطالية والانجليزية والفرنسية .

وعندما بلغ الثالثة والعشرين ، قصد ايطاليا لدراسة فنون عصر النهضة ، مبهورا بعبقرية ليوناردو دافنشى ومايكل انجلو ورفاييل وغيرهم من الأساطين . وتألق روبنز وذاعت شهرته فى روما وفلورنسا ، ثم قفل راجعا الى بلدته انتويرب لتبدأ قصة امجاده الخالدة .. فقد سبقته اليها شهرته ونبوغه وتفوقه وغزارة علمه واتساع مداركه ! وكان طبيعيا أن تسارع الأميرة (إيزابيللا) وزوجها (ألبرت) ـ وكانا يحكمان انتويرب ـ إلى تعيينه رسام البلاط ومستشارا خاصا لهما !

وللفن إيحاءاته وسحره الذى لا يقاوم ! ومراسم الفنانين فى ذلك الوقت كانت هى وكالات الأنباء التى تعلن عن الجمال والفتنة الكامنة خلف الأسوار والأستار فى البيوتات العريقة .. فلا غرو أن تتطلع عيون الحسان إلى أنامل الفنان الملهمة ، وتمثلت روائعه فى مخيلتهن تطوف العواصم العالمية وتزدان بها المتاحف فى أطر من ذهب !

وكم جلست الأميرة إيزابيللا أمام روبنز ليرسمها فى كل الأوضاع ، مما شجع فاتنات الشمال الأوروبى كله لكى يطرقن بابه حبا فى الفن وطمعا فى الشهرة وأملا فى الخلود ، ولهذا أطلق المؤرخون على فناننا روبنز « أعظم مصورى النساء فى التاريخ » . وفى عام ١٦٠٩ ، سعت إحدى العائلات إلى الفنان لكى يرسم ابنتها الجميلة المدللة ، وكان اسمها (إيزابيللا براندت) .. فتاة رائعة الجمال فى الثامنة عشرة من عمرها ، تتمتع بجاذبية وذكاء نادرين .. وترددت الفاتنة على مرسم الفنان وما هى الا جلسات معدودة ، حتى كانت قد ملأت على الفنان كل حياته .. وكان لابد له من أن يتخذها زوجته وملهمته . ورفع الفنان شعاره الخالد : لتحيا المرأة !

وصارت الزوجة الجميلة نموذجه الرائع ونجمة لوحاته الخالدة .. ومع استقراره الوجدانى ، اكتسبت لوحات الفنان طابعا رائقا يزخر بالحيوية والشفافية ! وتألق الفنان هائما بحب زوجته الفاتنة .. وعمت شهرته أرجاء الأرض ، ويروى لنا التاريخ أنه فى عام ١٦١١ ، رفض أكثر من مائة طلب لرسم كبار الشخصيات فى عصره من رجالات الحكم وسيدات الطبقة الارستقراطية ، ولم يكن ذلك تعاليا أو تمنعا ، ولكن ، لأن مرسمه كان محجوزا لعدة أعوام تالية !

وقد عرف عن روبنز أنه كان يستقبل زائريه ، ويستمع إلى شخص يقرأ له شيئا ويتامل لوحة لأحد تلامذته ، ويوجه انتقادات ونصائح لفنان آخر .. يفعل ذلك كله فى وقت واحد ! فلا عجب أن قال عن نفسه يوما « من بين الناس جميعا ، أنا لكثرهم عملا ، وأشدهم معاناة للارهاق ، كما أنى أفوقهم ذكاء واستمتاعا بالجمال » ! .. وماتت الزوجة الرقيقة الملهمة .. وكان روبنز قد بلغ الثالثة والخمسين من عمره ، ولم يزل قلبه ينبض بالدفء والتفتح على عالم الجمال ، فأحب صبية عمرها ستة عشر عاما هى (هيلين فورمان) .. وتزوجها .. طفلة ريفية ساذجة .. وكان هذا منطقيا مع نفسية الفنان وحياته ونفوذه وشهرته !

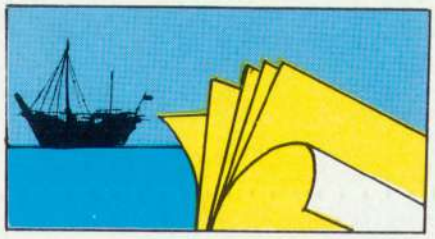
لقد زهد روبنز حياة البلاط والثراء ، ومل المظاهر الارستقراطية المتانقة ..

وكان لابد له من أن يعود إلى حياة البساطة على سجيتها وطبيعتها الوادعة .. فأثر تلك الطفلة البريئة على فاتنات عصرها .

إنه فنان .. وأى فنان .. أنه رجل الأمجاد والتاريخ .. روبنز !



من روائع روبنز : ايزابيللا (١٦٢٥)



بقلم :
عبد الرحمن المنـــاعي

رحـــــلـــة الآلام في الدفتـــر الأصـفـر!

لن يستطيع أن يعطى زوجته هذه المرة اكثر من « روبية » واحدة ! لقد اخبره كاتب « النوخذه » أن ديونه زادت بحيث تلزمه العمل لثلاثة مواسم قادمة بدون أن يقبض اكثر من روبية واحدة كل سنة !

شد أصابعه حول القطعة النقدية وأقنع نفسه أن روبية واحدة تكفي زوجته لمدة شهرين وربما ثلاثة ، وحمد الله كثيراً على انه لم ينجب أبناء حتى الآن .

بعد شهر

وُضِعَ فى مقدمة السفينة . والكل ينظر اليه باسى .

وقف رجل صارم ممسكا بكلتا يديه رأسه ورجل آخر أمامه يقلب مسماراً طويلا بين جمر التنور الملتهب . أخيراً تم كي صدغه ونام الجميع . وظل هو يتألم .. ينظر الى السماء ، وينصت للأمواج .. روبية واحده وها أنا لا أستطيع سدادها ! شهر من البحث الدائم فى أعماق الخليج عن اللؤلؤ ولا شيء ، حتى تقيحت أذناه وقرر النوخذه كيها من جديد حتى يستطيع الغوص مرة أخرى !

بعد شهر

وضع رأسه بين الحبال . أوثق حبـــل « الحير » فى رجله ، ونظر الى « الديين » المعلقة حول رقبته . تحسس تلك البقعة الغائرة من القروح التى بدأت تشوه الجانب الأيمن من وجهه . وترك « الحير » يسحبه غائصاً به إلى الأعماق بحثاً عن « المحار » . لقد أوشك الموسم على الانتهاء ولا شيء ! حتى وجهه المشوه لم يعد يستدر عطف النوخذه المتجهم ، والذى يزداد توتره بمرور الأيام . لم يعد يفكر وهو يبحث بين الصخور فى غير زوجته والروبية .

بعد شهر

تركته زوجته الحانية يتألم على فراشه وذهبت إلى زوجة النوخذه تستجدى روبية اخرى ، كى تشترى بعض الأعشاب لعلاج قروح زوجها التى استشرت حتى وصلت كتفه الأيمن . أخيراً وبعد مشاورات متجهمة احيلت المســـكينة إلى كاتب النوخـــذه ليمنحها الروبية ويسجل فى دفتره الأصفر روبية أخرى على حساب زوجها .. حتى الموسم القادم ! !

من قاموس البحر والغوص

● يتعرض الغواص للآلام المبرحة فى أذنيه أثناء الغوص نتيجة دخول الماء فيهما ، وبقائه مدة طويلة فى أعماق البحر . وعملية « الكى » حول الأذن ، مهمتها ايقاف هذا النوع من الآلام الشديدة ، لكنهـــا لا تحول دون خراب الأذن إلى الأبد !

الروبية

●● عملة هندية تعادل الان ⅓ دولار امريكى ولكن قيمتها الشرائية أيام الغوص – أى ما قبل عام ١٩٤٠ – كانت تعادل ٢٥ دولاراً أمريكياً .

النوخذة

●● هو قبطان السفينة ، وربمـــا يكون صاحبها انه شخص ذو دراية بالبحر ومناطق صيد اللؤلؤ . خبير بأنواع اللؤلؤ وأوزانه كذلك عالم بفن الملاحه بواسطة الظواهر الطبيعية وأصل الكلمة فارسيه من شقين « نو » وتعني سفينة « خدا » وتعنى رب أي رب السفينة .

الحير

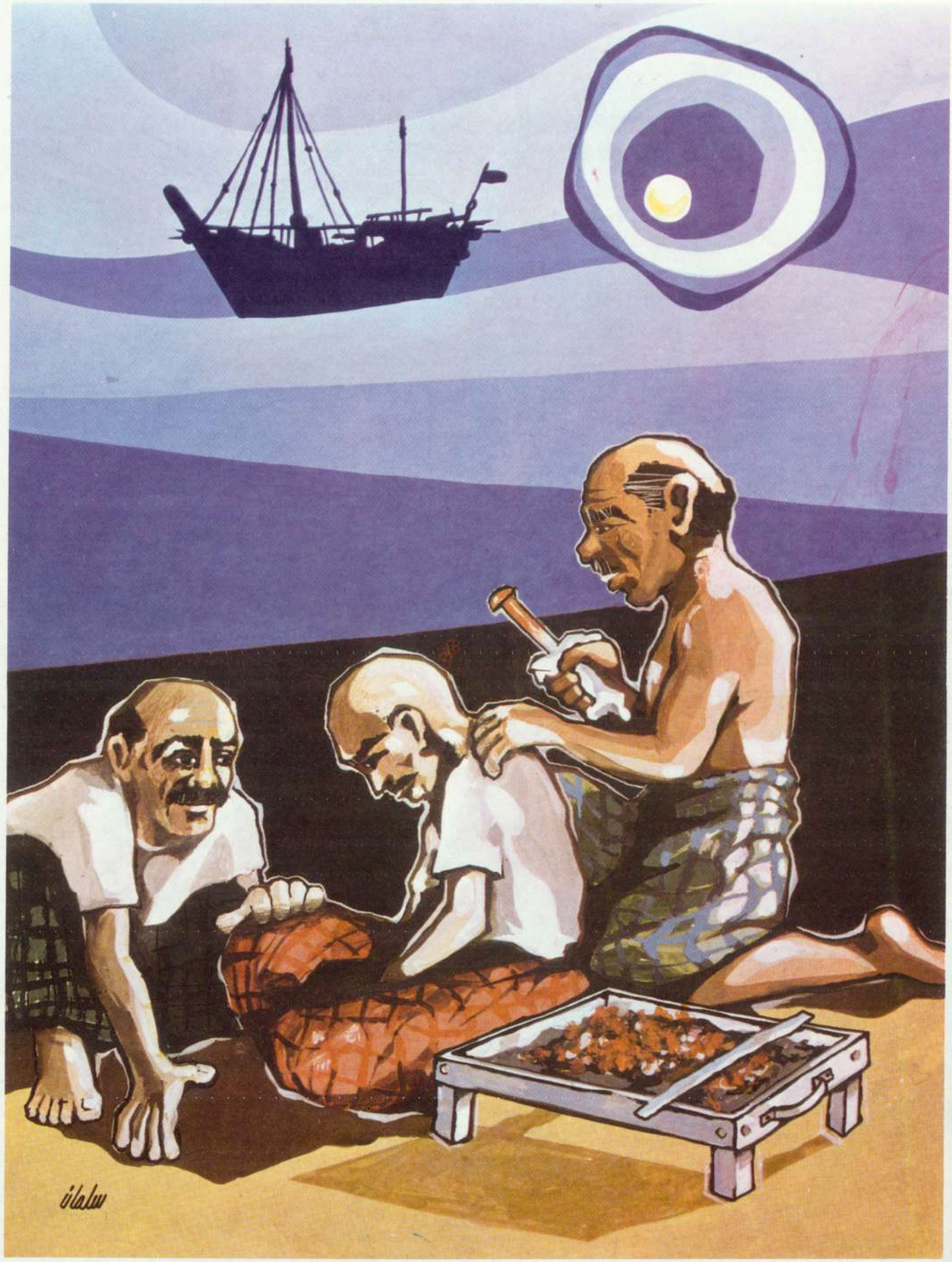
●● قطعة من الرصاص توضع برجل الغواص كي تسرع به نحو أعماق البحر .

الديين

●● سلة مصنوعة من الحبال توضع حول رقبة الغواص ليضع بهـــا المحار .

المحار

●● الصـــدفة التى ينمو بداخلها اللؤلؤ



الدرعيـــة

قصة مدينة بلغت أوج مجدها الإسلامي

بقلم : فـــوزي الخمـــيس

لقطة نادرة لمدينة الدرعية من الجو .. وهي المدينة التي تقع في المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية وتلك المنطقة ـ كما نعرف ـ لعبت دورا هاما في التاريخ العربي قبل الاسلام وبعده



مازالت الحضارات البشرية كامنة فى ربوع المملكة العربية السعودية ، لأن العلم الحديث لم يبدأ بعد فى استنباطها والتعرف على كنهها ، فاذا أضيف الى ذلك ما تكتنفه طيات التاريخ المكتوب من عطاءات حضارية ، قدمتها هذه الأرض إلى العالم ، لوجدنا السبب فى أنها كانت بعد ذلك ، وبمشيئة الله تعالى ، مهدا لأسمى رسالات الهدى والخير لبنى الانسان ..

من هنا ، أسفر البحث العلمى المعاصر على أن عهد الاستقرار البشرى فى الجزيرة العربية ، يعود الى أقدم عصور ما قبل التاريخ ، وأن بوادر المكتشفات الجديدة حول مناطق المستوطنات الحجرية القديمة تؤكد أن بعضها يرجع زمنه إلى حوالى أربعين ألف سنة ، وقد بات يقيناً أن بعض مناطق الجزيرة قد ساهمت مساهمة فعالة فى قيام احدى الحضارات الأولى للانسان ..

وانطلاقاً من أهمية ذلك ، قسم المجلس الأعلى للآثار فى المملكة العربية السعودية مناطق الآثار ، الى ست مناطق : الوسطى ، والشرقية ، والشمالية ، والشمالية الغربية ، والغربية ، والجنوبية الغربية ..

وتختلف الآثار حسب اختلاف المناطق ، وانتشار الحضارات التى سادت ثم بادت ، فمن الثموديين الذين عقروا ناقة الله فى الشمال الغربى من البلاد ، الى اليهود الذين أحرقوا الاخدود فى الجنوب الغربى إلى مناطق عاد فى الربع الخالى ، الى غير ذلك من الشعوب والأقوام والحضارات ..

الا أن أكثر تلك المناطق اهمية هى المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية ، خاصة تلك الواقعة فى العمق من (وادى حنيفة) وعلى مسافة عشرين كيلومتر من قلب مدينة الرياض ، حيث كان موعدى مع مدينة « الدرعية » التى بلغت أوج مجدها فى عهد الداعية الاسلامى الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمى النجدى

لقطتان .. الأولى لبعض سكان المنطقة الوسطى بملابسهم المتوارثة أثناء الاحتفالات القومية .. واللقطة الأخرى لقصر « المصمك » بالقرب من الدرعية

الدرعية
قصة مدينة بلغت أوج مجدها الإسلامي

أصل المدينة

ومدينة الدرعية ـ كما نعرف ـ تقع فى المنطقة الوسطى من المملكة ، وهذه المنطقة التى هى نجد تشتمل على : العارض ، والوشم ، سرير ، القصيم ، الخرج ، وادى الدواسر حيث تكثر التلال الشامخة ذات الكهوف والمقابر التى لم يجر التنقيب الا فى موقع واحد منها فقط هو قرية « الفاو » الوسطى .. أى أنها تقع فى منطقة لعبت دوراً هاماً فى التاريخ العربى قبل الاسلام وبعده ، فهذه المنطقة هى التى كانت تسمى « اليمامة » والتى كان يمتد نفوذها السياسى الى حدود العراق شمالا واليمن جنوباً ، وكان سكانها قبل الدولة السلفية مجموعة من القبائل ابرزها قبيلة عنزة ، ممن كانوا يزرعون فى حدائق بيوتهم أحراج النخل الواسعة وأشجار الخوخ ، وعرف بها شجر التين أيضاً ، واشتهر سكان هذا المكان بتربية الخيول الاصيلة ذات السلالات العريقة المعروفة جيداً فى انحاء شبه الجزيرة العربية ، ويقول ابن خلدون إن سوقاً كانت تقام للعرب فى ذلك المكان من محرم من كل عام !

الا أنه مع تحول التجارة الاوربية الى رأس الرجاء الصالح وهيمنة الاستعمار الغربى على الخطوط البحرية الاسلامية ، يبدو أن ذلك كان له الأثر فى الناحية الاقتصادية والفكرية فى شبه الجزيرة العربية ..

وقد زارها فى إبان مجدها عام ١٨٠٧ مبعوث من قبل المقيم الانجليزى التجارى فى الخليج ويدعى « مانستى » ، ومر بها « سادلير » الرحالة الانجليزى المبعوث من حكومة الهند الى ابراهيم باشا الذى كان ينسحب من البلاد قبيل عام ١٨٤٠ ، ووصف « سادلير » خراب الدرعية فى مذكراته المشهورة ، وزارها الرحالة المشهور « بالجريف » عام ١٨٦٢ فى الأيام الأخيرة من حياة الامام فيصل بن تركى أيام المرحلة الوهابية الثانية ..

فالدرعية مدينة تاريخية ، بمنطقة العارض من نجد ، نشأت أهميتها فى الدرجة الأولى بسبب موقعها الجغرافى على طريق القوافل ففى عهد الازدهار التجارى كانت تربط البحر الأحمر بالخليج وفى أحسن حالاتها بلغ سكانها ستين الف نسمة وفى اقل الحالات وصلوا الى ثلاثة وثلاثين الف !

ويعود السبب فى تسمية « الدرعية » بهذا الاسم الى أن مواطناً من أهل القطيف بالمنطقة الشرقية من المملكة ، ومن ضاحية فيها تسمى الدرعية نسبة الى الدروع ، قام قبل منتصف القرن التاسع الهجرى بزيارة لابن عم له فى « منفوحة » أحدى ضواحى الرياض الآن ، وكان ابن عمه هذا يسمى (ابن درع) وهو زعيم قبيلة الدروع فى منفوحة ، فمنح ابن درع ضيفه وابن عمه قطعتى أرض تبعدان ١٢ فرسخاً عن أراضيه فى أعالى وادى حنيفة ـ أشهر أودية نجد ـ وعندها بدأ الدروع يهاجرون ناحية ابن عمهم ويقطنون الوادى ، ومع تقادم العهد صار المكان يدعى بالدرعية !

ويؤكد المؤرخون أن هذا الضيف الذى وفد على ابن عمه فى منفوحة ، هو « مانع المريدى » ..

وعبر القرون أصبحت الدرعية قاعدة المنطقة ، بل عاصمة الامبراطورية ، تحكم لمدة خمسة وسبعين عاماً ما بين الشام والعراق شمالا ، الى عمق اليمن وعمان جنوباً ، ومن البحر إلى البحر غرباً وشرقاً ..

وفى هذه الفترة كانت الدرعية منطلقاً للدعوة السلفية التى نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، واحتضنها الأئمة الأعلام من آل سعود ، ولاقوا فى سبيل نشرها وإظهارها الكثير من العنت والارهاق فأعزهم الله بها ، وكانت لهم الكرة والعاقبة ..

الحركة الاصلاحية

وفى ذات يوم كانت الجزيرة العربية مقسمة الى قبائل تتصارع على الماء والكلأ يسودها قانون الغاب الذى يجيز للقوى أكل الضعيف ، طرقاتها كانت غير آمنة ، ومسالكها محظورة ، فى رمالها يكمن الخوف وفى سفوح جبالها وقممها تفوح رائحة الشر !

وكانت « نجد » مرتعاً خصباً للخرافات ، وذهب فيها المسلمون الى الخزعبلات وعبادة الأموات وتعظيم السادة والكبراء وتقديس بعض الأشجار ، وراح الناس يحجون الى قبر زيد بن الخطاب .. كانت الحياة فيها وقتئذ لا تخرج عن قحط ومتاعب وجراد وغزو وجهل وأطماع



نموذج من طراز البيوت القديمة فى المنطقة الوسطى التى مازالت تحمل طابعها الشبيه بالقلاع .. ومازالت مسكونة إلى الآن !

خارجية ، وحتى المطر ـ اذا هطل ـ فانه يؤدى الى فيضانات تجرف البيوت كما حدث فى « العيينة » !

وفى أوج هذا الضياع والقتل فى «نجد» ولد عام ١٧٠٣ ميلادية محمد بن عبد الوهاب فى بلدة العيينة ، وكان أبوه قاضياً وجده قاضياً ، وعلموه فى طفولته أصول الدين ، ووضعوا بين يديه المراجع الدينية والمؤلفات ، فشب متأثراً بابن تيمية ، وحج لمكة المكرمة قبل تمام العشرين ، ودرس فى المدينة المنورة وأراد بعد ذلك أن يسافر الى دمشق ، فمر بالبصرة ومكث فيها فترة واصل بعدها رحلته ، وكاد فى الطريق أن يموت عطشاً لولا عناية الله ـ فعدل عن زيارة دمشق وعاد الى الاحساء ، ومنها قصد (حريملا) وظل مجاوراً لأبيه القاضى المعزول الى أن توفى والده فبدأ حركته الاصلاحية عندما ذهب الى بلدة العيينة وقابل أميرها عثمان بن معمر بن حمد ..

بدأ محمد بن عبد الوهاب حركته الاصلاحية بقطع الأشجار المقدسة المنسوبة الى الأولياء ، وهدم القبر الذى يحج إليه الناس ، ونبذ البدع ، فغضب بنو خالد من حاكم العيينة وطلبوا منه تسليمهم محمد بن الوهاب ، لكنه لم يسلمه وخيره بما يراه ، فرأى أن يذهب الى الدرعية فى ١٧٤٥ ميلادية حيث يعيش ويحكم أمراء آل سعود فى قلعة الطريف ، فسكن الشيخ فى ضاحية « البجيرى » وبدأ يدرس ويواصل دعوته ، واستجاب الأمير محمد بن سعود لهذه الدعوة ، واحتضن الشيخ ، وعاهده على السراء والضراء ، ونصرة الدين ، واحياء سنة الرسول الكريم ومن بعده فعل ابنه عبد العزيز الأول فزادت أهمية الدرعية ، مما زاد من غضب الأمراء المجاورين لها وبدأوا فى محاربتها .

وانقلب الوضع تماماً ـ كما يقول المؤرخون ـ خاصة عندما استنفذ بنو خالد كل جهدهم ، وحاصروا الدرعية وضربوها بقنابل المدافع ، واستمر النضال من أجل هذه الدعوة فى أيام عبد العزيز بن محمد أكثر مما كان فى عهد أبيه ، وكذلك فى عهد سعود بن عبد العزيز بن محمد ، الى أن تم فتح الأماكن المقدسة وسائر بلاد نجد والاحساء ، وأصبحت الدرعية عاصمة دولة كبرى ، يعاكسها الأتراك ، ويتآمر عليها الانجليز ، وينتدبان لها محمد على باشا !

تخليد الآثار والمعالم

وعند مدخل الدرعية استقبلنى رجل قضى بين القصور والنخيل فى الدرعية أكثر من سبعين عاماً ، وصحبنى فى جولة بين الأطلال والآثار .. انه على بن عبد الله بن منيع الذى أشار لى نحو المنزل الذى عاش فيه محمد بن عبد الوهاب .. وقال لى: إن هذا المنزل مضى عليه أكثر من مائتى عام ومازال مسكوناً ، ولولا الحرج من سكانه لدخلنا اليه وشاهدناه من الداخل بأعيننا !

وفى المدينة العريقة ، عرفت أنه كما كانت الدرعية قاعدة للدولة السعودية الأولى ، كانت أيضاً منطلقاً للدولة السعودية الثانية ، فمنها انطلق المغفور له جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الى الرياض عام ١٩٠٢ ، ووصلها ومعه ستون رجلاً ، وتسلق قصر «المصمك» بعشرة من خاصته ، واقتحمه صباح اليوم الخامس من شوال عام ١٣١٩ هـ ، ودارت المعركة بينه وبين « عجلان » عامل بن رشيد على الرياض انذاك ، وبانتصاره تمت استعادة الرياض ..

والمعروف أن قصر « المصمك » أو « المسمك » الذى يتوسط مدينة الرياض ، أمر بانشائه الامام عبد الله بن فيصل بن تركى قبل أكثر من مائة وعشرين عاماً ..

وهذا القصر عبارة عن بناء ضخم شامخ سميك الجدران ، له أربعة أبراج فى جوانبه الأربعة وبرج خامس فى وسط المبنى وله بوابة كبيرة خشبية فى وسطها، الى الأسفل باب صغير يسمى (بالخوخة) .

وللمبنى طابع حربى ، له صفة القلاع والقصور المنيعة المحصنة ، ويعد نموذجاً حياً لهذا النوع من العمارة التى انتشرت فى هذه الفترة من الزمان فى الجزيرة العربية ، فهو يمثل فن العمارة الحربية الاسلامية العربية فى القرن الثالث عشر الهجرى ..

وللعبرة والذكرى ، والمحافظة على آثار الدرعية ومعالمها ، وتمجيداً وتخليداً لذلك المنطلق العملاق الذى ترك فى مسامع الزمن دوياً لا ينفك صداه ، ولا يمحى أثره ، فقد وافقت الحكومة السعودية على مشروع متكامل ، يبرز هذه الآثار ويرمم ما أكل عليه الدهر وشرب ، لتكون منطقة سياحية بارزة بمكتبتها وصالات عرضها ، واستخدام الصوت والضوء بها ، وبحدائقها وفنادقها ، ولعل لنا عودة بعد انتهاء المشروع لنتحدث عنه بافاضة وعمق .

فوزى الخميس

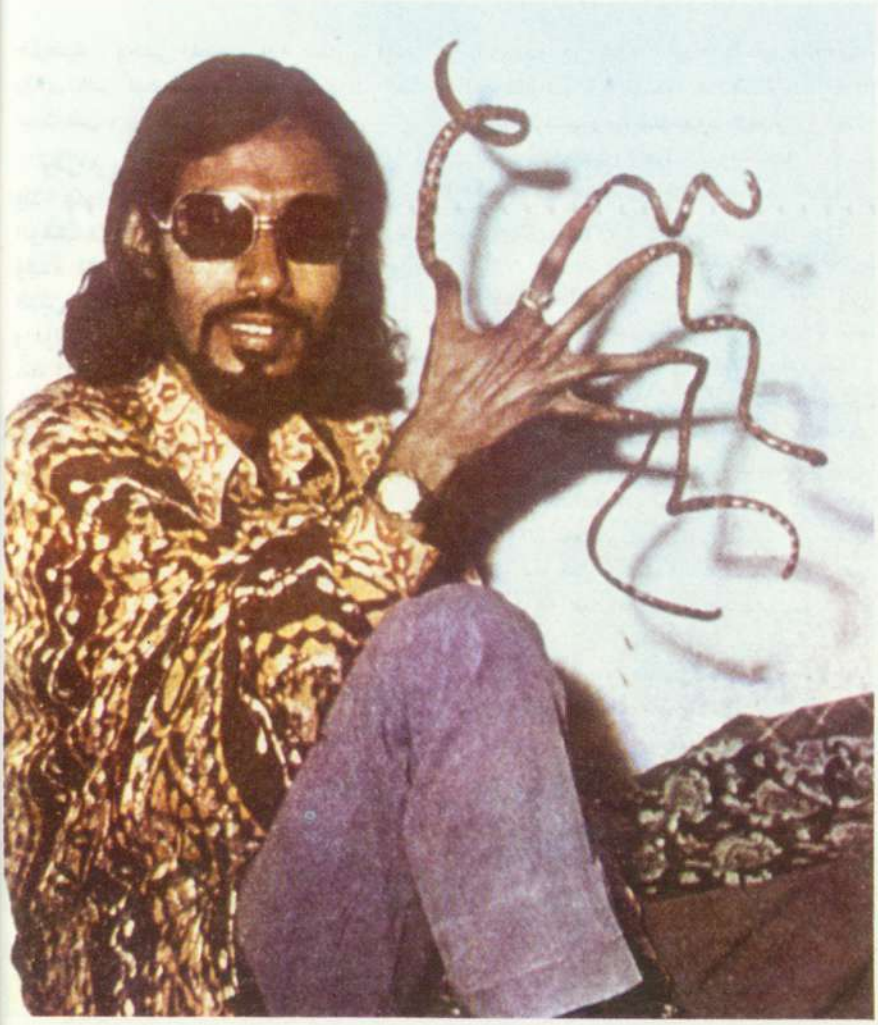
الصيد بالصقور .. من العادات المتوارثة بين سكان المنطقة الوسطى



باب خشبى قديم فى المنطقة يتميز بطابعه الشعبى ومتانة أبواب الحصون !



لقطات من الكون المثير



حتى الأظافر لها أرقام قياسية

هي – لا شك – «تقليعة» تؤخر ولا تقدم ، تؤخر لأنها تعطل يداً عن عمل مفيد ، لكنه فعلها لعلها تضفي شيئاً من الشهرة عليه ، فلقد جلس هذا الرجل المدعو شريدهار شيلال ليعرض ما صارت عليه أظافره بعد أن تركها على حالها منذ عام ١٩٥٢ ، وعندما قيست في العام الماضي – تبين أن مجموع أطوال أظافره مجتمعة على اليد اليسرى قد بلغ مترين ونصفاً ، أو بالتحديد ٢٥٤ سنتيمتراً ، وكان أطولها ظفر الابهام ، إذ وصل طوله ٦٣,٥ سنتيمتر ، وبهذا فقد حقق رقماً قياسياً جديداً ، وما أغرب المفارقات ، مفارقات البشر .

لاجديد تحت الشمس



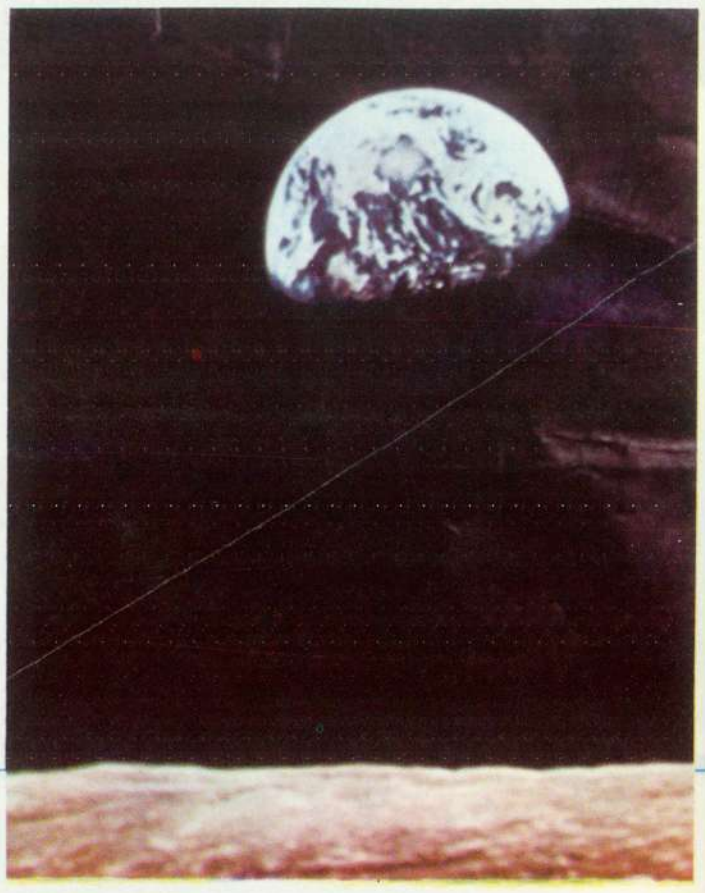
الطبيعة تزخر بكل الافكار التى قد تطرأ أو لاتطرأ على عقل بشر ، وفى الصورة واحدة من هذه الافكار التى ظهرت قبل ظهور الانسان بعشرات الملايين من السنين وفيها نرى تكويناً حياً من نبات متسلق والتكوين يشبه الزنبرك أو الياى ، الذى ينفرد وينضغط حسب الشدة والضغط ، وتستخدمه النباتات ذات السيقان الضعيفة « بمثابة عكاز » لتتسلق به على النباتات العالية كى تحصل على نصيبها من ضوء الشمس اللازم لها فى عملية تكوين الغذاء ، وكلما ارتفع النبات الضعيف ، تكونت له « يايات » جديدة ، لتشبك وتشد وترتفع ، وفى الوقت ذاته تتفرد اذا تعرض النبات الضعيف لرياح عاتية ، وكأنما فكرة اليايات المعدنية قد اشتقت من الفكرة النباتية ، فهذه لينه مع النبات ، وتلك لينة تحت وطأة الصدمات ، وكأنما الطبيعة هى المرجع الاساسى لكل اختراع بشرى ، وما أكثر ما يخفى على الحس والسمع والبصر والفؤاد .

قـــرود آخـــر الزمـــان



اسمها كوكو .. نوعها غوريلا ، من فصيلة القردة العليا، أما استاذتها التي تشرف على تعليمها فاسمها فرانسين باترسون بجامعة ستانفورد الأمريكية ، ولقد جلست كوكو على كرسي كاية سيدة غير ثرثارة (وحمداً لله أنها لم تكن كذلك)، وأمامها لوحة بها أزرار متصلة بحاسب اليكتروني ، فاذا داست كوكو على أي زرار، انطلقت كلمة مسموعة ، ولكل كلمة اشارة خاصة على الزرار ، وبالتكرار تتعلم كوكو ، لأن التكرار أيضاً يعلم الحمار ـ على حسب المثل الشائع ، فما بالك بالغوريلا التي هي بلا شك أذكى كثيراً من الحمار ... المهم أن كوكو قد استوعبت في ذاكرتها ٣٧٥ اشارة ، ولهذا تستطيع أن تتفاهم مع استاذتها بلغة الاشارات ، وتستحسن السجع في الكلمات ، وعندما تغضب ، تشتم أيضاً بلغة الاشارات ، إلا أن هذا موضوع طويل قد نتناوله في دراسة مستقلة على صفحات هذه المجلة ، ولكن يكفي أن نقول إن كوكو وأمثالها قد بدأت تتعلم اشارات العقل الاليكتروني ، ولا يزال في الناس أمة جاهلة .

ونحـــن أيضـــاً في الســـماء



لو انك صعدت من الأرض الى القمر ـ كما فعل رواد الفضاء ، ثم نظرت الى الأرض من هناك ، فلن تجدها تحتك ، بل بالتأكيد تراها معلقة فوق رأسك في السماء ، مثلها في ذلك كمثل ، أي كوكب من الكواكب التي نراها فوقنا وهي تدور في مدارات ، والصورة التي تراها ليست لواحدة من الكواكب السيارة ، بل هي صورة حقيقية للأرض ، وكما التقطها الواقف على سطح القمر ، فكل من في الكون يرى غيره في السماء ، إذ ليست هناك أرض وسماء بالمعنى الذي وقر في العقول ، بل ان كل شيء نسبي ، وذلك يتوقف على موقعك في هذا الفراغ الكوني الجبار ، فكما نرى نحن أي جرم معلق في السماء ، كذلك يرى غيرنا (لو كانوا هناك) أرضنا بمثابة بقعة ضئيلة سابحة أيضاً فوقهم في السماء .. صدق هذا أو لا تصدق ، فليس من رأى ، كمن لا يرى ، ومن علم ، كمن لم يعلم « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .



كتاب الشهر

قبيلة كرة القدم

الفريق الايطالى ملقى على الارض ، يقبل بعضه البعض عقب فوزه على فريق المانيا الغربية فى مدريد ، بثلاثة اهداف ضد هدف واحد



عرض وتلخيص :
مجدي نصيف



فريق البرازيل اثناء تسديده ضربة الجزاء الشهيرة ضد فريق ايطاليا فى مباريات كاس العالم

أخرجت المطابع البريطانية عدداً كبيراً من الكتب هذا العام ، عن كرة القدم ، وتناقش هذه الكتب التى تطبع لمشجعي الكرة بالآلاف ، العديد من القضايا ، من بينها تاريخ كرة القدم ، وتاريخ كأس العالم ثم أشهر اللاعبين وغير هذا مما يهم المشجعين .

لكن لعل أهم والطف هذه الكتب ، هو كتاب « قبيلة كرة القدم » بقلم ديزموند موريس والذى وصلت عدد صفحاته الى ثلاثمائة من الحجم الكبير .

وهو يقدم تحليلا عميقا رائعا لسوسيولوجية هذه اللعبة ، من خلال كتابته عن اللاعبين والمديرين والحكام والمشجعين واللعبة نفسها بقوانينها وعاداتها واحتفالاتها . إن الكاتب ينظر إلى اللعبة ، كاحدى نواتج « الجنس البشري » الذى قدمه من قبل فى كتابه الرائع « القرد العاري » . والكتاب الدراسة يشمل الى جانب التحليل العميق الجديد ، اكثر من ٦٠٠ صورة ملونة والعديد من الرسومات التوضيحية .

تقول الاحصائيات إن حوالي الف مليون من بني البشر قد التفوا حول اجهزة التليفزيون فى جميع انحاء العالم لمشاهدة المباريات النهائية فى كاس العالم . وهذا يعني أن ربع سكان كرتنا الأرضية قد تركوا كل شيء ليتفرغوا لمشاهدة الكرة .

لمـــــاذا ؟

يقول ديزمونـد موريس فى كتابه إن « الحيوان البشري » فصيلة غير عادية . فمن بين كل الأحداث فى التاريخ البشري ، فان الحدث الوحيد الذى يجتذب اكبر عدد من الناس ، ليس حدثاً سياسياً كبيراً ، أو احتفالا خاصاً ببعض الانجازات الهامة فى الفنون أو العلوم . انه لعبة كرة بسيطة اسمها « كرة القدم » . لقد قالت الاحصائيات إن ربع سكان العالم قد ركزوا انتباههم فى المباريات النهائية على رقعة

كتاب الشهر

قبيلة كرة القدم

صغيرة من العشب ، حيث يتبادل اثنان وعشرون شخصاً ضرب كرة فى كثير من الجهد والتركيز .

وإذا كان هناك سفينة فضاء ، بها رواد فضائيون من كوكب آخر ، يراقبون هذا الحدث ، فكيف سيفسرون ذلك ؟ ماذا سيسجلون فى يوميات سفينتهم عن كوكب الأرض وسكانه ؟ هل سيكتبون أن هذه رقصة مثيرة ؟ أم معركة تقليدية بين مجموعتين من الناس ؟ أم هو احتفال شعبى

على أي الأحوال فانه إذا أثار هذا الحدث فضولهم ، فسيقومون بعملية مسح شاملة للمدن البشرية فى أنحاء العالم . وسيكتشفون بسرعة أن كل مستوطنة كبيرة قد شيدت بناية كبيرة . بفجوة خضراء فى وسطها ، يتقاذف عليها عدد من الرجال ، كرة ، ويمكن مراقبتهم فى فترات منتظمة يلجاون الى هذا التجويف الأخضر . واضح أن لتقاذف الكرة بعض المغزى لدى الجنس البشرى ، هاجس فريد لا يشاركه فيه أي من مئات الآلاف الأخرى من أشكال الكائنات الأخرى الموجودة على كوكب الأرض .

ستكون المشكلة الكبرى لهؤلاء الغرباء من الفضاء ، هي اكتشاف دور هذا النشاط الغريب ، لماذا يقوم به الآلاف من الناس ، ولماذا يشاهدهم الملايين يقومون به ؟ وما الاشباع الذى يمكن أن يأتي به ؟ تبدو المسألة وكأنها ليست أكثر من لعبة أطفال ، متعة غير ضارة تحصل عليها من إدراك انك « تركل » ذلك الشيء المستدير ، فتنتج حركة مذهلة أكثر بكثير مما ينتجه ضرب أي شيء آخـر .

هذا هو ما وضعه المؤلف ديزموند موريس فى اعتباره ، بعدما قرر أن يقوم ببحثه الخاص فى هذا المجال . وسرعان ما اتضح له بأن كل مركز من النشاط الرياضى ، كل ناد لكرة القدم ، منظم كقبيلة صغيرة كاملة بمنطقة قبلية ، رجال القبيلة الكبار ، والحكماء ، والأبطال ، والتابعين ، وغيرهم من رجالات القبيلة . « حين دخول أرضهم أحسست كأنني من أوائل المكتشفين لأرض بدائية ، لم أفهم كثيراً من صرخاتهم المدوية أو عروضهم الملونة ، أو عصبياتهم البدائية ، أو تقاليدهم المهووسة . بدا لي أن أفضل سبيل هو التصرف كأنني حقيقة عالم انثروبولوجيا ، يقوم بدراسة ميدانية محايدة لـ « قبيلة كرة القدم » .

الأصول القبلية

توجد جذور « قبيلة كرة القدم » فى ماضينا البدائي ، حين عاش أسلافنا القدامى وماتوا كصيادين للحيوانات البرية وينتمي معظم تاريخ الانسان التطوري – تقريباً – لفترة الصيد تلك ، حين كانت ملاحقة الفريسة ، ليست رياضة ، وإنما مسألة حياة أو موت . لقد شكلتنا هذه الفترة ، وجعلتنا وراثياً ، ما نحن عليه الآن ، وغيرتنا تغييراً جذرياً وحتى نكون صيادين مهرة ، كان علينا أن نكتسب مجموعة كاملة من الصفات العقلية والجثمانية .

هكذا أصبح أسلافنا الصيادون القدامى أكثر رياضة تدريجياً ، وأكثر ذكاء فى نفس الوقت . وباستخدام هذه المزايا ، والعمل معاً كفريق ، أصبح بقدرتهم التخطيط لاستراتيجيات : اختراع التكتيك ، والمخاطرة ، ونصب الشباك ، وأخيراً التصويب للاصابة فى مقتل . هنا ، لابد وأن نقر بذلك ، يبدون وكأنهم نواة مثالية لفريق كرة قدم . وفي اعتقاد المؤلف أن هذا ليس مصادفة .

كيف تم الانتقال من قاتلي فرائس الى مسجلي أهداف.؟

الجواب فى كلمة واحدة : الزراعة .

فبعد أكثر من مليون عام من الصيد ، والتقاط الفواكه والثمر ، اكتشفت البشرية أن من الأكفأ والأفضل ، إمساك الفريسة ، واحتواءها ، واستئناسها ، وتربيتها ، وأن تبذر محاصيل خاصة بدلا من البحث عن الفواكه والحبوب البرية . وقبل عشرة آلاف سنة ، استقر أسلافنا – الصيادون الشجعان – على أن يصبحوا مزارعين مستوطنين . كان العائد كبيراً ، وكان الطعام قد أصبح متوفراً ، حتى لقد أمكن تخزينه ليتوفر فائض كبير ، .. لكن ، كانت هناك خسائر أيضاً . فقد جاءت هذه « الثورة » بسرعة كبيرة ، فلم تلائم الحياة الأهدأ نفسيات الصيادين القدامى . كنا لانزال بحاجة لتحدى المطاردة ، والتحركات التكتيكية المثيرة ، ومواجهة الأخطار ، والمخاطرة ، ثم الوصول الى الذروة الكبرى .. بالقتل . وكان هذا شيئاً عجزت المزارعة الروتينية عن تزويدها .

كان الحل من السهولة بمكان : أن نحافظ على المطاردة المثيرة ، بعد أن توقفت أن تكون مسألة حياة أو موت . وكانت لاتزال هناك أراضي الصيد لمن يأخذها ، إذ لم يكن



الجماهير فى مباراة اسبانيا والمانيا الغربية

العالم قد ازدحم بعد بسكانه . وهكذا استمر الصيد ، لا كوسيلة للبقاء ، بل للترفيه . ودخلت البشرية بذلك عصر «الرياضات الدموية» .

عصر الرياضة

وبعد « الثورة الزراعية » جاء انفجار المدن . ظهرت مدن كبرى مزدحمة ، فلم يعد هناك مكان لرياضة الميدان ، ولا أمل فى الاستمتاع ببهجة الصيد . هنا توصل الرومان القدماء الى حل للمشكلة بطريقة كانت مهمة جداً لتطور « قبيلة كرة القدم » فيما بعد ، لقد اضطلعوا بالمهمة العصيبة ببناء حلبة ضخمة ، اسمها الكولوسيوم ، وبهذا أتوا بالصيد الى الناس ، بدلا أن يخرج الناس للصيد ..... واستمرت هذه « المذابح » فى تلك الرياضة الدموية لحوالي خمسمائة عام ، حتى الغيت فى النهاية . خلال تلك الفترة ، شيدت أكثر من ٧٠ حلبة مماثلة فى المناطق الرومانية ، ورغم أن أحداً منها لم يكن يكبر «الكولوسيوم» الأصلي . ولقد كانت هذه البناية الضخمة تسع لجمهور يتراوح عدده ما بين ٤٥ ألف متفرج ، أي ما يوازي عدد المتفرجين فى أية مباراة كرة قدم كبرى اليوم . لكن الفارق أن مساحة الحلبة كانت أصغر من مساحة ملعب كرة القدم ، حتى يكون تأثير الذبح مباشراً .

لكن رغم الغاء هذه الرياضة الدموية ، ظل العديد من تراث هذه المؤسسة الرومانية ، وأبرزها مصارعة الثيران ، التى بعد أن اكتسبت شعبية من الألعاب الأولمبية ، لاتزال الآن تعيش فى شكل حلبات مصارعة الثيران فى أسبانيا وغيرها . وهذا هو ما تبقى فقط من رياضات حلبات الدم القديمة .

التراث الثالث ، كان مطاردة الحيوانات بكلاب ضارية اطلق عليها اسم «كلاب الصيد» ، وخاصة مطاردة الثيران ، التى هى أكثر شراسة من مصارعتها ، حيث يطارد الحيوان المنكوب بالكلاب ، للترفيه . وقد انتشرت هذه الرياضة فى انحاء اوربا فى العصور الوسطى ، واستمرت فى انجلترا حتى اوائل القرن التاسع عشر .

وانتهت رياضات الدم بافول القرن التاسع عشر ، وبدأت «جمعيات الرفق بالحيوان» فى الظهور . وتوافق أفول هذه الأنواع من الرياضة ، مع اتجاه اجتماعى جديد ، حركة الجماهير الواسعة من الحقول الى المصانع حين تعاظمت «الثورة الصناعية» . لكن تالف هذين الاتجاهين أدى الى خلق فراغ كبير فى ترفيه قطاعات عديدة من سكان المدن ، من كاسبى الأجور العاديين . لذا تهيأ الجو لحقبة جديدة فى «عمليات صيد» مشابهة . كانت صيغة جديدة من الرياضة على وشك الانفجار فى العالم كله : رياضة الحلبة الخالية من الحيوانات ومن الدماء ، ألعاب الكرة .

لم تكن ألعاب الكرة جديدة . كلا ، إذ تواجدت فى أيام الرومان واليونانيين ، وإن لم تؤخذ «بجدية» . صحيح أنها قد أعطيت دفعة الى الأمام حين تبنى «الاسكندر الأكبر» ألعاب الكرة ، إذ كان سريع العدو ، يفضل الألعاب الجسمانية ، إلا أنه اضطر للتخلى عن الجرى ، لأن منافسيه كانوا ينافقونه فيسمحون له دائماً بالفوز . لكنه حين اتجه الى رمى الكرة كشكل من أشكال التمرينات الرياضية ، قلدوه بسرعة . وقبل مرور فترة طويلة ، شيدت ملاعب الكرة أولا فى اليونان ثم بعد ذلك فى روما . بل ولقد دفئت احدى ساحات الكرة هذه ، بتدفئة تحت أرضيتها ، لاستخدامها فى الشتاء . وانه لمن العار أن نرى الآن ، بعد مرور ألفى عام ، أن بعض مباريات كرة القدم تلغى فى الشتاء بسبب الملاعب المتجمدة فى أوربا .

صادف القدماء مشكلة تكنيكية واحدة ، إلا وهي انتاج الكرة المستديرة تماماً . كانت الكرات خفيفة الوزن ، مصنوعة من مثانات الثيران أو الخنازير ، تنفخ بالهواء ، قبل اللعب ، لكنها كانت سريعة الانفجار . أما الكرات الأثقل وزناً ، فكانت تصنع باستخدام حشو من الريش أو الشعر . لكن أياً من هذين النوعين من الكرات لم يكن مناسباً للألعاب السريعة ، وربما كان هذا هو السبب وراء بقاء ألعاب الكرة القديمة شكلا من الألعاب غير الرسمية ، ولا تنافس عليها . شيئاً كالعاب «الرمى» التى نراها على شواطىء المصايف .

وقد ذكر بعض الكتاب ان اللعبة القديمة التى يطلق عليها اسم ببسكورس ، تبدو وكأنها «أم» ألعاب كرة القدم الحالية . لكن خبراء الكرة يرفضون هذه الفكرة ، وثبت بالفعل انها من نمط آخر . وبالفعل ، فلأنها لعبة لا تنافس فيها ، لم تجذب كثيراً من المشاهدين ، وعلى النقيض ، فان الملعب الذى كانت تجرى فيه سباق عربات الخيول كان يضم أحياناً ما يقرب من ربع مليون متفرج ، أكثر بكثير مما يتسع له أكبر ملاعب كرة القدم الحديثة .

فى القرون التى تلت ، ظلت ألعاب الكرة ألعاباً خشنة ، غير رسمية ، قليلة الأهمية بدون تنظيم . لكنها لم تمت أبداً ، وكأنها ظلت كامنة تنتظر الانطلاق . وبتدهور حال الرياضات الدموية ، ثم اندثارها ، جاءت اللحظة الحاسمة للانطلاق ..

المدارس الانجليزية العامة ، بدأت تحت الشعار المشهور «العقل السليم فى الجسم السليم» وأدرجت ضمن ألعاب المدرسة الرياضية .

أما فى مدرسة رجبى ومدارس أخرى . فقد تطورت اللعبة الى شكل آخر أصبح



حماس الجماهير فى مباراة الجزائر والمانيا الغربية



الجماهير الغفيرة تحمل اعلام بلادها





علم الجزائر وخلفه الجماهير المشجعة .. ولقطة اخرى للجمـــاهير فى مباراة فرنســـا وانجلترا

كتاب الشهر

قبيلة كرة القدم

فيه إمساك الكرة باليد اهم من ضربها ، وتطورت هذه الكرة الى «الرجبى» . واصبحت هاتان هما اللعبتان الرسميتان فى نفس الوقت تقريباً . وسرعان ما ظهرت «مؤسسة كرة القدم» فى عام ١٨٦٣ ، و «اتحاد الرجبى» عام ١٨٧١ .

وفى بلاد اخرى تطورت العاب مختلفة . فى ايرلندا نمت شعبية لعبة مشتقة من «الرجبى» و «كرة القدم» ، وتسمى «كرة الجيليه» . وفى استراليا تطورت لعبة كرة قدم من هذا النوع فى الولايات المتحدة الأمريكية ، لكن تحت تاثير لعبة الكرة التى كان يمارسها الكنديون فى مونتريال ، تحول الأمريكيون من ضرب الكرة الى امساكها ، أي لعبة « اهرب بالكرة » ، وفي عام ١٨٧٤ ولدت كرة القدم الأمريكية . وبمرور الوقت اختلفت قليلا عن كرة القدم الكندية ، حتى اصبحتا الآن لعبتين مختلفتين تماماً رغم انهما مشتقتان من « الرجبي » .

لكن كرة القدم المعاصرة اخذت تشق طريقها لتصبح الاكثر شعبية وإثـــارة ، وأصبحت هي الرياضة الاولى فى جميع دول العالم ، قبل الرياضات الاخرى وقبل انواع العاب الكرة الأخرى ايضاً .

كاس العالم

ثم يستطرد المؤلف فى الحديث عن نشاة كرة القدم وتطورها ، فيقول ان كاس العالم ، اقترح عام ١٩٠٤ عندما تاسس «الاتحاد الدولى لكرة القدم» وحيث اتحادات الكرة البريطانية تشكيل الاتحاد الذى يتبنى كرة القدم فى جميع انحاء العالم ، بعد ان ظهرت فى بريطانيا فى البداية ، وإن ظلت الهيئات البريطانية لكرة القدم هى مصدر قوانين الكرة وتشريعاتها .

لكن كان لابد وان تتدخل السياسة فى



الكرة وكاس العالم . فسرعان ما جاءت الحرب العالمية الأولى ، وبعد انتهائها رفض البريطانيون والفرنسيون والبلجيكيون واللوكمسبورجيون لعب أى مباريات ضد ألمانيا وحلفائها السابقين . لكن اللعب عاد مرة اخرى عام ١٩٢٤ . وفى عام ١٩٣٠ اتخذ قرار بان يقام كاس العالم فى أوراجواى ، وبعد ذلك كل اربع سنوات . لكن الأوربيين غضبوا بسبب منح بلد متخلف مثل اوراجواى شرف اقامة البطولة الدولية على ارضه ، فلم يعبر الاطلنطى غير اربع فرق ، وكان مستوى اللعب بائسا والتحكيم سيئا ، ووصل التعصب الاعمى للفرق الى حد فظيع . وانذاك هزمت أوراجواى الأرجنتين ، مما قلب مونت فيديو العاصمة الى ساحة معارك بين الجمهورين ، وهاجم الارجنتينيون سفارة اوراجواى ببوينس إيريس .

واقيم كاس العالم عام ١٩٣٤ فى ايطاليا فقاطعه فريق اوراجواى بسبب تكبر الفرق الأوربية عام ١٩٣٠ . لكن ساحة الالعاب تحولت الى استعراض فاشى بواسطة موسوليني ، ولعبت قطعانه دوراً رئيسياً وارهابياً فى انتصار الفريق الايطالى على تشيكوسلوفاكيا . وتوقفت مباريات «كاس العالم» بطبيعة الحال اثناء الحرب ، وعندما استؤنفت بعد ذلك خلت ـ الى حد ما ـ من المعارك السياسية ، وإن لم تخل من تعصب المتفرجين . ففى عام ١٩٥٤ حدث شجار فى سويسرا بين فريقى المجر والبرازيل ، وتبادل اللاعبون اللكمات والضرب ، وعندما طرد بعضهم ، استانفوا الشجار فى غرف الملابس بعد المباريات . حتى لقد اطلقت الصحف على مباريات كاس العالم النهائية هذه اسم «موقعة برن» وهى العاصمة التى اقيمت فيها المباريات .

واستضافت الأرجنتين مباريات كاس العالم ١٩٧٨ ، وانتقد هذا بشدة بواسطة تنظيمات حقوق الانسان فى العالم وبذلت محاولات عدة لمقاطعة الدورة ، بسبب ممارسات النظام الأرجنتينى من إلقاء القبض على الآلاف من المعارضين ، وتدبير عمليات أغتيال ، واختفاء أطفال السياسيين .

ولكن كاس العالم ١٩٨٢ ، مر بدون عواصف سياسية مماثلة

... وسوق مالى

هكذا أصبحت «كرة القدم» أكثر الألعاب شعبية على الاطلاق ، وفى كل بلد من بلاد العالم . وتحولت اللعبة لتصبح «صناعة» ضخمة متشعبة بالمفهوم الحديث ، تحولت الى «سوق مالى» بالمعنى العلمى للكلمة ، سوق به آلاف اللاعبين وآلاف الحكام ومئات النوادى والمديرين ، وتحول اللاعبون الى نجوم مثل نجوم السينما والفن ، تستخدمهم الشركات التجارية فى الاعلان عن بضائعها . واخذت النوادى تشترى لاعبين بمبالغ خيالية تصل إلى المليون جنيه استرلينى ، بل وكادت تقترب من المليونين ، وتطورت المضاربات على اللاعبين والفرق ، ونشات صناعات متفرعة لمشجعى الكرة ومجانين اللعبة . آلاف الكراسات التى تلصق بها صور اللاعبين ، وشارات الفرق واعلامها ونجومها ، وكرات اللعب ، والتذكارات المختلفة .

لقد وصل دخل دييجو مارادونا اللاعب الأرجنتينى الساحر (٢١ عاماً) بعد ذهابه ليلعب لفريقه فى مدريد الى أكثر من نصف مليون جنيه استرليني ، وحصل كل لاعب فى الفريق البرازيلى على ٤٠ الفاً ، اما الفريق الألمانى الغربى فحصل على ٢٦ الف جنيه ، وقال بعض النقاد إن كارل هاينز روميننجه اللاعب الأوربى لهذا العام حصل على ٣٠٠ الف جنيه استرلينى اما اللاعب الايطالى والاسبانى ، فقد وصل ما حصل عليه الى ثلاثين الفاً .

رغم كل هذا تظل لعبة كرة القدم هى الأكثر شعبية وإثارة ، ويظل كاس العالم ضرورياً للعبة أكثر من أى وقت مضى .

مجدى نصيف

الصمت

شعر: عزيزة هارون



في الصمت أعرف البعد الذي جرَّحني
وأعرف القيد الذي طوَّقني
وأعرف البراءة العتيقة
في الصمت يخضلُّ المدى في عالمي
وألمس الغلالةَ الرقيقة
وأدرك الحقيقة
أنا التي جنيْت
ما زال في يدي يلمع حدُّ السيف
بريقه يخطف من عينيَّ
أحلى نجمةٍ
يريد أن يزرعني في هوة عميقة
لا يا بريقَ السيف
لست أنا
فالقدرُ المصلوبُ في أعماقيَ الطليقة
هو الذي جنى
وانني كما ترى شاعرة رقيقة
أرتِّل الدعاءَ في المساء
وأرسل الصلاة
عميقةً عميقة
يا سيفيَ الذي هوَى بين يديّ
وراح يمسح الدجى عن مقلتيّ
تستطيع أن تقتل فيَّ كلَّ شيء
عدا براءتي
فانها براءة غنية عريقة

مناخات
للإنسان الفلسطيني الجديد

شعر: محمد الظاهر - الأردن

(١)

تعلمتُ أن آكل الآن خبزيَ وحدى
وأن أشربَ الآن كاسى وحدى
وأن أحرسَ الآن عينيكِ وحدى
لأن انتظارَ التَّحولِ
فى غيابةِ من مرايا التَّرَدُّدِ
فاتحةٌ للتَّردى

(٢)

دمي يقرأُ الآنَ كلَّ الوجوهِ
ويرتدُّ للبحرِ لحظةَ بدءِ الحصارِ
ليحملَ عِبْءَ التحدِّى
وكلُّ الرفاقِ القُدامَى
يُغَطُّونَ مثلَ البُثورِ الصديئَةِ جِلْدِى

(٣)

من الحربِ للبيتِ عادوا
هو البيتُ أصغرُ من شَرْنَقَهْ
وما بيننا وطنٌ لا يعادُ
وحلمٌ جميلٌ على مشنقَهْ

(٤)

سانزلُ للبحرِ
يملكنى البحرُ
أصبحُ للبحرِ مرآتَهُ
فتلقى إلىَّ المدائنُ هاماتِها
والطيورُ مناقيرَها
ثم ينكسرُ الموجُ
لا ،
لن أقولَ لهذى البنادقِ كونى معى أوْ عَلَىَّ
سأتى بثوبٍ من الماءِ والريحِ
والغيمِ والبَرقِ
أتى الى الشرقِ
فالشرقُ يَغْلى مِنَ القاعِ
والشرقُ مهما ابْتَلَتْهُ المذابحُ
أو حاصَرَتْهُ اللوائحُ
لا يستريحْ

(٥)

علىَّ إذنٌ أن أكونَ معَ الموجِ
أول فوجٍ
يقدِّم قربانَهُ
وَيُلقى على راحَتَيْه باحزانِهِ
ثمَّ أمتدُّ للشرقِ
أخْرجُ من جُثَّتى الاسلِحَهْ
وأخرجُ كلَّ الجماجِمْ
ليعرفَ كلُّ الذين يجيئونَ مِنْ بَعْدُ
أنَّا ابْتُلينا
وأنَّا نجاوز احزانَنَا بالتَّخَطِّى
ونخرجُ
مثلَ العماليقِ
صاعدةً من دخانِ البنادقِ
هابطةً من حبالِ المشانقِ
نبكى قليلاً على الشهداءِ
ونلتفتُ مِثْلَ السّوارِ على الأبرياءِ
ونمتدُّ للشرقِ
فالشرقُ يغلى من القاعِ
والشرقُ مهما ابتلَتْهُ المذابحُ
او حاصرته اللوائحُ
لا يستريحْ

(٦)

سانزل للبحرِ
يَمْلِكُنى البحرُ
أصبحُ للبحرِ مرآتَهُ
وأمتدُّ للشرقِ
يَملكنى الشرقُ
أصبحُ للشرقِ عاداته والبِشَارَهْ
أؤذنُ فى الناسِ
يأتى الىَّ المحبّونَ من كل فجٍّ عميقْ
فأبقى
وتَبقى
ونَبْقى
وتبقى المسيرةُ
تبقَى الطريقْ

حياة محفوفة بالمخاطر:

إمّا الصدر.. وإمّا القبر!

بقلم: فتحي رضوان

● ● هذه هى الحلقة الثانية فى دراسة الأستاذ فتحي رضوان عن عبد العزيز جاويش ، صاحب العمامة الثائرة والمثيرة .. وفى هذه الحلقة يكشف الكاتب صفحة جريئة من كفاح الشيخ جاويش من أجل الاسلام والعروبة ! ● ●

التقى محمد فريد مع عبد العزيز جاويش سنة ١٩٠٥ ، لا فى اجتماع سياسى ، ولا فى ساحة محكمة تنظر قضية عامة ، بل فى تونس ، أى خارج مصر ، وفى مؤتمر علمى منعقد فى هذه العاصمة العربية ، يحضره مستشرقون ، ومن ثم فلا يجب أن نمر على هذه الواقعة الخطيرة ، مرور الكرام ، بل علينا أن نقف أمامها ، ونطيل الوقوف إذا استطعنا .

ففي تلك الحقبة التى مرت فيها سنة ١٩٠٥ ، لم يكن ثمة علاقة على أية صورة أو بأي مستوى بين المصريين وبين الاقليم العربي تونس ، إذ أن دولة تونس وقعت فريسة للاحتلال الفرنسي سنة ١٨٨١ ، قبل احتلال مصر بسنة واحدة ، ثم اسدلت فرنسا ستاراً من حديد بين تونس والعالم العربي كله ، بحيث لم يعد ممكناً لمصري أو لسوري أو لعراقي أن يدخل تونس إلا من وراء ظهر سلطات الاحتلال الفرنسي ، أو لمهمة عابرة وقصيرة ثم لا تتكرر ، واصبح العرب جميعاً لا يدرون ماذا يجرى فى تونس ، فلا انباء هذا الاقليم تصل إليهم ، ولا صحفهم تقع في أيديهم ، كذلك لا تصل اخبار العالم العربي كله إلى التونسيين ، ولا يقرأون صحفهم ولا كتبهم .

وكان من اندر المستحيلات أن يفكر مصري في زيارة تونس ـ وربما ـ ولا زيارة أي اقليم عربي آخر إلا أن يكون الحجاز ، والحجاز وحده لأنه موطن الاماكن المقدسة : اي بيت الله (الكعبة المشرفة) فى مكة ومثوى رسول الله في المدينة (ص)

ولكن كان المصريون ـ أي كبارهم من الباشوات ، والبكوات ـ وعظماؤهم المسئولون من الوزراء والأمراء ، يزورون أوربا عامة ، وفرنسا وبريطانيا خاصة ، ثم استانبول عاصمة دولة الخلافة ـ قبل الاحتلال ـ ، اما العالم العربي وبلدانه وعواصمه ، وعالم المسلمين الفسيح المترامي الآفاق ، فلا يخطر على بال أحد من أهل مصر.وحين يفكر محمد فريد ـ وقد كان فى سنة ١٩٠٥ قاضياً ثم محامياً ونائباً لرئيس الحزب الوطني ـ في أن يسافر إلى تونس أولا ، وليحضر فيها مؤتمراً للمستشرقين ثانياً ، فهذا مسلك دلالاته لا تنتهي . وأولى هذه الدلالات أنه مع كونه رجل قانون ثم رجل سياسة ، فهو مشغول بهموم الفكر ، حتى ليدفع من جيبه نفقات الرحلة إلى تونس ، ثم الاقامة فيها أياماً وليالي ، ليسمع ما يقول الأجانب العلماء في لغتنا ، وأدبنا ، وتراثنا .

وهو ما يقطع بأن الحزب الوطني الأول الذي أنشيء فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٠٧ ، كان درباً جديداً من دروب العمل السياسي فى مصر ، وأن قادته ليسوا مجرد ساسة ، بل إنه كان فوق ذلك ، حركة فكرية .

وقد تم اللقاء فى هذا الجو الفكري ، بين عبد العزيز جاويش الموظف فى وزارة التعليم في مصر ، وبين محمد فريد الزعيم الوطني الشاب ، الذي كان آنذاك فى السابعة والثلاثين من عمره .

ولأن الثاني كان شديد الشغف بكل قيمة عظيمة أو بارعة فى حياة وطنه ، فقد استوقفه هذا المعلم الشاب ، الجميل الطلعة ، الوسيم الوجه ، المليء بالحيوية والنشاط ، الذي امتلأ عقله فى الوقت نفسه بالعلم ، وامتلأت نفسه بالتوق إلى المعرفة، وعرض الثاني على الأول أن يترك وظيفته ، وأن يلحق بركب المجاهدين الوطنيين ، الذي يتزعمه ويشق له الطريق مصطفى



عبد العزيز جاويش .. صفحة جريئة من الكفاح من أجل الاسلام والعروبة

كامل .

ولم يتردد الرجل فى أن يقبل العرض ، وسافر مع محمد فريد إلى لندن حيث قابلا معاً مصطفى كامـــل .

رئيس تحرير اللواء

انعقدت الصلة بين الشابين ، فلما توفى مصطفى كامل في العاشر من فبراير ١٩٠٨، قدم استقالته ، وتولى رئاسة تحرير جريدة «اللواء» اليومية ، التى كان مصطفى قد أصدرها فى الثالث من يناير سنة ١٩٠٠ أي قبل سبع سنوات .

وقد وصفت الظروف السياسية التى سادت مصر فى تلك الفترة فقلت :

الحق إن عبد العزيز جاويش رجل فكر ، خلق ليعلم الناس ، ويأخذ بأيديهم في رفق الأبوة وحنو المرشدين ، وليناقش الصعب من مشكلات العلم ، في أناة وصبر ، وسيلته الحجة ، وكسب عقول . ولكنه نزل ـ كما سنرى ـ إلى حلبة السياسة ، فلبس دروعها ، وامتشق سيوفها ، واصطنع أساليبها ، وخاض معامعها ، وقد اختار أن يكون قائداً من قوادها ، في فترة من الزمن ، اشتد فيها أوار النزاع السياسي في مصر ، وتعدد معسكراته ، وأصبحت معاركه معارك حياة أو موت ، وكان الاحتلال البريطاني أكبر الأطراف ، وأشدها قوة ، وأعظمها مراناً على القتال ، وأوفرها مالا ، وأوسعها حيلة .

وكانت (السراي) الملكية وصاحبها (الخديو عباس حلمي) طرفاً ثانياً في هذا الصراع ، وكان بدوره داهية من دهاة السياسة ، زاده صبراً على القتال ، واحتمالا لشدائده .. شبابه ، فقد كان دون العشرين حينما ولى سدة الملك ، وأما عن طموحه .. فقد كان أضيق ما يكون صدراً بوجود الاحتلال البريطاني الذي يشاركه السلطان ، بل الذي يبعده عن هذا السلطان ، ويحدد نطاق ممارسته له ، وانتفاعه منه ، وكان ماضي جده (محمد علي) يبعثه على عقد الآمال على أكثر من قوة ، منظورة ومجهولة ، تعينه على استعادة هذا المجد .

أما الطرف الثالث ، فقد كان الشعب ، الذي صدمته كارثة الاحتلال البريطاني ، بعد فشل الثورة العرابية ، بعد فترة قصيرة من بدايتها ، لم تزد عن العام . ولم يكن الاحتلال البريطاني مجرد غاز اقتحم على المصريين دورهم ، بل كان نقلة هائلة من مجتمع شرقي ـ كل موارده الثقافية عربية أو اسلامية ـ إلى مجتمع غربي حديث اقتصر احتكاكه على ابناء الشرق القريب ، وبدرجة أقل بكثير ـ بأبناء الغرب القريب ، فقد اندحر الاحتلال الفرنسي سريعاً ، دون أن يخرج أحداً من منهجه القديم ، أو أسلوب معاشه المألوف ، أو نظام تفكيره الموروث ، في حين كان الاحتلال البريطاني غزوة أجنبية استقرت وطالت ، وصورة جديدة للادارة ، ومجموعة غير مألوفة من الأفكار والمعتقدات والوسائل ، في شئون الدنيا ، وأساليب الحياة اليومية ، ومناهج الحكم . لذلك انكمش وانطوى على نفسه فترة غير قصيرة ، ولكن الشعب بعد أن زالت الصدمة .. بدأ يعيد تنظيم صفوفه ، ويسترد ثقته بنفسه ، ويستأنف هجومه ، وكان القدر قد أعد عبد العزيز جاويـــش ، ليكتمل شبابه فى الوقت الذي عاد فيه الشعب الى ميدان القتال .

تولى الشيخ الفتى رئاسة التحرير ، فكتب فى ٣ من مايو ، مقاله السياسي الأول، ليستفتح به كفاحه الطويل الشاق ، الذي كان أشبه بقرع الطبول الذي يسبق

حياة محفوفة بالمخاطر:

إمّا الصدر.. وإمّا القبر!

المعركة . قال :

« بعونك اللهم قد استدبرت حياة زادها الجبن ، وخور العزيمة ، ومطيتها الدهان والتلبيس ، في أسواقها تشتري نفيسات النفوس ، بزيوف الفلوس ، وتباع الذمم والسرائر ، بالابتسام وهز الرءوس ، وبيمينك اللهم استقبل فاتحة حياتي الجديدة ، حياة الصراحة في القول ، حياة الجهر بالرأي ، وحياة الارشاد العام ، حياة الاستماتة في سبيل الدفاع عن البلاد العزيزة ، أستقبل هذه الحياة بعد أن قضيت في سابقتها ثماني حجج ، بلغت فيها ذلك المنصب الذي كنت فيه بين محسود عليه ، ومرجو فيه . أستقبل هذه الحياة المحفوفة بالمخاطر ، منبرياً في ميدانها ، فاما الى الصدر ، وإما الى القبر.»

ولا أخال القاريء الكريم ، إلا مقدراً خطر الخطوة التي اقدم عليها في ذلك الزمان ، الذي كانت السلطة فيه ، ولاسيما سلطة الاحتلال مخوفة بسلاحها ، وهيمنتها ، وبخضوع كبار الموظفين ــ وفي مقدمتهم الوزراء ــ لها وانصياعهم لأوامرها ، وتهافتهم على طاعتها وإرضائها . والذي كانت فيه الحركة الوطنية في اولى خطاها ، لم ينتبه أكثر الشعب لها ، ولم يعرف كيف يبذل لها العون ، فهذا امر يحتاج الى الدربة والتجربة ، وقيام الأجهزة والمنظمات ، مع ضيق أسباب الرزق ، وضعف مركز المهن الحرة التي لا تعتمد على إيراد الحكومة ، كالمحاماة والصحافة والطب .

هذا كله إلى جانب أن عبد العزيز جاويش ، كان شيخاً معمماً ، وكان المجتمع لا يرحب كثيراً بالمعممين في صفوف العاملين في المهن غير الحكومية ، وإن كان يحتملهم على مضض في وظائف حكومية بذاتها كالتدريس ، وتدريس اللغة العربية على وجه الخصوص ، والقضاء الشرعي ، وإمامة المساجد .

هذا كله إلى جانب فقر الشيخ ، الذي سيضاعف من مخاطر هذه الخطوة ، ولكن جاويش اقدم على دوره الجديد ، راضياً سعيداً ، متهيئاً للنزال ، تعززه ثقة بالنفس وإيمان بالجهاد الذي بداه ، فقد كان دخول الشيخ ، بدء فصل من فصول التاريخ الوطني ، كان هو بطل أبطاله ، وقد كان فصلا حافلا بالحركة والقتال ، واختفى فيه ما كان قد ران على الشعور في مصر من التحفظ والاحتياط ، اتقاء لشر الاحتلال ،

أو طمعاً في خيراته ، وبدت فيه مصر على حقيقتها ، شجاعة مؤمنة صابرة ، تبدأ خطاها وئيدة ، ثم يتسع مداها ، في سرعة واندفاع ، كما يبدأ صوتها خافتاً ثم يأخذ في العلو والارتفاع ، ويتوالى خروج الأبطال من أبنائها ، مستشهدين ، وكتاباً ثائرين ، وشعراء مبدعين ومجددين ، لا في ميدان القول وحده ، بل في أساليب النضال وإثارة الجموع وتاهبها .

عن مذبحة الانجليز

ماكاد الشيخ يمسك قلمه كرئيس تحرير لجريدة اللواء ، حتى خاض أولى معاركه ، وكانت معركة مدوية ، إذ كتب في الخامس من مايو سنة ١٩٠٨ ، عن المذبحة التي أدارها الانجليز في منطقة (الكاملين) بالسودان ، والتي خرج لها زعيم هذه الناحية (عبد القادر إمام) يدعي النبوة ، فالتف حوله لفيف من انصاره ، فأوفدت الحكومة السودانية عدداً من الجنود ،

برئاسة ضابط بريطاني ، يساعده ضابط مصري ، فاباد (عبد القادر إمام) هذه القوة عن آخرها ، فارسلت الحكومة قوة أكبر ،

بقيادة ضابط أعلى رتبة ، ودارت المعركة بين الطرفين ، وجرح خلالها ضابطان بريطانيان ، وقتل فيها ضابطان مصريان ،

وجنود كثيرون ، ثم تمكنت حكومة السودان آخر الأمر من إلقاء القبض على مدعي النبوة عبد القادر إمام ، ثم قدمته وقدمت أعوانه إلى محاكمة عسكرية مستعجلة ،

واتصل بعلم الشيخ أن المحكمة حكمت على سبعين من أنصار زعيم الفتنة بالموت شنقاً ، فثارت ثائرته ، وتذكر حادثة دنشواي ، ورأى حادثة (الكاملين) أمعن في الظلم ، ثم أردف المقال الأول مقالا في الحادي عشر من نفس الشهر ، ثم عززهما بثالث في السادس والعشرين ، ثم بمقال آخر في السادس من يونية ، ونفد صبر الحكومة ، وضاق صدر النواب المستعمرين في مجلس العموم البريطاني ، وهؤلاء لايطيقون أن تمس إدارة بريطانية استعمارية في أية مستعمرة ، لشدة تعصبهم العنصري ، ولامتلائهم بالتعالي والغطرسة ، والاعتقاد بانهم سادة العالم ، وان العالم كله ، وعلى وجه خاص أهل افريقيا وآسيا ، عبيدهم الذين لا يؤذن لهم باحتجاج أو اعتراض ، فقدم أحد النواب وهو (أشلي) سؤالا لوزير المستعمرات ، عما إذا كانت الحكومة المصرية لا تنوي محاكمة الشيخ ، وكان هذا السؤال تحضيراً مباشراً لمحاكمته فعلا ، فساقته النيابة العمومية إلى محكمة جنح عابدين ، في الثامن من يونية سنة ١٩٠٨ ، ولم تكن هذه المحاكمة ، سوى مناسبة لاشعال الشعور الوطني ، ووضع اللبنة الأولى في بناء شخصية الشيخ عبد العزيز جاويش ، كبطل وطني ، وقائد سياسي ، فقد شغلت الرأي العام ، وراحت محور احاديث الناس في بيوتهم ، وفي محافلهم وأنديتهم ، فلما ذهب الى المحكمة ، كانت دار المحكمة وما حولها ، ملتقى المئات من المواطنين . فلما قضت المحكمة ببراءة الشيخ من تهمة نشره خبراً كاذباً ، دوى التصفيق وعلا الهتاف ، وكأنه دوي قنبلة انفجرت ، وخرج الشيخ ومن حوله المعجبون ، والأنصار ، يتدافعون ، وإن كانت المحكمة قد حكمت عليه بغرامة قدرها عشرون جنيهاً بتهمة إهانته لوزارة الحربية .

واستأنف الشيخ حكم الغرامة ، واستأنفت النيابة حكم البراءة ، فكانت القضية الاستئنافية جولة ثانية من جولات العمل الوطني . احتفلت الجماهير بالقضية وحضرت جموعها الجلسة ، واحتشدت مئات أخرى خارج الجلسة ، وظفرت البلاد بيوم كان عيداً من أعيادها لأن المحكمة الاستئنافية برأت الشيخ من التهمتين ، ولا تسل عن حماسة الناس والشيخ منصرف من المحكمة ، ولا عن تدافعها وتزاحمها بالمناكب ، وعن النساء في الشرفات والنوافذ ، وعن العَدْو وراء الشيخ وتواثبهم حوله . وألهم الحكم شعراء مصر وفي مقدمتهم حافظ ابراهيم،ومحمد إمام العبد، وأحمد نسيم ، قصائد عصماء ،

نشرت فى صحف الجرائد اليومية ، وتداولتها الألسن ، وحفظها محبو الأدب والشعر ، وقد جرى مطلع قصيدة أحمد نسيم هكذا :

اجمعوا كيدهم فرد إليهم
طاعنا فى النحور والأكباد
زعموا أنهم أصابوا ولكن
ربك الله كان بالمرصاد
فكفى الخزى فوقهم من دثار
لبسوه كانهم فى حداد

ولم يجد الشيخ فرصة ليلتقط أنفاسه ، فقد خاض المعركة التالية فى ميدان من أحب الميادين إلى قلبه ، وأكثرها قرباً من تخصصه ، ألا وهو التعليم . وكانت مناسبة هذه المعركة أن المستشار سعد زغلول اختير من بين مستشاري محكمة الاستئناف ليكون وزيراً للمعارف فى ٢٨ من أكتوبر سنة ١٩٠٦ ، فرحب بهذا الاختيار مصطفى كامل وأثنى عليه ، وعلى مواهبه التي كانت معروفة عند جميع المشتغلين بالشئون العامة ، والحق أن سعد زغلول كان جديراً بتهنئة وثقة مصطفى كامل ، وسائر الوطنيين ، فقد كان محامياً عرف بحسن السمعة ، وقوة الحجة ، والكفاية العظيمة ، ولكن لم يلبث الخلاف أن دب بين سعد الوزير والحزب الوطني ، وجريدة الحزب « اللواء » التى يرأس تحريرها الشيخ جاويش .

وقد وقعت أمور أغضبت اللواء ورئيس تحريره من سعد ، من ذلك أن سعداً ماكاد يلي وزارة المعارف ، حتى استقال من عضوية اللجنة المشكلة لانشاء الجامعة الأهلية ، معتذراً بان أعماله ومشاغله الوزارية تحول بينه وبين استمراره في عضوية هذه اللجنة ، فتضايق الوطنيون كثيراً بان يجد سعد المستشار بمحكمة الاستئناف وقتاً ينفقه في عضوية اللجنة الساعية إلى إنشاء الجامعة ، ويضيق وقت وجهد سعد وزير المعارف عن المساهمة فى هذه اللجنة ، التي هي أدخل في عمله كوزير للتعليم منها فى عمله كمستشار يفصل فى قضايا الناس . واتبع سعد هذه الاستقالة بخطبة ألقاها فى الجمعية العمومية في ٣ مارس سنة ١٩٠٧ برر فيها إلزام الطلاب المصريين بتعلم جميع العلوم بالانجليزية ، وقد جاء في هذه الخطبة ما نصه :

« إن مركز الأمة بين الأمم الأخرى ، واختلاطها بالأجانب ، واشتباك المصالح الأجنبية بالمصالح الوطنية ، كل ذلك أوجب ان يكون تعلم العلوم باللغة الاجنبية ، لكي يتقوى الطلاب فيها ، كما ينبغي ، وعليهم أن يستفيدوا من المدنية الأوربية ويفيدوا بلادهم بها ، ويقووا على الدخول مع الأجانب فى معترك هذه الحياة ـ حياة العلم والعمل » .

وساق سعد حجة اخرى خلاصتها أن عدم تعلم التلاميذ المصريين ، العلوم المختلفة باللغة الانجليزية يقعدهم عن شغل وظائف مصلحة الجمارك والبريد والمحاكم المختلطة ، وترك هذه الوظائف للمتمصرين .

وقد أغضب هذا التصريح الوطنيين ، وأثار نقمة الشيخ جاويش ، فحمل على سعد ، في عدد من المقالات المتتابعة عنونها جميعاً بعنوان واحد : « ظلمـــوك يا ســعد » .

وقد تابع قراء «اللواء» هذه الحملة باعتبارها معركة من معارك الوطنية ، واستدار الشيخ جاويش ليواجه زعيماً آخر من زعماء مصر ، طَالَ عُمْرُه ، وعرف فى السنوات الأخيرة من عمره بانه «أستاذ الجيل» ونعني به الأستاذ أحمد لطفي السيد ، مدير الجامعة المصرية ، ثم رئيس المجمع اللغوي ، وقد بدأت حملة الشيخ جاويش على أحمد لطفي السيد بتصريح أدلى به أحمد شوقي أمير الشعراء ، وشاعر الأمير ، وقد كان مقرباً إلى الخديو عباس ، وواحداً من أهم بطانته ، وقد قال الشاعر في هذا التصريح : إن الخديو لا يمكنه أن يمنح الشعب دستوراً بغير موافقة الانجليز . فقد كان طلب المصريين للدستور وإلحاحهم على الخديو لمنحه ، قد اشتد فى تلك الأيام ، فأراد أحمد شوقي أن يلتمس العذر لأميره بانه غير متقاعس عن تلبية المطلب الوطني ، بل هو ممنوع من إجابته بسلطة الانجليز ، وتبع ذلك أن صرح المعتمد البريطاني وممثل الاحتلال بان بريطانيا لن تمنح مصر دستوراً ، وانه لا يغير من موقف بريطانيا أن يكون السلطان عبد الحميد سلطان تركيا ، قد منح الأتراك دستوراً فى سنة ١٩٠٨ ، وهي السنة التى صدر فيها تصريح أحمد شوقي وكانت ثالثة الأثافي أن خطب اللورد كرومر فى لندن بعد عزله من عمله فى مصر، في أعقاب حادثة دنشواي ، فحمل على المصريين ، فقال:إنهم لا يستحقون دستوراً ، فهم لا يهتمون بانتخابات المجلس التشريعي ذى الاختصاصات المحدودة آنذاك ، ولا يتعلم أولادهم . فحمل الشيخ جاويش على هؤلاء الثلاثة حملة شعواء ، وأدخل فى حملته أعضاء مجلس الشورى الذين يمالئون سلطة الاحتلال ، ويؤيدون مواقف الحكومة ، فاذا بصحيفة (الجريدة) لسان حال حزب معتدل قليل الشأن شعبياً، تدافع عن هؤلاء الأعضاء بمقالات كتبها رئيس تحرير (الجريدة) الأستاذ أحمد لطفي السيد ، فرد الشيخ جاويش له الصاع صاعين ، وذكره بموقفه كمحام في قضية دنشواى ، وبعجزه عن أداء واجبه فى تلك القضية ، ودار بين الطرفين نقاش جديد ، أصلى فيه الشيخ خصمه الرصين ناراً حامية ، إلا أن المعركة الكبرى ، جاءت بعد ذلك ، وكان مدارها حرية الصحافة .

وحرية الصحافة موضوع جدير بان تشتعل له دماء الشيخ جاويش ، ويحمي له قلمه ، وقد غضب الشيخ وغضب معه الشعب ، لأن اللورد كرومر بعد أن كان يرخي الحبل للصحافة المصرية فى عهد مصطفى كامل ، ظناً منه بأن الحركة الوطنية لا تزيد عن مقال يكتبه مصطفى كامل ، فيقرؤه المصريون ويعجبون به ، وخطبة يلقيها فى مصر أو فى الخارج ، فيتسامعون بها ، ويحفظونها أو يحفظون بعضها ، وكان ظنه أن المصريين لا يحفلون بالعمل الوطني ، ولا يتجاوزون حد التأييد السلبي ، تأييد اللسان ، فلما مرت الأيام ، ووقعت حادثة دنشواي في ١٣ من يونية ١٩٠٠ ، انفعل بها المصريون أشد الانفعال ، فلما مات مصطفى كامل خرجت مصر عن بكرة أبيها تشـيع جثمانه ، فهال الانجليز هذا الانفجار الذى لم يخطر لهم على بال ، ثم قتل رئيس الوزراء (بطرس غالي) ، وفي ديوان الحكومة برصاص شاب وطني ، وأظهر المصريون من العطف على هذا الشـاب وتغنـوا باسـمه في أزجـالهم ومواويلهم ، مما أصاب بريطانيا بالجزع ، ثم بدا أن الشعب عرف طريقه الى المقاومة الفعلية ، فعدلت قوانين الصحـــافة ، لتكممها ، فكانت المعركة التى خاضها الشيخ عبد العزيز جاويش والتى سنحدثك عنها وعما تلاها فى الحلقة التالية من هذا الحديث باذن اللـــه .

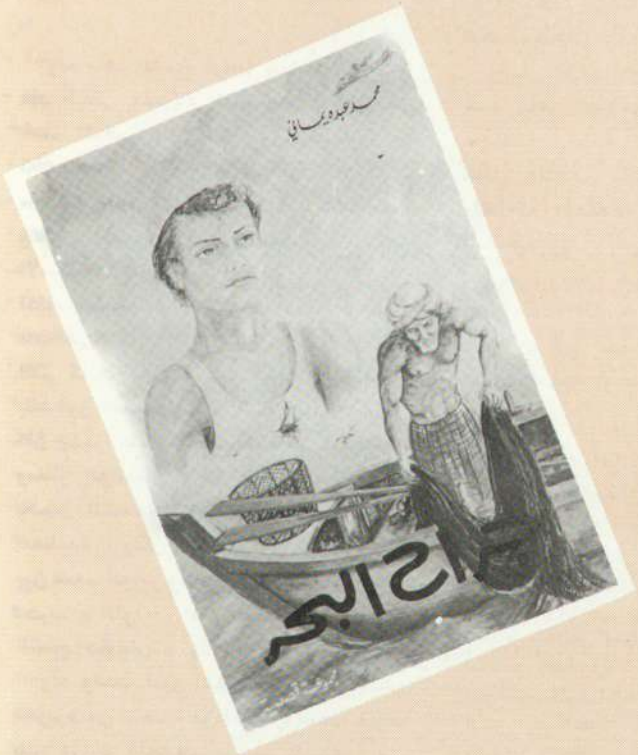
فتحي رضوان

جراح البحر

مجموعة قصصية جديدة

للدكتور: محمد عبده يماني

تقديم وتحليل: أحمد العناني





د. محمد عبده يماني

قلت وأنا اتناول بسرور هذه الهدية المشكورة:« عمل آخر من الوزير الأديب » لا جرم سوف يدون إسمان متميزان فى تاريخ الأدب السعودى المعاصر ، الشاعر المبدع الدكتور غازي القصيبى ، والقاص الأديب الدكتور محمد عبده يماني . ومن رأي أرسطو فى كتابه عن الشعر أن القصة والأدب التمثيلي هما أيضاً من فنون الشعر وتفاريعه ، ففيهما ما فيه من مادة الوصف والخيال ، وهكذا يرفع الرجلان قدر الرسالة الأدبية ، وكلاهما وزير مسئول،فلا يطرحها فى الظل إن كانت أعباء العمل مما ينوء بالكاهل الضخم .

ربما لم يمض الآن غير سنة أو يزيد قليلا على تقديمي في هذه المجلة آخر مجموعات الدكتور اليماني ، وهذه الآن المجموعة التي سميت باسم أكبر وآخر قصة بها ، وهي « جراح البحر »،وقد ضم إليها أربع قصص تعد أقاصيص إذا ما قيست حجماً بجراح البحر ، وهي على الترتيب : أريده حباً ، ومولوي ، وكريستينا، والزهور الزرقاء ..

وقد استهل الدكتور اليماني المجموعة الجديدة بمقدمة تكاد تبلغ الخمس صفحات ما كان له أن يريد بها بطبيعة الحال تقديم دراسة أو منهج للقصة ، لكنه ، من طرف خفي ، يريد بها أن يقدم رداً مدروساً هو مجمل دفاعه حيال بعض ما قاله الناقدون هنا وهناك في شان القصة السعودية الحديثة عموماً ، وفي شأنه هو بخاصة ، وأحب أن اترك الحديث في شان هذه المقدمة إلى ما بعد عرض القصص الخمس جميعاً ، إذا أعانت فسحة هذا المقال على ذلك .

باديء ذي بدء

وقبل كل شيء أود أن يعرف القراء انني لا أرجم بالغيب ولا انطلق من إلمام سطحي بهذه المجموعة القصصية ، لقد قرأت كل كلمة فيها ، وفي هذه الحقيقة منطويان اثنان هما :

أولا : إن كل ما تستطاع قراءته كلمة فكلمة هو أدب حي ، وذلك ليس رأيي ، ولكنه رأي الناقد البريطاني الذائع الصيت "ابر كرومبي" الذي يرى انك حين ترفع رأسك متعباً أو متردداً أو متسائلا وتحس انك لا تريد أن تقرأ المزيد ، فان الذي تقرؤه ليس أدباً .

ثانياً : أن رأيي الذي سأورده وأكثره مما يسر وأقله المكروه المر ليس صادراً عن ارتجال ، ولا عن مقدمات ناقصة ، لكنه حصيلة قراءة ودراسة وتفكر ...

أريده حباً

القصة الأولى سعودية لحماً ودماً ، وعظماً وعصباً ، ولكنها والحق يقال سعودية حضرية ، وكذلك أغلب قصص الدكتور يماني ، وأحسبني لا أجانب الحقيقة لو قلت إن الدكتور اليماني كان يتمنى فسحة من الوقت والعمل ليحيا أيضاً في بوادي السعودية وأقاليمها البعيدة عن المراكز الحضرية نظير الحياة والتجارب التي أعطته هذه الرؤية العميقة في المدينة السعودية حيث هو مكي المولد والمنشأ ، وحيث قصصه تعكس عمق اتصاله بالحياة التجارية وحياة الوظيفة والدائرة الحكومية ، وحياة البعثات والدارسين في خارج البلاد ، فضلا عن الانطباعات العميقة الباقية في صميم وجدان مرهف لحياة «الحي» وحياة «الزقاق» ، وهي حياة أعرفها أنا في صميم الخليل والقدس ـ فك الله اسارهما وكشف الغمة عنهما ـ وهي نفس الحياة في «الزنقة» والزقاق المغربي ، والحي المصري والتونسي ، بل وفي كل جزء أصيل من العالم الاسلامي الذي يشكل أوسع وأعظم وحدة ثقافية عرفتها الدنيا ..

القصة هنا باختصار قصة زوجة شابة اختار لها المؤلف اسم عفاف ولزوجها اسم ماجد ... يتوفى زوجها فيدع لها مجموعة من الأولاد ، وتسمع الأرملة الصغيرة تداعي والدتها وإخوانها للوقوف إلى جانبها في محنتها ، لكن الأيام وما تفعله بالعواطف والعزائم لا تلبث أن تضع الأرملة الصغيرة في مواجهة قدرها الشاق فتلجأ للاتصال بصديق لزوجها يعمل مديراً لاحدى المؤسسات الكبرى ليتوسط لها في تحسين راتب زوجها التقاعدي لتستطيع النهوض بمسئولياتها ، ويتطور هذا التصرف البسيط الذي تبرره إلى جانب السبب المكشوف المباشر مبررات أخرى في اللاوعي ، إلى أن ينتهي بزواج الشيخ زكي من الأرملة عفاف ، بعد أن تعلق الأولاد به وأحسوا بعطفه ورعايته وايناسه ، لكن الأرملة الصغيرة كانت تنطوي على هم كبير « هل كان زواج الرجل منها حباً في شخصها ، أم اشفاقاً عليها وعلى أولادها ؟ » ويكبر هذا الهم في الصدر إلى أن يوشك أن يحطم ذلك الزواج .. لولا أن الأولاد وجدتهم انحازوا في آخر لحظة للشيخ زكي ، وفي لحظة عاطفية ومض في فؤاد السيدة الحزينة خاطر منوِّر مفزاه حب الرجل إياها حباً حقيقياً بغض النظر عن بره بأولادها ، وعند ذلك يثوب إليها رشدها .. فتصالح زوجها وينتهي الإشكال وتنتهي معه القصة ...

يبدع الدكتور اليماني إبداعاً لا مراء فيه إذ يصف حياة الزقاق وروح البر والتعاون الطوعي والتراحم الاسلامي داخل الحواري وهي أمور بدأت تحولات حياتنا الحديثة مع الأسف تطوى أعلامها البيضاء ... كما أن تصويره للأشخاص الرئيسيين في القصة: عفاف ، والشيخ زكي ووالدة عفاف وأخوها الدكتور حسن، يتم كله بريشة أصيلة في رسم الشخصيات المتحركة الصادقة التمثيل والتعبير عن واقع الحياة السعودية. وإنما المثالية عند الدكتور يماني في الحلول السلمية وجو الأمان والحنان ، ولقد أذكر اننا باستثناء موقف بطل القصة الأخيرة حسونة في «جراح البحر» لا نجد أي موقف متشدد لا يخضع لحلول الإسماح والارضاء في سائر هذه المجموعة الجديدة .

مولوي

قصة مولوي تبدأ من واقع تتميز به أرض الحجاز التي تهفو لها قلوب الملايين من العالم الاسلامي ، فالبطل أصلا ولد باكستاني تركه أبوه في رعاية رجل طيب بمكة هو العم يوسف بعد أن كان اصطحبه معه في رحلة الحج قاصداً محاولة تركه هناك عساه بذلك ينشيء صلة تخفف عن الولد وعن نفسه وأسرته بعض أوصاب حياة الفقر التي يحياها ...

نشأ الولد الباكستاني في رعاية الوجيه

جراح البحر

مجموعة قصصية جديدة



المكي نشأة رائعة فتعلم وتفقه وتادب وظلت له صلة باهله في باكستان وإن وهنت ككل شيء مع الايام ، ولكن تدخل الدكتور حسن ابن الوجيه يوسف في حياة الفتى أفسدها ، فقد راح يحدثه فى العلوم السياسية ، وفي المقولات المرفوضة في البلاد رفضاً تاماً .. ومع أن مولوي ضاق ذرعاً بما كان يسمع من الدكتور حسن إلا انه شيئاً فشيئاً بدأ يتذوق ما يسمع ويفهمه ويتحمس له ... ، ومع أن الدكتور حسن ما كان يقصد من مولوى أكثر من مجـــرد التفقه في الآراء والمذاهب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والقدرة بالتالي على رؤية الفرق بين النظريات المثالية الحالمة ، وحقائق الحياة الماثلة إلا أن مولوي أخذ الأمر مأخذاً آخر ، وراح يسعى لتطبيق ما سمعه من نظريات متفجرة ، وراح ينشيء الخلايا ويتحدث وإياهم فيما لا تقبله الدولة ، وعيون الأمن الساهرة تراقبه وهو غافل يرفض نصيحة الشيخ يوسف والدكتور حسن إلى أن وقع المحظور واعتقل مولوي باخطر التهم جميعاً ...

وواضح تماماً هذه الرؤية من الجانب الأعلى لمشكلة كبرى في العالم الاسلامي كله تهزه الآن هزاً عنيفاً وتجعل من القرن الخامس عشر للهجرة قرن العواصف والسحب والثلوج والصقيع والأهوال . هذه هي مشكلة المباديء السليمة التى لا تجد لها على أرض الواقع تصديقاً يرفدها بحال من الأحوال .. وفيما يرى العقلاء أن العبرة هي بالأعمال ، ومتابعة الاستطاعة دون أوهام الرومنسية والمثالية وأحلام اليقظة ، ترى الفئات الناقمة والراديكالية السيئة الحظ أموراً مختلفة جداً ...



على أننا مع كل حبنا للدكتور اليماني ولصفائه وحسن نواياه نود أن نعرب عن حقنا الصريح في المخالفة عن وجهة نظره حيال صلاحيات الأمن وجدواه فى وقف الفكر المتمرد ... فالفكرة الخاطئة لا تصدها غير الفكرة السليمة ، وبذلك قضت إرادة الله سبحانه وتعالى ونحن نؤمن من أن فئة مؤمنة بالله حائزة على ثقة الناس بصدقها وكفاحها وريادتها فى الحق واحتمالها لظلم الظالمين وتحامل الملاحدة والمغرضين ، قادرة بالاسلام وحده أن ترد أية فكرة ملحدة على أعقابها بشرط أن تتحلى بمثل أخلاق المهاجرين والأنصار ، وأن تقتدي بقدوتنا صلى الله عليه وسلم فى بطولته وزهده وحلمه وصدق وحسن صلته بالله تعالى ونحن نكره التفريق بين المسلمين ولا نحصر الفضيلة في فئة دون أخرى ، وربما نصر الله بالأقوياء من المسلمين أكثر مما ينصر بالمشوشين ، فلو طرحنا الكراهية ، ونبذنا التفرق واشعنا المحبة بين المسلمين وأعلنا التقوى وحدها أساساً للتفاضل والتمييز ، فاننا ندخل وضعاً أكرم وأسلم عاقبة فى الدنيا والآخرة .

كريستينـــا

أعتقد بأن الدكتور محمد عبده يماني من أقدر القاصين العرب فى السرد الهادىء السائغ لقصصه ، وفي رسم شخصياته . جو هذه القصة مستوحي من جده حيث يقيم السلك الديبلوماسي الأجنبي وسردها رائع ومشوق كل التشويق ... الفتى سراج ابن فاروق تيسير سكرتير خدمات سفارة أجنبية في جدة تقتضي الظروف إرساله لاستقبال الصبية كريستينا ابنة السفير الذي كان في موعد وصول ابنته مرتبطاً بمقابلة رسمية فى الطائف .. وشيئاً فشيئاً تنشأ قصة حب بين الفتى المسلم والفتاة المسيحية ... وهو ما تحسبت منه أم الفتى سراج ، لكن أباه استهان به ، ودون تصنع أو إقحام نرى الدكتور يماني يعقد الحوار بعد الحوار بين الاسلام والنصرانية بكل رفق المسلم وتسامحه والحق الذي تمثله عقيدته . كم أعجبتني عبارته التى يقول فيها على لسان الفتـاة وهي تســـلم « أحسست بأن روحي قد اغتسلت فى لجة نورانية » . وقد أعجبنى فى القصة عدا السرد الرائع أمران : أولا : كونها أكثر

قصص المجموعة واقعية ، ولا شك بأن للمؤلف تجربة حصلت منه عن قرب وعاش ولو بعض تفاصيلها ، وثانياً وصفها البيت الحرام وعظمة الحج والآفاق النورانية للمساواة والمثل العليا الاسلامية .

لقد ظللت طوال القصة جاهلا كيف يمكن للقاص أن يجعل لقصته نهاية ملائمة ، ولقد كان القاص من رهافة الحس ونبل الحنان بما جعله يلقي النهاية على كاهل بطلها الفتى المسلم سراج ... الذي قاسى الامرين قبل أن تمهد له كل عوائق الزواج ممن أحب وممن أسلمت واهتدت بفضل الحب الذي جعلها تعيش مدة أطول مما كان يقدر لها في ديار الاسلام ، وإن لم يكن الحب هو الذي جعلها تسلم . لما انتهت كل الصعاب قصدت الفتاة أمريكا لتصفية كل أمورها هناك قبل العودة للزواج والبقاء الدائم مسلمة سعيدة بحبها في جدة ، ولكن فتاها تعرض لحادثة سيارة بعد توديعها قضى عليه قبل عودتها ...

في اعتقادي أننا إذا ما أخذنا بدقة بالغة بالمقاييس المعتبرة للقصة القصيرة ، شخوصها وسردها وعقدتها ولحظة تنويرها وحوارها وحسن مفتتحها ومختتمها فان كريستينا هي أروع قصص المجموعة وأكثرها توفيقاً ما في ذلك ريب .

الزهور الزرقاء

في قصة الزهور الزرقاء يقدم الدكتور يماني ردود فعله على الطفرة الهائلة التي سجلها تطور الحياة السعودية خلال نصف القرن الماضي ، وما يفعله الغني السريع وسعار بعض النفوس من أجل المال ، وما يتهاوى من حب وايناس وراحة بال نتيجة الالتهاء بالتكاثر حتى زيارة المقابر .

أمين الطالب الجامعي بكلية الطب الذي جر عليه حب الزهور البنفسجية (الموسومة في القصة بالزرقاء ، وقد أكون أنا المخطىء ولكني ظللت مدى العمر أحب البنفسجية) .. تسميته باسم أمين أبو زهرة ، تخرّج وأصبح طبيباً بالمستشفى العام بجدة حيث بات يعيش بهناء بالغ مع مائدة زوجته وقريبته وابنتهما مها ودارة حلوة تحف بها الزهور الزرقاء ويرفرف عليها طير الأمان والسعد ...

لكن أخاه سعيداً اشتغل بالتجارة ففاضت عليه المغانم حتى بات ابناؤه يعيرون أبناء عمهم الطبيب بفقر أبيهم ، الأمر الذي أزعج الطبيب فقرر أن يغير خط حياته وأن يقبل عروض أخيه للوصول للثروة وقد وصل ... ولكن العمل المتواصل والانهاك الدائم وأحلام الغنى ليل نهار طردت معالم الهناء وأمن الروح وحسن لقاء العيال والأولاد وجعلت من أمين أبو زهرة مخلوقاً مشدوداً ليل نهار إلى شبح لا يعطيه أكثر من رفع أرقام الرصيد في المصرف ويسلب منه بعد ذلك كل شيء ...

يؤزم الدكتور يماني الموقف تازيماً كافياً للاندفاع في قراءة القصة ثم يختمها بمثاليته العذبة وروح السلام الذي يحبه وذلك بصحوة ضمير أمين وعودته إلى صوابه .

وفي هذه القصة من المثالية ما يجعلها عكس قصة كريستينا ولذلك فهي عندي أشبه شيء بقصيدة رائعة منثورة أو مقال ملهم في الدفاع عن القناعة .

جراح البحـــر

أخيراً ينتهي المطاف بنا إلى القصة الكبرى التي تشغل نصف حجم الكتاب وتعطي المجموعة اسمها جراح البحـــر ...

لقد بدا الدكتور يماني في هذه القصة مجتهداً أقصى غاية الاجتهاد ، وذلك ما يشكر عليه ، فلم يدع شيئاً من لوازم حياة صيادي الســـمك الســـعوديين على الشواطىء بين جدة ورابغ وينبع إلا وسرده سرداً موفقاً وكشف عن معرفته إياه حق المعرفة .

ومن فرط إحاطته بتفاصيل حياة صيادي القوارب وكل ما يعتـــور أيامهم ولياليهم من أفراح وأتراح قلت أنا في نفسي وأسأل الله ألا أكون انهمكت في سوء ظن أثم : إما أن يكون للدكتور يماني مزرعة ودارة في الامتداد الجميل الساحلي الممتد شمالي جدة مسافات بعيدة ، فهو هناك في نزهاته يختلط بالصيادين ، أو أنه في أيام من حياته في جدة قبل مسئولية الوزارة وتكاثر المهام كان يخرج كثيراً بالسيارة إلى مسافات بعيدة على شاطىء البحر الأحمر بمواقع الصيادين ...

تتبع القصة حياة صياد يعيش من يده إلى فمه كما يقال بصيد السمك بقاربه وعدده البدائية ويدعى حامد الدخش (أبو حسونة) ، تظل حياته رتيبه صابرة بكل ما فيها من قسوة وملالة وفوز وخيبة إلى أن يبلغ ابنه حسونه سن السادسة عشرة ، وإذ ذاك يبدأ من حيث لا يقصد في الانتفاع بدخول ولده صنعته على مضض منه وغير قصد ، ويصادف عندئذ أن يكون بين اقتراحات الولد على أبيه أن يبيع سمكه لوكيل بيع بدلا من أن يتولى هو تلك العملية ، لأنه كثيراً ما يفشل في تصريف السمك عاجلا فيتلف ويضيع معه تعب الرجل .

يلجأ الدخش إلى رجل تاجر متدين محافظ حسن الأحوال يدعى الشيخ صديق فيتفق معه على أن يضع صيده لدى متجر الشيخ وتقوم معاملة نظيفة مربحة ومستمرة بين الرجلين اللذين يفصلهما بون شاسع من حظ الحياة ، فصديق وبناته في مستوى معيشي عال ، والصياد وابنه حسونه في حياة على حافة الجوع ...

تتحسن أحوال الصياد ، ورغم مساعدة ولده حسونه له ، فانه ينجح في امتحان التوجيهية نجاحاً يؤهله لبعثة دراسية في مصـــر ... ولكن ذلك لم يجيء إلا بعد أن كان الصياد وابنه قد اختلطا على مستوى شخصي بأسرة الشيخ صديق ... وكان له ابنة في سن الرشد جميلة ومكتملة المزايا لولا أنها من النوع المفترس ، تحب امتلاك الأشياء ، خصوصاً وقد ربيت تربية دلال لا يمنع عنها شيء .. وقد ظنت أنها تحب حسونه ولكنها في الواقع كانت تبغي امتلاك الفتى القوي الوسيم ثم طرحه في الهوان ...

ومع أن الفتى حسونه حلم بزواج الفتاة الجميلة المترفة ، إلا أن البعثة الدراسية جعلته يرى لحياته آفاقاً أخرى ، كما أن ذكاءه وتدرجه في الوعي جعله يدرك أن الفتاة كانت تريد امتلاكه وإملاء كلمتها على حياته ... وباعراض الفتى واقبال الفتاة ، ثم إقبال والدتها ثم والدها عليه ، ودفع أب البنت الى طلب الولد وتراخي الولد عن القبول ينشأ موقف صعب ومخز لوالد الفتاة ولها ... وينتهي الأمر بمرض قلب يعاجل الفتاة ويريحها بالموت ..

لا أريد أن أعلق على هذه القصة ولكنها أنبل قصص المجموعة هدفاً وأشرفها دعوة وغاية . لقد طال المقال حتى لم يبق لقول مجال سوى التهاني للوزير الأديب . وهتافاً له هات المزيد والله معك .

أحمد العناني

الرواية والتاريخ

بقلم: جمال محمد أحمد

الكاتب العربي السوداني الكبير جمال محمد أحمد ، وزير خارجية السودان السابق . هو أحد أعلام الفكر العربي في هذا الجيل : ثقافة وأسلوباً وعقلا ووجداناً ، وسوف يلتقي الكاتب الفنان مع قراء الدوحة فى سلسلة من دراساته الواعية الشاملة نبدؤها بهذه الدراسة الهامة :

بالرواية أعنى الحكاية التى تبدأ تقدم لك الشخوص التى يختارها الروائي، تحمل لك فكره وحسه فى الذي يشغل باله وبال زمانه . تختلط عليك الرؤى فى بدء لقائك الشخوص . أنت كالداخل بهو أتلقى أناساً أول مرة ، لا تبين ملامحهم وأنت تدخل . تجدك تسائل وأنت على عجلة من أمرك ، تريد لتعرف ، أهذا الذي أرى وأسمع صورة من آراء وعواطف هؤلاء الناس ؟ أم هو واحد ممن ينتحون مكاناً قصياً مضيفك فى البهو ؟ يدعهم وشأنهم ، يديرون الحديث فى البهو ، وهو يشهد ويرصد ما يتراءى لسمعه فى الزحام ، ترى أثر الزمان والمكان في الذي يتحدثون فيه . يصور المكان تصويراً بعض الأحايين ، يشير إليه ، يرمز ، بعض الأحايين . ثم يمضي .

في مكان ما في الوسط من رحلتنا في البهو، دنيانا الروائية ، تجدنا امام العلائق بين رجال ونساء البهو ، بين الرجال وبعضهم ، وبينهم وبين النساء ، وتجدنا وقد عرفنا الكثير عن مناخهم الطبيعي ومناخهم الفكري نتبين أقواماً ذوي ملامح فى العيون وقسمات فى الوجوه ، وأجسام بعينها ، كلها حبات من العناصر التى تكيف مواقفهم من الناس والأشياء . ثم نمضي طريقنا لنهاية ما يكون من امر هذه الشخوص ربطت جميعها ربطاً ، وشدت إلى أرضها وما يقع في تلكم الأرض من حوادث وأحداث . يخلص للذي شرع يعد له فى البدء وفي الوسط ، تجدك نهاية المطاف يدك في يده يقودك لمعقبات ما وصف وما قال ، وترى بعينه كل الذي اعتور المشاهد من تغيير يحدث في الناس الزمن ، سنين كان الزمان أو أيام معدودة . فالأيام تمضي ، ولا يسمح الزمان إلا أن يسير بالناس . لا يقف . أتذكر الذي كان يقول الأقدمون عن النهر ؟ أنت لا ترده مرتين . أنه نهر غير الذي وردته أول مرة . تغير . ومالي اطيل . وانا ما أعانني زماني على كتابة رواية؟ قال استندال عنها وهو واحد من سلدتها الأولين (١٧٨٣/١٨٤٢) :

« الرواية يا سيدي مراة على الطريق الروائي ، تعكس زرقة السماء وصحوها وتريك أوحال الطريق ، ومواطن العثرات فيه . يرميه بعضهم بالمروق ، لا يروق لهم ما يرون في المراة على الطريق . كان الأولى بهؤلاء أن يعتبوا على مفتش الطريق ، راعيها . لقد ترك المياه على الطريق تتجمع وتستحيل مع الوقت وحلا وحفرا وأسنا » .

وقالت فرجينا وولف ، سيدة من اللائي عكفن على كتابتها والكتابة عنها ، «قراءة الرواية فن معقد عسير . لا تقتضيك حسا بارعا تدرك به فحسب ، تقتضيك فوق هذا جسارة في الخيال . تلك طريقك للانتفاع بكل الذي يعطيك اياه الروائي ذلك الفنان ذو القدرات بعيدة الشاو » .

بالتاريخ أعنى الفكر والأحاسيس تصدر عن دراسات باصرة للذي رصد الأولون من حوادث الرجال والحروب والقحط والرخاء ، كالذي رصد ثيودوسيس من مواقع وصدامات بين الرجال وسجل . كالذي عرف الطبري عن السنين وأحداثها ورصد ، في ذهني روايات ركس وارنر عن الاغريق مثلا . ما كانت

لتكون لولا السجل الذي خلفه ثيودوسيس ، وفي ذهني جورج زيدان . لو لم يكن الطبري وبالطبع غيره من الراصدين الذين اتوا بعده لما تيسر لزيدان ان يكتب رواياته . انا لا اعد «زيدان» و «وارنر» قمة في فن الرواية ، ولا حجة في التاريخ . الذي انا بصدده هو الذي اهتدى إليه اللاحقون ، وقد ازدادوا علما بالانسان ، وضلاله وهداه وقدراته وعجزه ، يسميه بعضهم «التاريخ الجديد» يسعى أهله يؤولون الذى يرصد القادرون على الرصد ، يفسحون مكانا للذى تمنع الشهوات الأولية : شهوة الجنس مثلا وشهوة الاقتناء والانتقام والحقد والغيرة ما هى ؟ ما الذى كان من دقائق هذه الشهوات .. ما الذى كان من اثارها فى عامة الناس وفى الذين بيدهم الأمر فيهم ، فى زمان بعينه . مثلا ، كل الذى تعرف انت واعرفه عن كنداكة سيدة الناس عندنا فى القرن ٢٣ ق.م لن تجده تاريخا مكتملا تستريح اليه حتى يتاح لنا الشطر الذى ما تيسر لرحالة اوربا ان يعرفوه . حسبوا لأنهم لم يروه إلا وجود له ، وذا غي قديم . الملكة امنة تلك التى عاشت لزمان قريب (١٨٥٠ ـ ١٩٣٠) ما كان لها ان تكون السيدة المروعة ، لو لم تكن هناك خلال بعينها وشهوات تحياها . ما ادري كم يبقى من عظمة فكتوريا ، إن انت حجبت عن حياتها البرت : ولا ارانى احتاج ان اقول عن علمنا بالمهدى ، كم هو منقوص ، وعن خليفته ، كم تختلط فى حياته التى نعرف الآن ، الحقيقة بالأسطورة . والقداسة شكل فى معصم التاريخ .


فرجينيا وولف


جورجي زيدان


شكسبير


برنارد شو


نجيب محفوظ


د. محمد حسين هيكل


توفيق يوسف عواد


عادة السمان


عبد السلام العجيلي


كوليت خوري


الطيب صالح


تشارلز ديكنز

●●

هذا الذى أعنيه بالتاريخ ، ذاك الذى أعنيه بالرواية . وبعد : ما دعواى التى اقدم بين يديك ؟ دعواى ان علما جديدا فى الدراسات الانسانية على بابنا يدق ، واحب لنا ان نهيىء له اذهاننا نستجيب . دعواى هى الصلة الوثيقة بين الرواية والتاريخ ، لقد وجدت هذه الصلة طريقها لمناهج التعليم فى بعض الجامعات والمعاهد فى اوربا باسماء تختلف من مقعد للعلم لمقعد ، «الرواية السياسية» مثلا .. «الحقيقة والتاريخ» مثلا و «التاريخ الجديد» . عبارات شتى لجوهر واحد . وكان منطقا ان يقع هذا ، فالرواية بالمعنى المعاصر لها اداة اوربية ، بلغت الآن نحو أربعة قرون من عمرها ، كما سابين بعد . أقول للمؤمنين بدعواى هذه لا تضيقوا بالأوليات البديهيات التى أسوق ، لتكن لهم أولياتى هذه مواقع بدء للحوار ، فالأمر كثير الوجوه ولا تتاح لواحد فرد الوجوه اجمع . أكثر ما نطمع اليه ، نحن المؤمنون بالتاريخ الجديد هو ان نعرف وجها واحدا بدقائقه وسائر الوجوه نلم إلماما بها ، ، تلقى النور على الوجه الذى اخترنا . وادير الحديث ايضا مع الذين ما تيسر لهم بعد ان يروا الكثير الذى يكتب الكاتبون عن الذى بين الرواية والتاريخ ويكتب أهل «التاريخ الجديد» يطبقون تلكم النظرات ، يستلهمونها . واريد لأوحى بانا قادرون على كتابة التاريخ فى مجراه هذا الجديد ، ان جهدنا قليل . القربى القريبة بين الحس الروائى والحس التاريخى ، كانت ،لأعوام خلت موضع الجدل بين المؤمنين بالرواية طريقا ينهج اهله الرؤى والخيال للحقيقة ، وبين الذين يرون التاريخ الراصد الطريق السلطانية ، لا طريق غيرها لأية حقيقة ، ذكاء التاريخ وحده . ذكاء الرواية وحده . كل بخصائصه يلتقيان من حين لحين . لا يمكن لك ان تقيم نهجا كاملا ، يقول بالرواية مصدرا من مصادر التاريخ على هذا الذى لا يقع إلا بين حين وحين . هكذا كانوا يتجادلون .

دعنى انقل لك عن برادول ، واحد من الذين بشروا منذ ثلاثة عقود «بالتاريخ الجديد» فى النظر ، وكتب يطبق النظر كتابات هى المرجع الآن للذين اتوا يضيفون قال في بحث له عن «موقف التاريخ الآن» في كتاب حديث (نشر ١٩٦٩) جمع فيه ثلاثة من بحوثه التى كتب فى هذا المجرى الجديد :

«كانت عزيزة علينا رموز المجتمع ، نفدى بعضها بحيواتنا ، لا نتردد ، إن دعت الحال . اضحت جميعها اليوم خاوية من معانيها . ذوت اضواء الرموز كلها ، لا تضيء الطريق لنا ، ولا تقوم اعلام فيها ، تهدى الناس سواء السبيل . ما عاد يشغل بالنا هذا ، ولا سبيل لعودة .

يشغل بالنا الآن طائف يلح علينا يسأل : أفى وسعكم أن تحيوا الآن بقدر من هدوء البال تفكرون معه فى الذى يضر وينفع ، وقد ذبلت الأضواء فى الطريق . ونصيح للطيف ، ثم نذكر قرننا الماضى . كان على عهده الأول زمانا خالى البال ، جديرا لا تقتضيك إياها أجنحة الفن الشائعة .

الرواية والتاريخ

بالعيش ، تعلقت آمالنا بالذى كانت العلوم الطبيعية تكشف لنا من حين لحين ، نفيء بظل ثمراتها ونحيا نرقب واثقين فردوساً هنا على الأرض ، أكثر الأحايين فى غفلة عن القدرات التى كانت فى جوف هذه العلوم تتجمع ، تدفعها كجندول صخر . استحالت قاسية تلكم العلوم معنية بذاتها هى ترعاها ، تتخذ كل صباح وجوداً جديداً، فى وجداننا نحن الذين ما فرغنا له كما فرغ له علماؤه أهل الاختصاص . وراحت طمانينتنا مع الحصى والتراب والماء . تداعت مرافىء القرن . كان العيش رخياً فى حماها . راحت وراح معها ما عرفت البشرية من طمانينة فى عيشها الطويل على الأرض . كانت تمسنا العواصف ذاك الزمان مسا رفيقاً ، يغالبنا ونغالبها ، لا ذعر ، ولا أعباء . ما هذه حالنا اليوم . نعم يقتعد العلم مقعد الشرف كعهدنا به اول الأمر ، ولكن يعوزه القرار .

سائر ، سائل ، سراب ، بعيد بعيد لا يرام ، وما هناك مايحملنا على الظن بانا سنجد الفراغ أو الفرصة ، لنعيد علاقة الحوار التى كانت بيننا أول العهد به صبياً أخضر العود ، يرعانا بثمراته ونرعاه بحرصنا على تلكم الثمرات . إنه الآن ماض في سبيله يؤثر بسره قلة من علماء الطبيعة ، وتحيق بنا آثاره إحاقة . وحين ذهبت مذهبها هذا الجديد ، استجابت العلوم الاجتماعية ، والتاريخ واحد منها ، للذى كان من أمرنا وأمر العلوم التطبيقية ولكن بقدر . أضحت الدراسات الانسانية غيرها بالأمس ، تغيرت أقل ولكن بحسم لا رجعة معه . هذه الدنيا غير دنيانا القديمة الا يحق لنا إذن نحن الذين نكتب التاريخ ونلقيه دروساً على الطالبية أن نسائل ، دنيا جديدة ؟ لم لا نكتب لها «التاريخ الجديد» .

● ●

والتقى من بعد ذكاء التاريخ بذكاء الرواية فى أكثر من منحنى على درب المعارف ، وما كان غريباً أن يقع هذا . فالرواية الأوربية بالمعنى الذى أتينا عليه ، أوفت على اربعة كما قلت . أكثر الكاتبين والدارسين والنقاد يجمعون على انها اتخذت مكانها من ضروب الفنون الأقدم ، الشعر مثلا والمسرحية ، برواية سرفانتس «دون كوشوت» ١٦١٥ . يقابل بينها وبين المسرحية بعض الدارسين يقولون أن شاهد جدتها تجده فى أحشاء الكلمة التى تصفها معنى الرواية فى اللغات الأوربية الجدة ، نوفل : جديد . وجدت رواية دون كيشوت طريقها للغات الأوربيين غير الاسبانية ، سنوات قليلة من بعد ١٦١٥ ، سبع . إنها الرواية الجذر فى أوربا والرواية الأصل . أقبل عليها الخواص والعوام ، اقبالهم على شكسبير فى الذى يقول مؤرخو آداب وفنون تلك الفترة فى أوربا . محمدة لسرفانتس لا ترقى إليها محمدة ، أن يقابله الدارسون بشكسبير . يعود لها مرجعاً ومصدراً مؤرخو الفروسية فى الحياة الاسبانية وفى أوربا ، كما يعودون لغيرها التى بعدها تصور الفكر والاتجاهات فى أوروبا ، وابنتها أميركا فى الشمال وأميركا فى الجنوب . تصور كلها منابع الاصلاح فى العلائق الاجتماعية وتصور إطار التمرد وهو الذى ، تارة يقود للحرب وتارة للصدام الفاجع . تماماً على النحو الذى نعرف الآن عن الفن المعاصر فى التصوير والرسم ورباطه بالفن قبله . ما كان لبيكاسو مثلا ليكون لو لم يكن الفنان الذى عكف على آثار الأولين ، يتملاها وتوحى اليه بجديده . من أصلابهم نما ، لينمو من صلبه الفنانون بعده ، يتمثلونه ويتمثلون السادة الذين على هديهم سار الطريق الجديدة . حال لا تختلف عن الذى كان من أمر سيرفانتس وكتاب الرواية بعد روايته الجذر والأصل .

سنعود لاختلاف سيرفانتس ، شهوداً على الذى نقول ان الرواية مصدر من مصادر التاريخ فى فصل من فصول هذا البحث . أريد لنا الآن أن نقضى بعض وقت مع هذا العلم ، النهج الجديد فى كتابة الانسانيات . لا مكان له عندنا الآن ، ولا أعرف عن أحاديث فى الموضوع تشير الى أنا نقترب من النظر فيه ، دعك من تطبيقه فى الذى نلقى على طلابنا من دروس والذى نكتب للناس من بحوث . لا شيء منه عندنا الآن .

● ●

واضح فيما يبدو لي السبب : لم تعرف العبقرية العربية على أيامها الأول الرواية بالمعنى الذى سقت لك ، وما هو بالجامع المانع . يفى باغراض بحثنا هذا ، لا يصلح تعريفاً محيطاً للرواية خارج هذا الاطار . الرواية أشمل وأوسع نطاقاً من هذا الذى قلت ، يسع كافكا أن أحطنا بها إحاطة تامة، ويسع أنتونى بيرجس ، وكلاهما يشقان على أى تصنيف للرواية والروائى . انها كثيرة الوجهات فى أوروبا وأمريكا . الرواية أداة للتعبير أوربية . يجزع بعضنا من هذا يعده منقصة ، ونحن فيما يحبون أن يرونا، القوم الأسبق ، الأعرف ، الثقاة فى كل ذكاء عرف الانسان . يلحون يقولون ان المقامات كانت الخطوة الأولى على سبيل الرواية ، وعند الذين يغالون من هؤلاء هى الرواية . واثق أنا أن بديع الزمان والحريرى سيدى هذا الضرب من ضروب الأدب العربى ، لو بعثا وألقيا السمع لهؤلاء لما عرفا فيم يدير هؤلاء الحديث والذي كتبوا هم أنفسهم مدار الحديث على أنه الرواية . ما كانت المقامات عندهما وعند الذين سبقوهما والذين تبعوهما ، إلا وعاء اختاره الرجلان البليغان فى قرن بليغ ، وصف بعضهم كتاباته بالنثر الفنى . كان ذاك القرن الرابع الذى عرفه بديع الزمان . مضى قدماً بالمقامات فى القرن الخامس الحريرى ، وكلاهما كان معنياً باللغة الرصينة الجزلة تحمل آراءً وحِكَمًا كانت على السنة الناس ، لا جديد فيها يهز الأرض . أراد الرجلان ليبقيا على نصاعة اللغة ، يخافان أن تضمحل مع اضمحلال أهلها ، وكان زمانا مخوفاً كثرت فيه نزاعات الحاكمين ومدارس المتفقهين . رأيا فى اللغة السند الأقوى ، العنصر الأبقى لصيانة العروبة والاسلام ، فى زمان كان عاصفاً .

ثم سار الزمان قروناً طويلة . بعد عصر المقامات منتصف القرن الماضى أتت رياح أوربا تحمل الصناعة والتجارة والحرب والفنون . أتت تلكم الأيام طي صفحات على مبارك (١٨٢٣ ـ ١٨٩٣) صاحب الآثار العدة الباقية . هللت هذه الفئة القائلة بسبقنا أنها الرواية . قالوا زعم الشانئون تراثنا أنها أداة أوربية ما حذقها الكاتب عندنا بعد . أطلت على أثر هذين المفكرين العاملين نفحة أعادت للناس أطيافاً من الهمذانى والحريرى . استعارت أداة المقامة لتقول قولتها فى الذى يرى الناس . المويلحى مثلا (١٨٦٨ ـ ١٩٣٠) قرأوا «عيسى بن هشام» مراة للذى هداهم وأضلهم ذاك الزمان ورأوا «ليالى سطيح» زفرات حافظ ابراهيم (١٨٤٩ ـ ١٩٣٢) . ما

أتقن شاعر وكاتب إتقانه الأسى والحسرة وإعرابه عنهما اعراب رجل من جمهرة الناس أوتى أيسر البيان يصوغ به أدق الخوالج .

سقياً لهذه الفئة من الناس ، سقياً . قام فى ذهنها «لنا الصدر دون العالمين أو القبر» وتقوم فى أذهانهم ، كلما ضاقت بهم ضائقة صور من الماضى أحاطت باكثرها غيوم قداسات تعشى معها العيون لا ترى غير ما تحب القلوب الجريحة أن ترى ، ذاك أروح من أن تغالب قوى ما لغلابها سبيل . مريح أن نذكر أنا «خير أمة أخرجت للناس» كلما حزبنا أمر . يقلق البال من ياتيك بأخبار القرون يقول هونا أخى . كنا خير أمة يوم «أخذنا أمرة الدنيا غلابا» . لا نملك اليوم حتى كل أمرنا نحن ، دع الدنيا . «كنا خير أمة» وكذلك كان الاغريق ينظرون إلى أنفسهم كانوا يقولون من لم يتكلم الاغريقية «ببرير» لا يبين إلا كما تبين الشاة حين تثغو . وكان لليهود ضحى يوم. قالوا إنهم الشعب لا شعب غيرهم . اختاره اختياراالاله ياهو . وقيل للنصارى أن وليهم ابن الله ، وهم ظلاله على أرضه. وخرج على الناس بطاركة الكنيسة فى أسبانيا ، يقولون قتل غير النصارى مباح وسبى نسائهم مباح ، بل لن يهنأ للكنيسة وبطريكها نوم ، ان لم ينقل السيف الناس من جحيم أديانهم لنعيم دين المسيح .

وعلى أيامنا نحن ، قبل قليل نحو أربعين سنة ، عرفنا هنا عندنا فئة من الناس تنكر الرواية انكاراً ، وما كان يدفعها ذلك الذى دفع الأولين ، من حرص ، على قديم دارس خارج إطاره يلوذون به عند المكاره كما رأيت . كانت على زماننا الأول فئة ثقفت غير قليل من آداب وعلوم أوروبا فى المعاهد والجامعات هناك ، وعادت لا تعرف مكاناً للرواية ، ما كانت ذلك الزمان إلا فصلا من فصول كثيرة فى الأدب الأوربى لا يتلقاه غير الذين يتفرغون لدراسته . كان واحد من هؤلاء معلم لنا زميل . دخل على شطر حجرة لي فى «ميز العزابة» فى بخت الرضا . رأى كتبى القليلة على مكتبى الصغير فى شطرى من «الميز» . قال يقرعنى «شايف ما عندك غير الحكاوى» . وكنت على أيامى تلك أضنى أقطع «العرورى والشناخيب» فى طريقى الى دوستيوفسكى أعرق لأفهم ، أقضى الذى يتبقى لي من وقت أترجم مع أحمد الطيب جيمز سنق وشو ، وشكسبير . وكان أحمد مؤمناً منذراً نفسه ، يشغله فنه هذا وعشقه طلابه ، عن العالم حوله . أنا ما كنت ذاك ، ما كنت أهيم بشىء بعينه ، ولا أعرف عزوفاً عن شىء بعينه . ولا أذكرنى كنت حائراً أبحث عن شىء بعينه .

والآن وأنا أدير الرأى الذى أقول هذه اللحظة جاء فى خاطرى شىء ما ارتبط بمعلمى ذاك زميلى قط من قبل ، على قرب الذى قال من هذا الخاطر الذى يلم بى الآن. رأيت بعينى بصيرتى صاحبى ذاك بعد أربعين سنة من زجره إياى ، وبالعين نفسها فى اللحظة عينها رأيت مشهداً فى ثلاثية نجيب محفوظ ، قصر الشوق ، بين القصرين ، السكرية . وشاقنى أن أعرف . ما كان سهلا أن أذكر فى أى شطر من هذه الأشطار الثلاثة كان ذاك المشهد الذى ذكرته وفى خاطرى الزميل المعلم . قضيت وقتاً غير قليل أقلب . سعدت حين وجدت الحديث الذى كان يديره كمال وحسين وعايدة فى السكرية . شخوص ستسمع منى عنها قليلا حين يتقدم بنا الحديث . كان الحديث بين هذه الشخوص عن قراءات كمال الذى ما فارق الأزقة والحوارى التى ولد فيها ، بين القصرين وقصر الشوق والسكرية ، أعتق أحياء مصر العتيقة ، وعن الذى عرف حسين وعرفت أخته عايدة فى باريس من مسارح للتمثيل والموسيقى وهم يقضون الصيف مع والدهم الميسور شداد وأمهم المترفة ترف الأعيان والبكوات والبشوات .

جاء حديث الرواية . قال كمال صادقاً وسنرى بعد حين أنه كان فى صباه الأول يعرف فحسب ، لا يضيء معارفه الكثيرة حس ، ولا ترفدها تجاريب . قال «القصة فن على هامش الأدب ، أنا أتطلع لعمل جدى» ومضى يحدثهما عن كتاباته القابلة فى السياسة والفلسفة .

رأى كامل الرواية سنة ١٩٢٤ ، زمان صداقته لأسرة شداد ، كما رآها معلمى الزميل سنة ١٩٤٠ ، ستة وعشرون عاماً ثقافية بينهما نمو حسنا الثقافى من بداءاته ونمو حس مصر الثقافى من بداءاته فى العصر الحديث يفصل بينهما كامل فى مصر ومعلمى فى السودان . حساب عمرنا الثقافى بعدة السنين يقول بيننا جيل ثقافى .

هذه الخاطرة عن الرواية فى عمرنا وعمر مصر الثقافى على أيامنا المعاصرة فى بالى الآن ، وكرهت ألا أقف عندها نتملاها تشير لاكثر من شىء فى حديثنا هذا الذى ندير عن الرواية والتاريخ . أنا أعرف معلمى الزميل معرفتى قلمى هذا وورقتى التى عليها يكتب ، وأعرف كمال هذا الذى أبدع محفوظ ، كما لو كان حياً يمشى فى الأسواق ، وأجد بينهما مشابه . كلاهما مغرى بالغليظ جهم الوجه من المعارف . كمال فى رحلة من فلسفات كانط وليبنز فرسان مثمران فى الأرض التى نمت الرجلين ، والتاريخ الذى فى مناخه نشأ كل واحد . لا يقولون لنا كثيراً حين تنقلها لترابنا هنا ، ولا تنعش الجذور عندنا ما أتوا به لأهلهم يهدون . أهلهم هم ، لا نحن . معلمى زميلى شبيه كمال ، كان مغرى بالمعارف التى تملأ الحلاقيم والخياشيم . ثم « لازهر » كما يقولون ، لا شىء بعده . ذات ألق تلك المعارف ونفع حيث نمت من أحشاء أهلها . عقيم عندنا حين ننقلها هنا تحدثنا مثلا عن نشأة الاحزاب فى بريطانيا كما كان يعلمنا معلمنا الزميل ، التصويت فى جهات القتال كالصحراء الغربية وماليزيا .... ، انتخابات سنة ١٩٤٤ والعمل التطوعى فى بريطانيا . نزهة فكرية للقادرين على النزهة من أهل بريطانيا . عندنا لا شىء .

أرانا بعد هذه السنين نرى الرواية رؤية سوية ، ما عرفها معلمى الزميل ولا عرفها الرجل الذى أبدع محفوظ ، دعاة المعارف والحقائق والفلسفات والآراء الباردة ، الشكر كله لنجيب محفوظ . كان أول الروائيين ، ولا بالذى كتب من قصص وروايات وان كانت كثيرة ، كتب خمساً وثلاثين منها عبر خمسين سنة بين سنة ١٩٣٢ ـ ١٩٨٢ وكتب القمة للرواية العربية المعاصرة ، الثلاثية ، بعد عشر روايات من التجارب ، سنوات ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ، لكن أيضاً بالذى تناثر على السنة شخوصه من إيمان بالرواية فناً من الفنون العصية ، لا يعطيك ان لم تتوفر عليه . فن غيور . اتذكر فرجينيا وولف أول هذا الحديث: كيف تقرأ الرواية ؟ رأها نجيب مركبة الحجى والضلال أوائل سنى عمره راهـــا تقتضيك خيالا ومعارف ودأبا

الرواية والتاريخ

يشير لشيء من هذا في السكرية :

يقول حسين وقد عاد توه من رحلة أخرى من رحلاته في أوروبا إن « القصة في أوروبا عمل جدى ، ثمة كتاب يتفرغون لها دون غيرها من فنون الكتابة فتدفعهم الى درجة الخالدين». وبين أحاديث قصر الشوق ١٩٥٧ ، والسكرية ١٩٥٧ نفسها ، يقول بالرواية آخرون ما أتيح لهم ذاك الذى تيح لابن الثراء والترف . لا تحول دون إيمانهم بها شكول المعرفة العقيم وعكر الفطرة . تقول به سوسن حماد ، المحررة في «الانسان الجديد» . قالت تحاور أحد الذين جمعت بينه وبينها أواصر فكر نشأ على قراءات ما كانت لتكون لأحمد ، أحد أحفاد أحمد عبد الجواد صاحب السوط والصوت والقرآن لا كتاب غيره يخترق أسوار عقله الذى ربى عليه وحده . تقول سوسن لأحمد « إن الرواية ذات حيل لا حصر لها ، إنها فن ماكر وقد غدت شكلا أدبياً شائعاً سوف ينتزع الامامة في عالم الأدب في وقت قصير ، الا ترى أنه ما من كبير من شيوخ الأدب الا وهو يثبت وجوده في مجـــال نشاطها ولو بمؤلف واحد ؟ » .

شغفت عايدة بالذى قرأت وشغف حسين بالذى سمع عن الرواية في أوروبا . ما كان هذا أمر كامل مع الرواية كما قلت قبل قليل .

نعود لحديث سوسن عن شيوخ الأدب وروايتهم الواحدة ، يكتبونها كيلا يقال عنهم ما عرفوا الرواية . وأحسبنا نعرف ما تشير اليه العبارة حين نضعها مكانها في تربية وأمزجة وتجارب افراد الرواية .

● ●

تشير سوسن الى ثلاثة عقود من القصة بدأت مع هيكل في « زينب » سنة ١٩١٤ ولانعرف له كثيراً غير هذه ، وان كنا نعرف تحقيقاً أن هيكل ما كان في حاجة ليثبت وجوده في مكان أو آخر ، قلمه كان واحداً من أحكم الأقلام ، وسعيه من أجل بلده كان سعي الوطني الواثق مما يعمل وثوقا يقنع العقل لايقرب العاطفة ، ذاك عجز بعض القادرين . ما كان كذلك العقاد . يوما ما غوى ، لانحسبه كتب « سارة » إلا ليكتب بالرواية أشياء ما كان يجوز له أن يكتب بغير الرواية . كان شريداً مطارداً الحب وكان محباً العقاد . أكثر ذاته للشعر والنقد وبعضه القليل لباطل الناس في السياسة وأحسبها تشير لطه ، وهي تعرف أن « الوعد الحق » ما كان ليصدر عن روائي في قلبه رواية واحدة ، وتعرف أن «شجرة البؤس » و « دعاء الكروان » و « المعذبون في الأرض » كتبها جميعها طه يعالج أعقد القضايا على ايامه ولتوحى للذين يرون اللغة العربية اداة تملك في أحشائها أكثر مما يظن كثيرون الى انها بالفعل كذلك لا بالقول . وتشير سوسن الى عبد الرحمن الشرقاوى في روايته « الأرض..والشوارع الخلفية » .

الرجل الذى ابدع في الرواية وأوفى وضعها القمة ، هو نجيب محفوظ . توفر عليها وانذر نفسه لها . روائي واحد في تاريخ الرواية العربية ، كان من شأنه أن يبلغ بعض الذى بلغه نجيب ، توفيق يوسف عواد صاحب « الرغيف » حسرة الرواية العربية في عواد هو أنه ما «عقب» كما نقول . كان من حق موهبته أن يرعاها . سمع أنه انصرف للعيش . ما هو بالحديث العاطل قول كامل رؤية وهو يروى رواية « السراب » ، « لقد ضاعت الحياة والقلم ملاذ الضائع » .

● ●

نجيب ذخيرة روائية تبرر لنا أن نشرع نكتب « التاريخ الجديد » على ضوئها مصدراً من مصادر كتابة التاريخ في الوطن العربي ، وما في قولتي هذه ما يشين غيره . كثيرة نجوم مضيئة حوله . هو الكوكب . ما كان عواد على ايامه الا بعضاً من موجة عمت الاقليم ، ذو النون أيوب في العراق مثلا ، وليلى ونور وغادة في لبنان والعجيلي وكوليت في الشام . لا . أنا واثق أن نبض التاريخ حي في جوف هذه الروايات ، جنب روايات نجيب .

وما أتيت على السودان ، وأنا اعد الكوكبة العربية من فرسان الرواية ، لان كتابها الاولون ، الطيب والحاردلو وعلى الملك ، كاخوتهم القادمين ساحتنا السودانية ، عيسى واسحاق مثلا حماهم الله من اقدار عواد ، شأنهم وحده لحد . عاشوا فترات من حياة السودان ما كانت لتتيح لهم غير القليل مما تستطيع مواهبهم وتجاربهم في العيش . يوحى لي الذى خرج للناس من كتاباتهم أنهم كانوا يسائلون أنفسهم عن الطريق الأكثر جدوى لحيواتهم كافراد في مجتمع تحكمه تقاليد ومنظمات قام عليها رجال ذوو ثقافات تتباين أكثر الأحيان وتدريباً كذلك يتباين . تساءلوا ـ بعضهم عن وعى كامل ربما بعضهم استجابة لغريزة مستنيرة ـ أنَدَعُ الفنان فينا يملك الأمر كله علينا نصور حياتنا هذه العامة وذواتنا والناس والمناخ حولنا ، تصويراً فيه كل سانحة وبارحة وخاطرة ؟ أم نصور ما نراه كله بمقدارتطيقه المنظمات والمنشآت والتقاليد ؟ قابلوابين هذين السبيلين ، كلاهما وعر ، إن اتخذوا هذه الاخيرة لايحسنون لمواهبهم كل الاحسان ، ولا للذى عليهم من تبعات ، انهم أولو الأمر العارفون صناع الذوق والوجدان . إن نهجوا السبيل الأولى ، تعذر عليهم حراسة الاستقلال السياسي بالذي يضيفون إليه من استقلال في الاقتصاد والثقافة ، فالوظيفة كانت الطريق لا طريق غيرها لهذا الحس الوطني . ما عشنا بعد زمانا حجم انساننا في السودان هو الأصل ، لاحجم وظائفه وإداراته . إنه الأصغر حجماً ، القيمون عليه من رجال ومنشآت هم الأكبر حجماً . جزعت المواهب حين تبين لها ضيق الخيارات . طريق الحس الكامل بدت لهم موصدة . ما في حياتنا المعاصرة صاحب قلم ذكى عرف كيف يوفق بين النزاعات داخله وبين وظائفه وادارته .

كلهم راح مشطور الفؤاد . غير بعيد أن يكون قد طاف طائف حسن الطاهر زروق بخيال كتابنا الذين أتوا بعده . اختار زروق طريق الحس الكامل حين ذعرنا نحن لداته لأولاد دفعته كما نقول . تسمرنا ، لا نعرف ما نفعل . ما يقظنا غير أمس . كان حسن واحداً من أقوى العزائم وأنصع الأقلام وأطهر الجيوب ، اختار أوعر الطريقين واعياً ، فكان الذى كان من أمرنا معه . ما أبعد الذى رجونا منه على عهده المثمر ، ما قل الذى استطاع . ضاع وقته الأزهر بين موجات تقذف به بينها ، كانت أعتى من أن يقاوم ، وان آزره المحبوه ، بالذى قدروا عليه .

وأمضى مع هذه الصورة لأقلامنا الجديدة . خرجت في الذى أرى عن الطريقين خروجاً ما أضر بمواهبهم كثيراً ، ما جرح حسهم الوطني . نهجوا طريقاً أحسبها الوسطى . لا تخنع لكن لا تقارع . راحوا للرواية الاجتماعية . يرون خلالها الحب عندنا ، الزواج ، علائق الأسرة ،

مكان القرية ، مكان الشيوخ فيها ، الترحل فى سبيل العيش ، وما من هذه بسبيل . صلاح أحمد ابراهيم يدلل على هذه القاعدة لا ينفيها أن اتت على بالك كتاباته القليلة . رأى فى الطريق الوسطى مقابح ، خالت له كأنها التقية التى التحف بها بعض الأولين ، ما رأى لها حسنة . كتب « البرجوازية الصغيرة » وخلع رداءاتها التى رآها قطعة قطعة وأرانا وجهها الشاحب ، وبطنها المليئة ، ولسانها السليط فامتع الناس بتجاريبه وبيانه وحرارة فؤاده ومن بعد صمت . ليت مقدار حبى له وللحاردلو كان على مقدار غرورى . اذن لقلت لهما اكتبا لتسعداني أنا .

• •

سيقول الحريصون منا على فنون علاج الرواية المعاصرة إن أكثر الروايات التى فى ذهنى ، وأنا أدير الحديث حول الرواية السودانية ، لا ترقى مراقى الرواية كاداة فنية . لا أحسبهم يظلمون . أكثر الروايات عندنا تروح مباشرة لما تريد من نهاية للواقع ، لا تحملك إليها بالذى توحى إليك على لسان الشخوص وأوصاف المشاهد . وستذكر هنا البهو وسيده وضيوفه مطلع حديثنا عن الذى تفعل الرواية فى بدئها ووسطها وختامها ، يوجز مشهد البهو والناس فيه ، محفوظ . قال شخص من شخوصه بعبارة أوفق وأدق مما أستطيع ، قالها فى « السكرية » وهو يحاور أصدقاءه عن البناء الروائى ، كيف يحدث تاثره الفنى ، ويبدو لى أن اسماعيل لطيف هذا لسان نجيب نفسه ، أعاره لخطه لواحد من خلقه . « الروائى قد يبدأمن شخص ثم ينساه كلية وهو بصدد خلق نموذج بشرى جديد ، لا صلة بينه وبين الأصل إلا الايحاء » . الكلمات ذات الصلة بموضوعنا فى هذه العبارة هى « خلق نموذج بشرى جديد » .

والرواية السودانية التى نملكها الآن ، وإن أعوز الكثير منها اكتمال فن الرواية ، تصلح قاعدة لتاريخ حياتنا على تلك العقود التى سعت لتصور اجتماعياتها . انها مرآة لحياتنا . وهى الوحيدة فى هذا السبيل ، فلنمض معها نعين بها تاريخ تلك العقود حين يرصده الراصدون . للذين يريدون لرواياتنا الآن الاكتمال الفنى ، أن يذكروا ذاك الخاطر عن السنوات الثقافية بيننا وبين مصر . ست وعشرون سنة . نحن بحساب هذا الفرق فى العمر الثقافى بيننا ، نعيش أوائل الستينات ، بالقياس لمصر ، ربما أوائل القرن فيما يتصل بأوربا . انا أزعم لك بعد هذا كله أن روايات هذه السنين تشير إشارة غير مغمغمة للصلة ، على الأقل فى النظر بين حس الرواية وحس التاريخ . قريباً سيشرع الرواد يكتبون بيمينهم التاريخ مرصوداً بوقائعه وهزائمه وانتصاراته . والرواية مكتوبة فى ظله لا يشغلها الذى على الناس أن يحسوا به ، يشغلها الذى فعلا به يحسون .

• •

دعنى أسق لك مثلا من تجاربى أنا كتابة « التاريخ الجديد » عندنا هنا :

راعنى فى احتفالنا بالذكرى المئوية لثورة المهدية ، أن أكثر جوانب تلكم الثورة القومية ، حظى بقسط من الدرس والبحث ، فلسفة الثورة ، اقتصادياتها ، إداراتها والحكم وعلاقاتها الخارجية ، علماؤها ، نظرات بعض الذين رأوا فى الثورة فكراً وشئوناً ، لا تتفق والذى درجوا عليه من فهم للدين والسياسة . كل شىء . إلا الرجال الذين لولا هم لم تكن لنظرات المهدى الدينية والسياسية وقدرات خليفته فى الادارة والحكم لولا هم ما قامت لتلك اليقظة الثائرة قائمتها التى نعرف ، أعنى الأنصار . المحاربون المنذرون انفسهم المنافحون عن الفلسفات التى جاء بها المهدى ، الواقفون وراء الخليفة سنداً فى الذى يرى من أمور . بعبارة أوجز ، الأنصار صناع الثورة بالصدور والأرواح . اكتفينا فى بحوثنا بمدحهم قلنا مع غيرنا إنهم ماتوا فى شأن الله . جاء فى خاطرى أن للأنصارى مكاناً ما يقظنا له . شغلنا عنه بالمهدى والخليفة . وشرعت أدير مع نفسى كيف تقول شيئاً يضع الأنصارى مكانه الوسط فى الثورة . ما وجدت فى كتاباتنا هنا كثيراً يعين . وجدت الكثير مما أريد فى كتابات كونا ندويل صاحب رواية « مأساة كرسكو » وفى كتابات سامسون صاحب «الرياش الأربع» وقرات ثانية كتاب وارنر « الدروايش » . وكان من بعد المقال الذى ستقرأ فى مجلة الخرطوم أوائل شهرنا القادم أبريل ، وأرجو أن يكون نموذجاً لهذا الذى أقول عن واثقة الرواية والتاريخ ، سيتقنه بالطبع أكثر مما فعلت أنا، الذين يؤمنون بهذه النظرة ويكتبون على ضوئها ، بيدهم أكثر مما كان بيدى أنا فى الذى أرجوه . تجربتى هذه تقودنى للقول بان الذى نملك من روايات كتبناها وكتبها غيرنا عنا ، تحملنى على الظن بان فى وسعنا أن نشرع فى البدء تدريسه فى معاهدنا بخطوات حذرة تجريبية . وأنا أسعى أكتب عن الأنصارى فى الرواية والتاريخ ، ما وجدت غير الصعوبات التى كنت أتوقع وأنا أؤرخ للأنصارى من التاريخ فى يد الروائى . ألح على الذين يملكون الفراغ والقدرة ، أن يشرعوا يدرسوا التاريخ هنا أو فى مصر أو بلاد العرب الأخرى من الرواية والوثائق معا . إذن يمتعون ويرودون عبر متعهم الفكرية نهجاً فى فهم الرواية والتاريخ معاً ، لا أتردد لحظة فى القول انه النهج القادم للتاريخ الجديد .

• •

أرانى أقترب من نهاية حديثى النظرى عن الرواية والتاريخ ، جناحى كتابة « التاريخ الجديد » ولا أحب أن أترك الذين يرون فى الذى أقول مدخلا جديداً للبحث عن حقيقة الانسان ، بالنظر فى تاريخه المرصود مع رؤية الفنانين لذاك المرصود من تاريخ شعبهم والشعوب الأخرى ، دون نماذج أسوقها على عجل ، واقف عند نموذجين اثنين . نموذج من عواد فى روايته « الرغيف » وآخر من محفوظ فى ثلاثيته ، بين القصرين ، قصر الشوق ، السكرية .

ليرصد الراصدون ما يختارون من أوجه العلائق بين العرب والأتراك على أيامهم فى المنطقة . لن يتم ذاك الرصد ، يظل رصداً خاوياً لا دم فيه لا لحم لا روح ، إن لم نرفده بمشاهد ومواقف فى رواية «الرغيف» تقع أحداثها على آخر أيام آل عثمان اخريات الحرب العالمية الأولى . كان الرجل المريض منذ أواسط القرن الثامن عشر مسجى يشهق أنفاسه الأخيرة ، وانهال شباب الفجيعة العثمانية ،حقرتهم الهزائم سوط عذاب على العرب فقد كانوا الفئة الأضعف فى الامبراطورية ما كان هناك من يعاضدهم كما عاضدت أوربا أملاك آل عثمان هناك . فى مشهد من هذه المشاهد . نراه يسدل الستار الأخير بسوطه اللاهب ظهر العرب ، يتمثل لنا فى :

الرواية والتاريخ

« رشدى بك واقفاً فى الوسط وانفه على الحائط يتوتر انتفاضاً ونقاصاً .. بالقرب منه سوط معلق ومقعد خشبى طويل ، لم تقع عينا سامى عليه حتى سرت فى بدنه قشعريرة ، وأراد أن يصيح لا خوفاً بل احتجاجاً ولكنه لم يفعل . مشى الضابط إلى البـــاب فأطبقـــه وأدار فيـــه المفتاح برفق ماكر فأصدر صريراً مزعجاً .. بطح السجين على المقعد فاستســلم لا يمتنع منها بحركة ولا يفتح فاه بنامه » .

لماذا يريدون ضربه ؟ لم يخطر السؤال بباله . هو يتساءل فقط ، كيف ؟ حتى هذا السؤال يهرب وشيكاً ويهرب معه كل فكر فاذا رأسه فارغ كالجرة الفارغة لو نفضه أحد لرن ... وعادت عيناه فوقفتا على خيال لنف الضابط طويلا هذه المرة .. يتسلق الحائط الأبيض الأملس صعوداً ثم يختفى بسرعة ويمتد مكانه فك عريض .. ولكن الأنف يعجبه أكثر من الفك .. انه يجعل الوقت الذى قضاه ، كل ما يعرفه الآن أنه يحس ببرد فى قدميه خلع نعليه وجوربيه يحس شيئاً قاسياً ، يجمع ساقيه ويشدهما إلى المقعد يشد حتى لتكاد ركبتاه تتخلعان ، حاول أن يرى نفسه فوجد نراعيه قد شدتا أيضاً ودنا وصفق بالوسط فوق اذن سامى وضحك وشتم ووثب إلى الطرف الآخر فرفع الأسير قذاله جهده وانفتحت عيناه :

ـ أخ ..

ـ أتسمع ؟ انك تعوى كالكلب تماماً .

سحق سامى أسنانه وأغمض جفنيه . شرعت الضربات تتوالى ، دون حساب ، وداخ تهوى عليه الضربات ثقيلة على قدميه إنها صخور تمشى . أصداؤها فى عظامه حتى تصل إلى الدماغ فتصدر داخلها هديراً ..

• •

ونموذج من نجيب نرى فيه الانسان العربى فى مصر بعد استقلالها بعين واحد من أبناء ذاك الزمان . إنه كمال ، يرعى الحاكمين والمحكومين بعين آسية :

« كان الترام مكتظاً حتى لم يعد به موضع لواقف ، وقد انحشر كمال بين الواقفين وكانه يطل عليهم بقامته الطويلة النحيلة . كانوا مثله ـ فيمـــا بـــدا له ـ يقصدون مكان الاحتفال بالعيد الوطنى ـ عيد ١٣ نوفمبر ـ فردد عينيه فى الوجوه ، والحق انه يشارك فى هذه الأعياد كاشد المؤمنين بها. وكان الناس يتحادثون معلقين على الموقف دون سابق تعارف مكتفين بوحدة الهدف وبرابطة الوفدية التى ألفت بين قلوبهم قال أحدهم :

ـ عيد الجهاد هذا العام عيد جهاد بكل معنى الكلمة ، أو هذا ما يجب أن يكون ..

فقال آخر :

ـ يجب أن يرد فيه على هور وتصريحه المشئـــوم . وثار ثالث لذكر هور فصاح :

ـ أبن الكلب ؟ قال : نصحنا بالا يعاد دستور ١٩٢٣ ولا دستور سنة ١٩٣٠ ما شأنه هو ودستورنا ؟

فأجاب رابع :

ـ لا تنسى على أنه قال قبل ذلك « على أننا عندما استشارونا نصحنا » ..

ـ أجل من الذى استشاروه ؟

ـ سل عن ذلك حكومة القوانين .

ـ توفيق نسيم وكفى : أنسيتموه ؟ولكن لماذا هادنه الوفد ؟

• •

تلك سنوات الضياع التى قادت إلى يوليو سنة ١٩٥٢ ، تراها متمثلة فى السكرية ، وما كان هذا الذى وعدت السنوات التى تلت عرابى وعباس ، تبدأ بها الثلاثية فى بين القصرين ، بين سنة ١٨٧١ وسنة ١٩١١ تقريباً ، وسنوات بعض الهناء والعيش الموفور فى بين القصرين سنة ١٩١١ وسنة ١٩٢٧ تقريباً وسنوات القلق فى الفكر والسياسة وشئون الحياة أجمع بين سنة ١٩٢٧ وسنة ١٩٥٦ الأمر الذى يعنى أن الثلاثية تقص علينا حياة مصر بجوانبها كلها عبر مائة وخمسين عاماً ، أربعين منها كما ترى فى الشطر الأول وثمانين فى الشطر الثانى وثلاثين فى الشطر الأخير ، حياة أسرة هذه السنين تبدأ بحياة سيدها أحمد عبد الجواد سنة ١٨٧١ ، وتجمّع على السنين أصدقاء للأسرة **واصهار وحموات** وأسر أخرى ترتبط بها هذه الأسرة وسط الحوادث والأحداث ، فيكون تاريخ مصر بين جوانحك خلال حياة وممات هذه الأسر ، وتضعها هناك يد فنان حاذق بارع مؤمن مرتاب ، يرى حياة هذه الأسرة فى حيوات أفرادها . التاريخ فى الذى كان يقول كارلايل تراجم رجال ونساء عديدين ، والرواية أختها بعض الاحايين أقدر على تصوير الزمان من الحقائق التى يسوقها لك المؤرخون الراصدون . « ننسى فى يسر أن حفنة من الروايات ، كانت أقوى أثراً فى نفوس الناس ، من خطب الساسة وتقارير لجان الكونجرس ، حين يحزب الناس حيف يقع على شطر من أشطار المجتمع .. كوخ العم تم « هزت قلوب وعقول الناس عن شرور الرق ، أكثر من أي أثر أحدثته خطب الساسة ، أو الحقائق التى جمع عبر السنين دعاة إلغاء الرقيق ، وشارلز دكنز وضع أصبعه ، على عذابات بعض الشرائح البشرية في العصر الفكتوري ، أكثر مما فعلت خطب معاصريـــه من الساسة » .

هكذا كتبت ناقدة معاصرة تقوّم آخر روايات آلان باتن .

• •

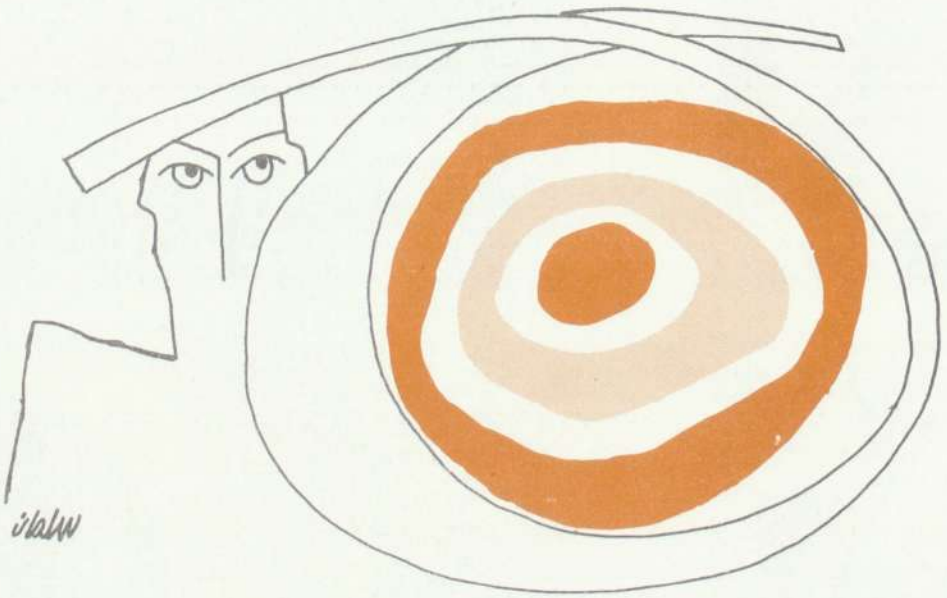
لنعد لكمال ، تركناه في الترام ،يحتفل بعيد الجهاد ، مع الجمهور .

« أصغى إليهم ، بل اشترك فى حديثهم ، وأعجب من هذا ، أنه لم يكن دونهم حماساً، وكان ثامن عيد جهاد يشهده . وكان كالآخرين قد امتلأ بمرارة التجارب السياسية التى خلفتها الأعوام السابقة . لقد عاصرت عهد محمد محمود الذي عطل الدستور ثلاث سنوات قابلة للتجديد واغتصب حرية الشعب فى نظير وعده له بتجفيف البرك والمستنقعات ، كما عشت سنوات القهر والارهاب السياسي التى فرضها اسماعيل صدقي على البلاد . كان الشعب يثق في قوم يريدهم حكاماً له ولكنه يجد فوق رأسه دائماً أولئك الجلادين البغضاء تحميهم حراوات الكونستبلات الانجليز ، وسرعان ما يقولون له بلغة أو بأخرى أنت شعب قاصر ، ونحن الأوصياء والشعب يخوض المعارك دون توقف ، فيخرج من كل واحدة وهو يلهث ، حتى اتخذ في النهاية موقفاً سلبياً شعاره الصبر والسخرية ، فخلا الميدان إلا من الوفديين من ناحية والطغاة من ناحية أخرى ، وقنع الشعب بمجلس المتفرج وراح يشجع ـ رجاله فى همس دون أن يمد لهم يـداً ... ...

جمال محمد أحمـد

الغريب الذي جاء كالظل

شعر: محمد إبراهيم أبوسنة



ـ كانت الليلة مقمرةً . والسهاد الذى
يخرج الثعابينَ من جحرها ..
يضع القلبَ على النارِ ..
.. والريح تاتى بعطرك
والنسيم المراوغ مبتسمٌ
راقصٌ فى قطيفة شعرك
كنت ساهرةً فى الفراش .. النوافذ
مولعة بالهواءِ . النوافذ
مولعة كالمرايا بإفشاء سِرِّك
الغريب الذى جاء كالظل
منتظرٌ والدخان الكثيف
يصعد الآن من جمرةِ القلبِ ..
.. هذا بريقُ العيون ..
... راحلٌ فى زفيرِ الضباب
آه لا أستطيع التكهّنَ بالغَـدِ
هذى القطاراتُ زاعقةٌ
والمطاراتُ خانقةٌ
والليالى طيور
الغريب الذى جاء كالظل
منتظرٌ
كلمةً . رشفةً من رحيق الجسد
والمدينة مغلقة
للتآمرِ والكيدِ
غارقةً فى سوادِ الكَمَد
كان يبغى عناقَك قبل الرحيل ..
.. يقول لاعضائك المزْهِره ..
ما الذى يحمل الماءَ للجذر
والنارَ للقِدْرِ .
والنحلَ للزهر ماذا
تقول الدماءُ لمجْرَى العروقْ
وماذا تقولُ البروقْ
لأصداف بحر عميقْ
الغريب الذى جاء كالظل
يسقط بين ايادى الرياح
حاملا جرحَه للأغانى التى
عاهَدَتْ قلبَه
ثم خانَتْه قبل انبلاج الصباحْ
راحلٌ . تضاريس
جسمك تَتْبَعُهُ حيث راح
ولا شىء الا العيون الفساح
تسافر فى الذاكرةْ
الغريب الذى جاء كالظل يمضى
حاملا خيْبَةَ الحب
حسرةَ هذا الزمان المباحْ
جسمه ـ أرضه ـ قارة للجراحْ



الفنان جاسم زيني

جاسم زيني :

الفن التشكيلي في أزمة

وهذا هو العلاج !



عندما تنزف الكتلة : للفنان سلمان المالكي



مدرب الصقور : للفنان محمد الجيدة .

أجرى الحوار : يوسف الحرمي

لاشك أن الفن هو اللغة المشتركة للانسان منذ أقدم العصور .. ولا شك ـ ايضاً ـ في ان الفن الاصيل والانساني هو ذلك الذي يعبر عن احاسيس ونبض الانسان في كل مكان وزمان ، ويكشف لنا عن واقع البيئة التى انتجته .

ولو بحثنا وراء الفن التشكيلي القطري ، فسنجد أن له تاريخاً ضارباً بجذوره فى الاعماق ، فقد استطاع الفنان الحديث أن يربط فنه بتراثه القديم ، وان يجعلنا نرى مفردات هذا التراث واضحة فى لوحاته التى اشترك بها في العديد من المعارض العربية والعالمية ..

والواقع أن الحركة التشكيلية في قطر تنمو يوماً بعد يوم على يد هؤلاء الفنانين المخلصين لفنهم ، الذين استطاعوا أن يؤسسوا لأنفسهم أول جمعية فنية تشكيلية فى قطر تحفظ لهم حقوقهم الفنية، وتجد لهم المكان المناسب لحفظ اعمالهم الفنية ، وقد انشئت هذه الجمعية وخرجت إلى حيز الوجود منذ عامين ، وكان رئيسها هو رائد الفنانين القطريين جاسم محمد زيني ، الذي كان لقائي معه من اجل وضع النقط فوق الحروف حول كل ما يدور فى الأذهان عن الحركة التشكيلية فى قطر ..

ملامح الحركة الفنية

قلت للفنان جاسم زيني :

● بداية أود أن اتعرف على



للنساء فقط : للفنان جاسم زيني



الراعي : للفنان علي الشريف .



صبابة القهوة : للفنان حسن الملا

انطباعـــاتك عن الحـــركة الفنية التشكيلية في قطـــر ؟ ..

ـ الحركة الفنية التشكيلية القطرية شانها في ذلك شان كل الحركات الفنية في العالم .. فلو نظرنا إليها من الناحية التـــاريخية لوجدنا انها قد نمت وتطورت حيث وصلت إلى المستوى الذي تتوج به حضارات الشعوب ، ففي قطر بصفة خاصة يمر الفن في مرحلة النمو ، ويواكب النهضة الشاملة التي يشهدها الانسان القطري .

● ومتى انشئت جمعية الفنون التشكيلية في قطر ؟ وما الاهداف التي ترمي إليها هذه الجمعية الفنية القطرية ؟

ـ لقد انشئت هذه الجمعية منذ حوالي سنتين .. اما عن اغراضها ، فانها تتمثل في رعاية الحركة الفنية التشكيلية في دولة قطـر والارتقاء بالمستوى العلمي والفني للفنانين التشكيليين والمحافظة على انتاجهم وتشجيعهم وتوثيق اواصر الصداقة بينهم وبين اخوانهم الفنانين في البلاد العربية والاقطار الصديقة ، وتحقيقا لذلك ، فان الجمعية تقوم بتشجيع اعضائها وتنظم جهودهم في خدمة الفنون التشكيلية والحركة الفنية ، وذلك عن طريق مواجهة مشاكل الفنانين التشكيليين بوضع الحلول المناسبة لها والاشتراك الايجابي في العمل الفني العام ، وهذا فضلا عن العمل على تنمية ونشر البحوث الفنية وتشجيع التاليف في مجالاتها وتنظيم المعارض الفنية وإقامتها داخل البلاد وخارجها ، وإلقاء المحاضرات وعقد الندوات

جاسم زيني :

الفن التشكيلي في أزمة وهذا هو العلاج !

وإصدار نشرات دورية في الموضوعات الفنية ، وكما نعرف ، فان الجمعية تقوم بتشكيل اللجان المختصة والاتصال بالمؤلفين لاعداد التقارير والبحوث والدراسات التي تسهم في مجال الفنون التشكيلية ، وكذلك الاتصال بالجمعيات والمؤسسات العربية والدولية ذات الأهداف المشتركة لتوثيق الروابط معها وتبادل المعلومات ذات الطابع المشترك وحضور المؤتمرات الدولية التي تربط بهذه الاهداف ، والتي تعقد بالخارج والعمل على عقدها بالبلاد .. هذا وتقوم الجمعية بوضع وتطبيق الاسس الكفيلة بتنظيم واجبات اعضاء الجمعية في خدمة البلاد ومراقبة تنفيذها وتعريف المواطنين بمختلف النشاطات الفنية ، وتقدم الجمعية لذلك جوائز في المعارض للمتفوقين ، كما تساعدهم على بيع انتاجهم وتشجيع الناشئين والهواة ، والعناية بانتاجهم .

● هناك فنانون يرون أن الجمعية لم تقدم لهم شيئاً ، وآخرون يقولون بانها أعطت بسخاء . فما الذي قدمته الجمعية للفنان التشكيلي القطري من وجهة نظرك ؟ .

ـ الجمعية وجدت لغرض حماية الفن التشكيلي ، والفنان بصورة خاصة ، وهي جمعية وليدة وبحاجة إلى جهود الفنانين بجميع المستويات من اجل تحقيق الأهداف التي أوضحتها وبينها النظام الأساسي . فالجمعية مؤسسة اعتبارية تعتمد أساساً على نشاط كل فرد منا ، وأن ما يقدمه الفنان من خلال تلك الأهداف تنعكس فوائده لصالحه .

السلبيات والايجابيات

● ولكن على الرغم من مرور أكثر من عامين على إنشاء الجمعية إلا اننا لم نشهد أو نلمس لها اية انشطة تذكر . فلماذا ؟

ـ إن نشاط الجمعيه يعتمد قبل كل شيء على مجمل نشاطات الاعضاء ، فهذا الفن الصامت ، إنما يعكس طبيعته الصامتة ، ونشاطه يقتصر على المعارض الجماعية التي تقيمها الجمعية في موسم كل عام ، ومتى ما توفر المناخ الملائم لتعاون الاعضاء وتواجدهم ، فان النتيجة حتماً ستكون مضاعفة الانتاج وتنوع الاداء ..

● هل هناك سلبيات تقف أمام الحركة الفنية التشكيلية في قطر ؟

الحركة الفنية التشكيلية في قطر مثلها مثل الحركة الفنية في أي بلد عربي .. فالملاحظ اليوم أن الفن التشكيلي في العالم العربي بطيء التطور ويواجه بعض المشاكل والأزمات لأسباب تتعلق بالفنانين أنفسهم ، وأيضاً بعدم وجود نظام تفرغ للفنانين في بعض البلاد العربية ، وهذا أمر ضروري لحاجة الفنانين في ممارسة نشاطهم الفني باستمرار ، وعندما يتحقق هذا مستقبلاً يمكن أن نشهد تطوراً للفن التشكيلي .

● ما المعارض والانشطة التي قامت بها الجمعية منذ انشائها حتى الآن ؟

ـ شهدت الجمعية منذ انشائها حتى الآن معرضين فنيين وفيما يتعلق بالانشطة نود أن أوضح بأن هذا المجال يرتبط بالحاجة الى التفرغ الكامل ليمارس فيه الفنانون النشاطات المصاحبة ، وستسعى الجمعية لتحقيق ذلك إن آجلا أو عاجلا .

● هل يمكننا التعرف على نوعية المعارض المحلية والخارجية التي ستشتركون فيها ببعض أعمال الفنانين القطريين ؟

ـ إن الجمعية لا تتأخر عادة عن الاشتراك أو اقامة المعارض سواء المحلية أو الخارجية ، وعلى سبيل المثال هناك نية في الاشتراك في معرض الكويت والمعرض العربي الرابع كما أن الجمعية تستعد حالياً لتمثيل من يود الاشتراك في هذه المعارض من الفنانين .

● هل يكفي الدعم الذي تقدمه وزارة الاعلام للجمعية لسد احتياجاتها ؟

ـ باسم كل الفنانين التشكيليين أتقدم بهذه المناسبة بالشكر الجزيل للمسئولين في وزارة الاعلام على الدعم المالي والمعنوي اللامحدود الذي تقدمه باستمرار للفن وللفنانين ، وهذا إن دل على شيء فانما يدل على اهتمام الوزارة برعاية الفن التشكيلي أسوة بالفنون الأخرى .

● هل لكم أن تقيموا لنا الأعمال الفنية التشكيلية للفنانين القطريين بحيث نتعرف منكم على مدى عطاء هؤلاء الفنانين ؟

ـ الحقيقة أن بعض الفنانين يمتازون برسم ملامح الواقع والبيئة ويتمتع هؤلاء باعجاب وتقدير الكثيرين من رواد المعارض الفنية التي اقيمت في الأعوام السابقة ، وهذا شان الفن في بداية عهده اذ لابد من التقرب للجمهور وكسبه بغية خلق جيل يتذوق الفن ويواكب تطوره غداً عندما يدرك أهميته كمضمون إلى جانب الشكل .

المرسم الحر

وهنا كان لابد أن أسأله :

● كيف تنظرون إلى الحركة الفنية في الدول الخليجية ؟ وهل هناك صحوة فنية نستطيع أن نقول إنها تمثل نهضة فنية تشكيلية في هذه الدول ؟

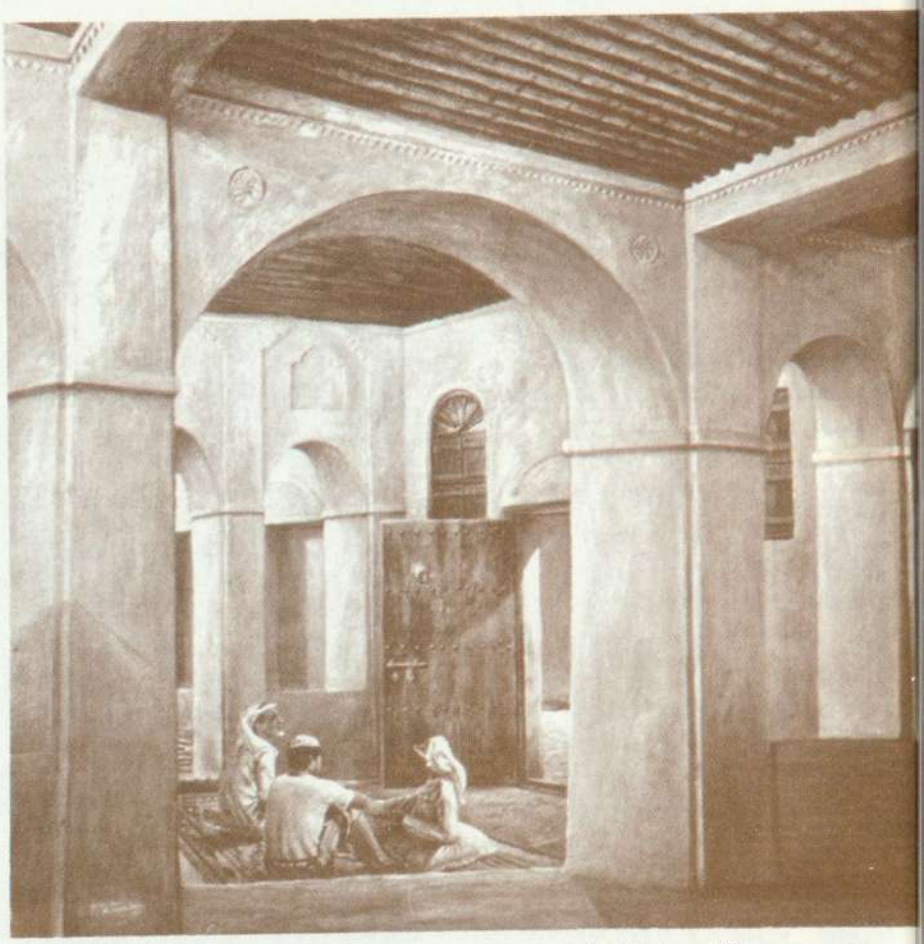
ـ يشهد الفن التشكيلي في دول الخليج العربي تطوراً سريعاً ، وله باع طويل وخاصة في دولة الكويت ودولة البحرين وأمل جديد في السعودية وفي دولة الامارات العربية المتحدة .

● ما الدور الملقى على عاتق الفنانين التشكيليين القطريين ؟

ـ ان الفنان التشكيلي له وعليه دور تجاه المجتمع الذي يعيش فيه والأرض التي يحيا عليها ، فواجبه نحوها يتمثل في قيامه بالتسجيل بفرشاته وألوانه طبيعة



نهضة قطر : للفنان جاسم زيني



مجلس عربي : للفنان يوسف الشريف

الجيل الذى عاش فى ظله ومعطيات الحياة والأرض ، لأن ذلك سيبقى سجلا يعكس نمط الحياة للأجيال القادمة .

● وهل تعتقد أن المرسم الحر استطاع أن يقدم شيئاً ما للحركة الفنية القطرية ؟

ـ المرسم الحر أمنية كانت تراود مخيلتى منذ تخرجى ووضعت له الاساس بالتعاون مع أساتذة التربية الفنية بوزارة التربية والتعليم .. وتحقق وجوده بفضل اهتمام المسئولين فى وزارة الاعلام ، وما من شك بأن هذا المرسم دعم للحركة الفنية التشكيلية فى قطر باعتباره مهداً لاعداد فنانين محترفين يساهمون فى الحركة التشكيلية مستقبلا ، فهنيئاً لادارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام بنجاح هذا الصرح وهنيئاً للجمعية القطرية للفنون التشكيلية بهذا الكسب لأنها بحاجة إلى زيادة عدد الفنانين المبدعين ليساهموا فى نشاط الجمعية ويتولوا زمام الأمور فيها .

معهد للفنون

وتطرق حديثنا عقب ذلك إلى ضرورة العمل على قيام تخطيط اكاديمى للفن التشكيلى ، فقلت له :

● وما رأيكم فى انشاء معهد متخصص فى الفنون التشكيلية وهل هناك نية لانشاء مثل هذا المعهد ؟

ـ ان المعهد المتخصص فى الفنون التشكيلية شىء لابد منه وحتما سينشا هذا المعهد ان عاجلام اجلا ويخضع ذلك . لظروف تطور التعليم فى قطر باعتبار أن الفنون ومجالاتها تاج للأعمال وشهادة للأجيال .

● وما رأيكم فى حركة النقد الفنى لدينا ؟

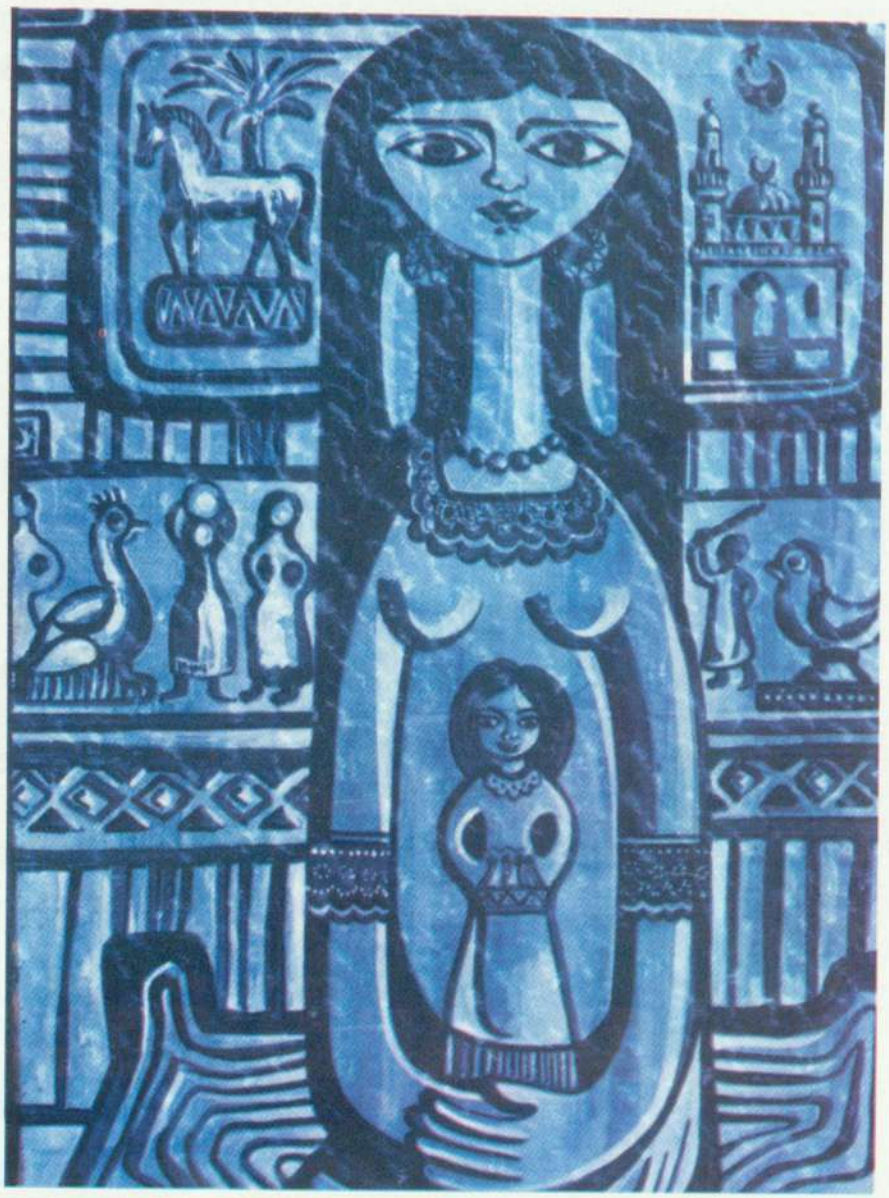
ـ من خلال اطلاعي على بعض المقالات المحلية حول قيام المعارض الفنية يثير انتباهى ما يرد فيها من صياغة تتخللها مصطلحات تؤكد للقارىء بأن كاتبها على صلة وثيقة بالفن ولكن على شكل تقليدى ، وعلى كل فعلى الناقد أن يمتاز بثقافة فنية تمكنه من تشريح اللوحة أو العمل الفنى والحكم على أصالته بغض النظر عن هوية الفنان ، وهذا النوع من النقاد غير متوفر في قطر ، وفيما يتعلق بالعالم العربى فان هؤلاء النقاد قليلون وان وجدوا فانهم محسوبون فى عداد الفنانين التشكيليين .

يوسف الحرمي

في المعرض السادس للفنون التشكيلية

مدارس فنية متصارعة ومحاولة لكسر الجمود

بقلم : حسن الملا



تكوين : زكريا يوسف

لاشك أن الفن هو اللغة المشتركة التى تخاطب كل الشعوب وتقرب المسافات بينها وتدعم الصلة الانسانية التى نحن فى أشد الحاجة اليها فى يومنا الحاضر الذى تتسابق فيه الدول الكبرى إلى انتاج أسلحة الدمار المهلكة ..

ان العمل الفنى المتميز فى أى لوحة فنية يصبح فى عالمنا مثل العصارة الخضراء التى تنتقل من الجذر الى الساق إلى الأغصان إلى الأوراق فتلون الشجرة كلها بلون بديع واحد ..

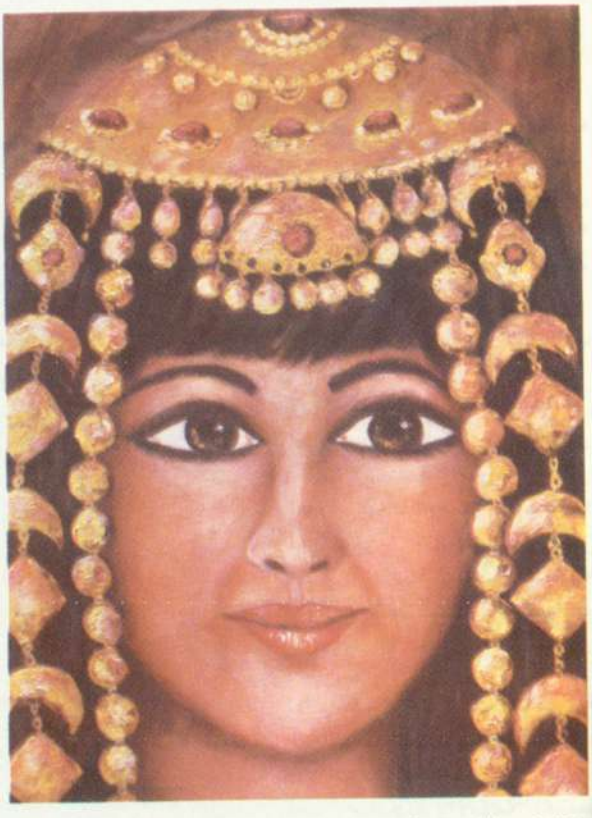
ومن هذا المنطلق يأتى المعرض العام السادس للفنون التشكيلية الذى افتتحه الأستاذ محمد عبد الرحمن الخليفى وكيل وزارة الاعلام ضمن سلسلة المعارض التى أقامتها ادارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام ، والتى أرادت بها ابراز فكرة نبيلة تهدف الى تلاقى مشاعر الفنان القطرى بمشاعر أخيه العربى ، لتكون محصلة هذا التلاقى رؤية فنية متبادلة من أجل التعرف والتذوق والدراسة ..

لقد تعودنا فى المعارض السابقة بأن تكون مقصورة على الفنانين التشكيليين القطريين فقط ، فجاء هذا المعرض ليفتح المجال أمام الأخوة الفنانين العرب والأجانب القاطنين فى دولة قطر ، إلى جوار اشقائهم الفنانين القطريين ، لاعطاء الحركة الفنية فى البلاد دفعة نحو مزيد من العطاء والابداع والتخلص من الجمود الذى أصاب بعض الفنانين الذين توقفوا عن ممارسة نشاطهم الذى تعودنا عليه طوال السنوات الماضية ..

وقد تحقق ـ فعلا ـ من خلال هذا المعرض التفاعل الحى الملموس بين



جلسة شعبية : يوسف احمد



وجه : سوزان حسن فهمي

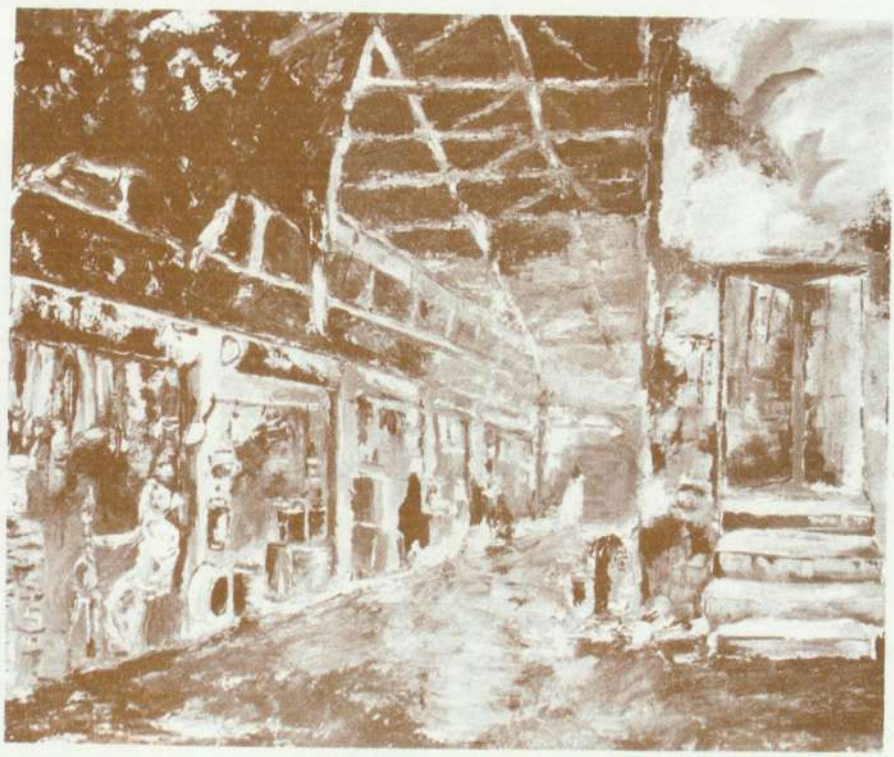


وكيل وزارة الاعلام الاستاذ محمد عبد الرحمن الخليفي اثناء افتتاح المعرض السادس للفنـــون

مدارس فنية متصارعة ومحاولة لكسر الجمود



القلعة : ناصر المريخي



السوق : كامل الحداد

الفنانين ، بغض النظر عن جنسياتهم ، مما اكد أن الفن لا حدود له ولا جنسية له ، فالفنان أينما كان تجمعه دائما مع اخوانه الفنانين لغة مشتركة هى الابداع الفنى حتى لو اختلفت المدارس والأساليب !

ورغم التلاحم والعطاء فى هذا المعرض فان هناك وجهات نظر متعددة حول القاعة التى عرض بها والتنظيم وغير ذلك ، إلا أن كل تلك الملاحظات تتبعثر امام نجاح فكرته وتجعلنا نطالب بضرورة وجود القاعة المخصصة للمعارض الفنية وضرورة اهتمام المدارس باعداد زيارات للمعارض للتعرف على الأعمال والأساليب الفنية ولتنمية التذوق الفنى لدى النشء فى وقت مبكر ..

المشتركون فى المعرض

ولاول مرة نرى ٣٠ فنانا من مختلف الجنسيات يشتركون فى معرض واحد ، ضم ثمانين عملا فنيا ، منها قطعتين من النحت والباقى لوحات زيتية ومائية وباستيل ، وكانت أكثر الأعمال من واقع البيئة الاجتماعية بصورة معاصرة الى اهتمام بقية الأعمال بقضايا الانسان العربى وخاصة مذبحة صبرا وشاتيلا والغزو الاسرائيلى للبنان ..

وقد كان من بين الفنانين الذين شاركوا فى هذا المعرض :

● يوسف احمد ، الذى اشترك بلوحتين من البيئة المحلية ، واستطاع خلال هذا المعرض ان يؤكد للذين يتابعون اعماله واسلوبه الفنى ، بانه قادر على التنوع وليست اعماله الفنية مقصورة فقط على الخط العربى .

● سلمان المالكى .. وهو فنان نشط فى الرسم الصحفى والكاريكاتير ، شارك فى كثير من المعارض المحلية والدولية ، وكان له فى هذا المعرض ثلاث لوحات زيتية هى : استرخاء ، والغزو ، وتكوين .. ويتميز اسلوبه بالتمكن والابتعاد عن التلقائية والمباشرة ، مع الاهتمام بالتكنيك والموضوعية ..

● زكريا يوسف احمد .. مدرس بوزارة التربية والتعليم ، تخصص تربية فنية ، اشترك بعدد ثلاث لوحات زيتية هى : أسماك ورقصات خليجية والأمومة .. يتميز



رسالة من طفلة فلسطينية : احمد سلام شراب

أسلوبه بالبساطة والقدرة على تطويع اللون للفكرة ..

● عيسى الغانم .. فنان تشكيلى قطرى شارك فى جميع المعارض المحلية ومثل قطر فى كثير من المعارض فى الخارج .. اشترك بثلاث لوحات ، واستخدم الباستيل فى بعض لوحاته باسلوب تاثيرى يميل إلى التجريد ..

● ممدوح فوده .. يعمل مدرسا بوزارة التربية والتعليم ، اشترك بعملين : الخريف ، ومصارعة الديوك .. وتاتى لوحاته بلمسة شاعرية وتكوينات متميزة خاصة لوحة الخريف فهى عبارة عن منظر طبيعى تالف معه وجسده بفلسفته التجريدية الخاصة ذات المساحات المختلفة والملونة باللون الاخضر بدرجاته المختلفة الذى استطاع ان يخلق انسجاما بين محتويات اللوحة كورق الشجر والارضية والسماء .

● خالد الجتال .. طالب فى المرحلة الثانوية واحد المنتسبين للمرسم الحر ، اشترك بلوحتين بالألوان المائية هما : شروق ، وسمك .. لوحات خالد الجتال تدعونا الى عالم مختلف تماما وهو عالم التلقائية والتعبير النابع من المشاعر دون ادنى تاثير .

● ناصر المريخي .. اشترك بخمس لوحات زيتية .. ويأتى ناصر المريخي فى نفس الطريق الذى سار عليه الفنانين فى قطر مثل علي الشريف ويوسف الشريف وماجد هلال الا وهو النقل من الطبيعة المحلية كما فى لوحة القلعة ، الا انه فى اللوحات الباقية يحاول أن يشكل ما يراه على الطبيعة باطار خاص تكون من مساحات هندسية .

● ياسر ابو سيدو فنان فلسطيني اشترك فى كثير من المعارض المحلية والدولية ، اقام معرض شخصي لاعماله فى العام الماضى فهو احد الفنانين الذين اسهموا اسهاما ملموسا فى حركة التشكيل الفلسطينى واحد الذين اتخذوا الأراضى الفلسطينية والقضية شعارا لهم فى كل أعماله الفنية ، خاصة فى لوحة صبرا وشاتيلا ، وهو لا ينسى التغنى بالوطن الذى احتضنه وعاش تحت سمائه حيث قدم لوحة الماضى والحاضر التى تحكي عن نهضة قطر بماضيها وحاضرها .

● سوزان حسن فهمى .. اشتركت بثلاث لوحات زيتية هى وجه ، ومن الفن الشعبى والحنين الى البحر ، واستلهمت موضوعات لوحاتها من الحياة الشعبية القطرية ، واستطاعت أن تجسدها بالألوان والخطوط والتكوين بشكل عام يقوم على الاجزاء التفصيلية كتفاصيل الوجه وزخرفة القلادات الذهبية التى ارتدتها الفتاة فى لوحة وجه ، وكذلك فى لوحة الحنين الى البحر .

● ماجد هلال : احد الفنانين القطريين الذين اشتركوا فى عدة معارض محلية ، وقدم فى هذا المعرض لوحتين وهما من وحى البحر ومن وحى البادية .

● اسد النيل عادل ياسين .. اشترك بلوحتين هما الجزيرة القمرية واه ناجي .

● مي سالم .. اشتركت بثلاث لوحات استخدمت الخرز الملون فيها واستطاعت بها ان تكون من خلالها سيمفونية كونية متحركة .

ومن المشاركين فى هذا المعرض امينة كاظم وحسن الملا وعصام احمد الراوي واحمد زيني ومحمد محمود حسب الله ومحمد توفيق محمد احمد كشك ونوره على راشد وامال حسن ولطيفه يوسف عبد الرحمن وكامل الحداد عبد الله العكاري وسلطان الغانم وسعد اللوح ومحمد عبد الرحمن الدوراني وغيرهم من الفنانين الذين رأينا فى لوحاتهم المزيد من العطاء والمزيد من البذل لاثراء الحركة الفنية فى قطر .

حسن الملا



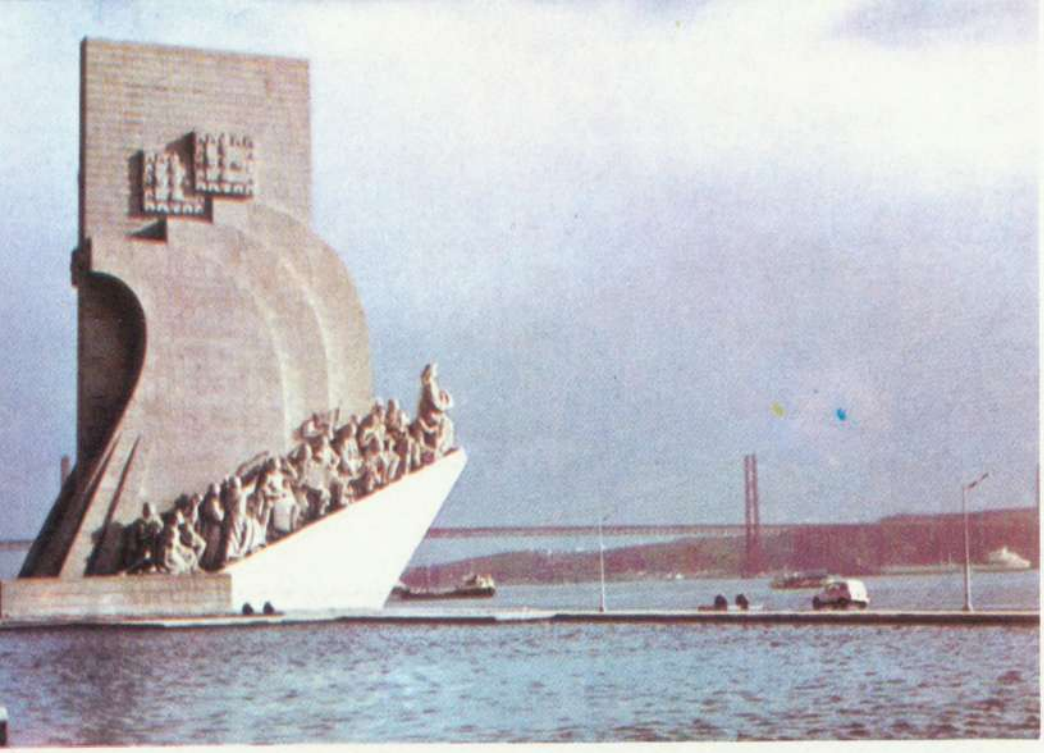
اسواق الزهور على الطرقات المزينة بالموزاييك .. من معالم سحر لشبونة

مدينة لشبونة الإسلامية

كيف سقطت في أيدي الصليبيين ؟

بقلم : د. أمين الطيبي

بدأ افتتاح العرب لشبه جزيرة ايبرية من أيدي القوط الغربيين سنة ٩٢ هـ ٧١١ م وشمل كل شبه الجزيرة تقريباً بما في ذلك غرب الأندلس (البرتغال حالياً) . وقد تم فتح العرب لغرب الأندلس بما في ذلك لشبونة على يد موسى بن نصير وابنه عبد العزيز (٩٣ ـ ٩٧ هـ / ـ ٧١٦ م) ، ولو ان ما يلي نهر دويره شمالا خرج من ايدي المسلمين في فترة مبكرة . وكانت مدينة لشبونة (وتشير إليها المصادر العربية أيضاً باسم الاشبونة واشبونة) تشكل بادىء الأمر جزءاً من كورة باجة ثم أصبحت كورة مستقلة تتبعها في قاصية الغرب شنترين ، وشنترة ، والمعدن ، وبلمالة ، وقصر ابي دانس ، والى الشمال منها كانت كورة قلمرية (Columbria) حتى نهر دويره (Duero) ، اي ان كل اراضي البرتغال الحالية كانت تشكل جزءاً من الأندلس الاسلامية في أيام الدولة الأموية بقرطبة . وقد تردد ذكر لشبونة في المصادر العربية حينما بدأ المجوس (الأردمانيون) من أهل الشمال (اسكندناوة) غاراتهم الخاطفة المدمرة على سواحل الأندلس الغربية في منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، فانشئت فيها على الاثر دار صناعة لبناء المراكب البحرية ، وغدت لشبونة



النصب التذكارى لعصر الاكتشافات البرتغالية .

قاعـــدة بحرية لدرء مثل هذه الغـــارات فى المستقبل ، وقد تكررت فعلا طوال قرن ونيف من الزمن . كما اقترن اسم لشبونة فى القرن ذاته بقصة « الفتية المغررين » الذين شرعوا فى رحلة جريئة فى البحر المحيط (الأطلنطي) « ليعرفوا ما فيه من العجائب وليقفوا على نهايته » ، وهى رحلة سبقت حركة الكشوف الجغرافية بستة قرون . وقد افاض الجغرافيون المسلمون فى الحديث عن خيرات لشبونة وكورتها ، وكانت المدينة سوقا تجارية لما يجلب من الجزر البريطانية آنذاك من عبيد وفراء وقصدير . كما لعبت لشبونة وموانىء غرب الأندلس دوراً بارزاً فى الحملة البريـــة البحرية الكبيرة التى قادهـا المنصور محمد ابن أبي عامر عام ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م وانتهى فيها مظفراً الى مشـــهد ســـانت ياقب (Santiago de Compostella) فى اقصى الركن الشمالى الغربي لشبه جزيرة ايبرية .

وبعد انتهاء الخلافة الاموية فى قرطبة (٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م) ، كان غرب الاندلس مسرحاً للحروب بين اثنين من أمراء الطوائف هما ابن الأفطس صاحب بطليوس وابن عباد صاحب اشبيلية ، مما انهك كليهما فى وقت توحدت فيه قشتالة وليون واخذ ملكهما الصليبي النزعة ، فرديناند الأول ، يتوسع جنوباً فى غرب الاندلس مهدداً قواعد المسلمين وحواضرهم فيه .

ولما قدم المرابطون فى اواخر القـــرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى خشى المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس وغرب الاندلس على ملكه ، فداخل الفونس السادس ملك قشتالة وليون آمـــلا فى الحصول على مساعدته ضد المرابطين ، وتنازل له فى مقابل ذلك عن لشبونة وشنترين وشنترة (٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م) ، الا ان المرابطين سرعان ما استردوا هـــذه المدن بعد إطاحتهم بابن الأفطس .



هـذا المبنـى التاريخى من اشـهر معالـم لشـــبونة ويعـــود الـى القـــرن الســـادس عشر

الصيـادون والزبائـــن فـــى جنـــوب لشـــبونة حيـــث يتعاملـــون فى الصيد اليومـــى للسردين



وفى هذه الأثناء استصرخ الفونس السادس النصارى من وراء جبال البرتات (البيرانيز) لنجدته لمواجهة خطر المرابطين عليه ، فاستجاب لندائه الـــوف الفرسان من جنوب فرنسا على الخصوص . وكان من بينهم احد نبلاء مقاطعة برجندية (Burgundy) واســـمه هنريق (Henriques) ، الذى زوجـــه الفونس من ابنته تيريزا وقدم لهما مهراً مقاطعة برتقال (أبورتو) وقلمرية . وفى أوائل القرن السادس الهجرى / الثـــاني

مدينة لشبونة الإسلامية

كيف سقطت في أيدي الصليبيين ؟

عشر الميلادى تمكن ابنهما الفونسو هنريق ـ الذى تسميه المصادر العربية ابن الريق ، اى ابن هنريق ـ من الاستقلال الذاتى حاملا اولا لقب صاحب قلمرية ، ثم لم يلبث ان استقل استقلالا تاما بعد عام ١١٣٩ م ، بعد ان احرز بعض الانتصارات المحلية على المسلمين ، منتهزاً حالة الضعف والفوضى التى عمت الأندلس فى اواخر ايام المرابطين الذين شغلوا عن الجهاد فى الأندلس بما دهاهم من قيام الموحدين عليهم فى المغرب .

وعلى أثر استرداد نور الدين زنكى مدينة الرها (Edessa) فى بلاد الشام من ايدى الصليبيين ، دعا البابا الى حملة صليبية اوروبية كبيرة لاستردادها ، واغتنم ابن الريق فرصة مرور جماعات صليبية من الانجليز والألمان بساحل بلاده وناشدهم مساعدته للاستيلاء على لشبونة من ايدى المسلمين . فكانت تلك الحملة الصليبية على المدينة التى صمدت منفردة فى وجهها بكل بسالة سبعة عشر اسبوعاً دون ان تتلقى اية استجابة لاستصراخها امراء المسلمين المجاورين ، مما أدى الى سقوطها فى ايدى النصارى يوم ٢٧ جمادى الأولى ٥٤٢ هـ / ٢٤ اكتوبر ١١٤٧ م ، بعد ان ظلت مدينة اسلامية نحواً من اربعة قرون ونصف القرن .

رواية معاصرة

وهناك رواية معاصرة عن الهجوم الصليبى على مدينة لشبونة (٥٤٢ هـ / ١١٤٧) تقول :

كان الفونس السادس صاحب قشتالة وليون قد قدم كما أسلفنا مقاطعة برتقال الواقعة بين نهر دويره ومينه (Minho) سنة ١٠٩٧ م مهراً لابنته غير الشرعية تيريزا وزوجها البرجندى كونت هنريق ، وورث المقاطعة من بعدهما ابنهما الفونسو الذى تسميه المصادر العربية ابن الريق (اى ابن هنريق) . وقد استغل ابن الريق صاحب برتقال المنازعات الداخلية فى قشتالة بين الملك والنبلاء للمناداة باستقلاله فى مقاطعته واتخذ قلمرية عاصمة له ، كما اتخذ لنفسه لقب (أمير البرتقال) ، فكان ذلك بداية استقلال البلاد المعروفة اليوم بالبرتغال .

يؤرخ البرتغاليون بداية استقلال بلادهم بسنة ١١٣٩ م ، وفيها احرز ابن الريق ، كما تقول الروايات المسيحية ، انتصاراً محلياً على قوة مرابطية فى أوريق (Oric) بالقرب من شنترين ، وعلى الأثر بادر بالمناداة بنفسه ملكا . وكانت البلاد التى تولى ملكها تمتد آنذاك من نهر مينه الى نهر مندیق (Mandjngo) ، والى الجنوب من قلمرية كانت لشبونة وشنترين تشكلان جزءاً من الأندلس الاسلامية .

وفى سنة ٥ ـ ٥٣٦ هـ / ١١٤٠ م سنحت لابن الريق أول فرصة لمهاجمة مدينة لشبونة عند مرور اسطول يحمل صليبيين فى طريقهم الى فلسطين ، وقبل هؤلاء الصليبيون معاونته فنهبت ارباض مدينة لشبونة ولكن المدينة صمدت فى وجههم .

وفى اواخر سنة ٥٤١ هـ / ربيع سنة ١١٤٧ م ، انتهز ابن الريق فرصة انشغال الموحدين فى الاستيلاء على اشبيلية من ايدى المرابطين ومحاولتهم بعد ذلك انقاذ المرية من هجمات النصارى ، فهاجم شنترين التى تتحكم فى الطريق المؤدية الى لشبونة واستولى عليها غدراً فى ١٠ شوال سنة ٥٤١ هـ / ١٥ مارس ١١٤٧ م ، بمساعدة فرسان الداوية (Templars) .

وكانت شنترين مركزاً نشطاً لغارات المسلمين على منطقة قلمرية ، ففتح الاستيلاء عليها الطريق الى لشبونة الميناء الأهل الذى كان ينعم بالرخاء عند مصب نهر تاجه . ومما حفز ابن الريق للتأهب لمهاجمة لشبونة ثانية وصول انباء باقتراب اسطول صليبي آخر من ساحل بلاده . وكان هؤلاء الصليبيون فى طريقهم الى فلسطين استجابة لنداء البابا الذي دعا مسيحيي اوروبا للتوجه لمحاربة المسلمين فى المشرق ، بعد ان استرد نور الدين زنكى مدينة الرها (Edessa) ، وكانت عاصمة اولى الامارات الصليبية فى الشرق . وكان الأسطول الصليبي القادم فى مواجهة ساحل اراضى ابن الريق يتكون من ١٦٤ مركباً ، تحمل نحو ثلاثة عشر ألف رجل أبحروا من ميناء دارتموث على ساحل انجلترا الجنوبى فى شهر ذي الحجة سنة ٥٤١ هـ / مايو ١١٤٧ م . وكان هؤلاء الصليبيون ثلاث جماعات : إنجليز والمان وفلمنك (من شمال بلجيكا حالياً) . وقد ترك لنا وصفاً وافياً للحملة راهب إنجليزى من المشاركين فيها ، وذلك فى خطاب بعث به إلى مواطن انجليزى اسمه آزبيرت (Osbert) من بلدة بودسي (Bawdsey) بمقاطعة سفولك (Suffolk) بانجلترا (المخطوط للخطاب محفوظ فى كلية كوربوس كريستي بجامعة كمبردج بانجلترا) . وفضلا عن كون الخطاب المصدر الرئيسي لمعلوماتنا عن تفاصيل الحملة ، فانه كذلك وثيقة مهمة لما يشتمل عليه من وصف مفصل لحصار مدينة فى القرون الوسطى ، دفاعاً وهجوماً ، بما فى ذلك استعمال المقاليع والمجانيق والعرادات وحتى الالغام .

عند مرور الصليبيين بميناء برتقال (أبورتو) للتزود بالمؤن ، رحب بهم أسقف المدينة ودعاهم لمساعدة ابن الريق فى مهاجمة لشبونة وانتزاعها من ايدى المسلمين ، على ان يكون من نصيبهم الغنائم والرهائن . ولما اجتمع ابن الريق بزعماء الصليبيين للاتفاق على الشروط ، ذكر لهم ضيق ذات يده بحجة كثرة حروبه مع المسلمين ، وحاول ان يستدر عاطفتهم الدينية دون جدوى . وأخيراً تم الاتفاق على ان تؤول كل الغنائم فى المدينة الى الصليبيين وحدهم ، وكذلك المدينة الداخلية وفدية الأسرى ، كما عرض ابن الريق اراضي على من يرغبون من الصليبيين فى الاستقرار في الأراضي المفتوحة .

وقبل بداية الهجوم ، أوفد ابن الريق اثنين من كبار رجال الدين للطلب الى والي لشبونه وقاضيها تسليم المدينة . وقد جرى بينهم الحوار الطريف التالي : خاطب رئيس أساقفة براجه (Braga) قاضى لشبونة وكان ورجاله فوق سور المدينة ، طالباً منه الرحيل والتخلي عن البلاد لأهلها زاعماً بأن العرب انما كانوا قد استولوا على المدينة عن طريق الخداع . فاجابه القاضي قائلا : كم من مرة جئتم الى هنا مع حجاجكم وأعلاجكم لاخراجنا ؟ هل انتم غير قانعين بما لديكم أو هل ثمة مشاكل فى دياركم تدفعكم الى التحرك المستمر ؟ .... أحسب ان

هذه المدينة كانت فى وقت من الأوقات ملكاً لكم ، ولكنها الآن ملكنا ، وقد تؤول اليكم فى وقت ما فى مستقبل الأيام ، الا ان ذلك رهن بمشيئة الله . فبمشيئته تعالى احتفظنا بالمدينة ، ولن تخرج من ايدينا الا بمشيئته تعالى فقط . انصرفوا ، فلن تدخلوا المدينة الا بحد السيف .. اصنعوا ما تشاؤون ، اما نحن فسنعمل ما يشاؤه الله تعالى .

بدأت العمليات الحربية فى اليوم التالى وتمكن الصليبيون الانجليز ، باستعمالهم المقاليع ، من إبعاد المسلمين عن الربض الغربى الى داخل المدينة المسورة حيث صمد المدافعون لهم ، وخيم المهاجمون فى مقبرة المدينة . وفى اليوم التالى ، قام المسلمون بهجوم مضاد لمحاولة استرداد الربض الغربي دون جدوى . وأبدت المدينة مقاومة طويلة ، ونصبت المجانيق ، ولكنها أحرقت كما أحرق المدافعون برجاً خشبياً اقامه الانجليز . وشرع الألمان فى حفر انفاق تحت الأرض ، ولكنهم طردوا منها . وبعد مضى ستة أسابيع ، أخذت عزيمة المهاجمين فى الفتور ، وأخذ المدافعون يسخرون بهم من فوق أسوار المدينة ويعيرونهم ـ على حد قول الراهب صاحب الخطاب ـ « بالعديد من الأطفال الذين سيولدون لنا فى اوطاننا أثناء غيابنا ، كما سخروا من ديننا » . وفى احدى الليالى شوهد زورق صغير فى البحر متوجهاً الى بلمالة ، فهوجم الزورق وفر من فيه وعثر فيه على رسائل تستصرخ ابن وزير المنتزى فى يابره (Evora) . وبعد بضعة أيام ، قيل إن رسولا من يابره وقع فى الأسر ، وكان يحمل رسالة من ابن وزير صاحب يابرة يعتذر فيها عن تقديم المساعدة بحجة أنه كان فى هدنة مع ابن الريق !

وفى هذه الأثناء ، اخفقت جميع محاولات الصليبيين لنقب السور بالمجانيق والعرادات ، كما ساءت أحوال المسلمين لنقص المؤن . وحاول الألمان والفلمنك وضع لغم طويل تحت السور ، وأشعلت فيه النار فى يوم ١٦ أكتوبر (١١٤٧ م) ، الا أن المدافعين احتلوا النفق الذي احدثه الانفجار . وبعد ذلك بثلاثة أيام ، اتم الانجليز بناء برج خشبي ارتفاعه ثمانون قدماً ، وأدنوه من السور المطل على ضفة النهر (نهر تاجه) ، ونشب حوله قتال عنيف وحاول المسلمون إضرام النار فيه دون جدوى وبعد ثلاثة أيام من القتال بالأيدى ، أدنى البرج من السور ، وأنزلت من اعلاه قنطرة متحركة فوق حافة السور ، وعندئذ طلب المسلمون الهدنة . فتم الاتفاق على وقف الهجوم ، واعطاء أهل المدينة مهلة ليلة واحدة للتداول فيما اذا كانوا يريدون الاستسلام ، وسلموا رهائن لابن الريق .

الا ان ذلك لم يرق للصليبيين ، فهموا بالفتك بالرهائن غير ان المسلمين رفضوا التفاوض الا مع ابن الريق . واتفق الصليبيون على طريقة دخول المدينة بعد تسليمها ، الا انهم لم يعملوا بما اتفقوا عليه ، وبادر الألمان والفلمنك بالدخول من النقب الذى كان قد أحدث فى السور . وكان دخول النصارى للمدينة فى يوم ٢٧ جمادى الاولى سنة ٥٤٢ هـ / ٢٤ اكتوبر ١١٤٧ م ، بعد حصار دام سبعة عشر أسبوعاً . ومع انه سمح للمسلمين بمغادرة المدينة ، الا انها نهبت وقتل الكثيرون من اهلها ، كما قتل اسقف النصارى المستعربين فى المدينة .

ما بعد السقوط

هذا هو مجمل رواية أحد الصليبيين الذين شاركوا فى الهجوم على مدينة لشبونة الاسلامية ، وهى رواية فريدة اذ إن المصادر العربية ـ او ما وصلنا منها على الأقل ـ لم تترك لنا شيئاً يذكر عن هذا الهجوم الضاري على المدينة ، وعن صمود أهلها الباسل منفردين فى وجه هذه الجموع الصليبية . وكل ما لدينا إشارتان مقتضبتان تولاهما عبارة واحدة لابن غالب يقول فيها « وكانوا (النصارى) ثلاثة عشر الف رجل ، وفني الكل (السكان) فى القتال ، ولم يبق الا اليسير » . اما الاشارة الثانية ، فقد اوردها ابن دحية حيث يقول « وقد أخذ الآن هذه البلاد ابن الريق اللعين ... لما خاف أهلها من القتل ، ورأوا ان الأسر دونه لكثرة من جاءهم فى البر والبحر ، وقعود المسلمين عن الحماية لهم والنصر ، حتى ملك الكفار معاقلهم المنيعة ، وحصونهم المرتفعة » .

واحتل الصليبيون كذلك معقل شنتره المجاور للشبونة من جهة الغرب ، وحصن بلمالة جنوبي نهر تاجه ، وأصبح خط دفاع المسلمين يمتد جنوبي النهر من ثغر قصر ابى دانس (Alcacer do Sal) الى يابره . واصبحت لشبونة معقلا نصرانياً على الحدود ، مثلها فى ذلك مثل طليطلة . ولعل الاستيلاء على لشبونة كان أعظم ما حققه ابن الريق ، الذى بادر بعد ثلاث سنوات من استحواذه على المدينة الى تحويل مسجدها الجامع الى كنيسة ، هى اليوم كاتدرائية لشبونة .

كان سقوط لشبونة فى أيدي النصارى من حيث الأهمية كسقوط طليطلة عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م ، وسقوط سرقسطة عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م . وانهال سيل من المستوطنين النصارى على لشبونة وشنترين ، بعد جلاء معظم سكانهما المسلمين عنهما ، ونصب احد الصليبيين واسمه جلبرت (Gilbert) من مدينة هاستينجز بانجلترا أسقفاً فى لشبونة ، فكان اول أساقفتها ومن المتحمسين لفكرة تحويل المسجد الجامع فى لشبونة الى كاتدرائية .

وقد اتخذ المسلمون قصر ابي دانس (Alcacer do Sal) قاعدة للاغارة بحراً على أحواز مدينة لشبونة بعد سقوطها فى ايدى النصارى . وفي الغزوة الكبرى التى قادها السلطان الموحدى يوسف ابن عبد المؤمن لاسترداد شنترين سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ، غزا كذلك لشبونة واحوازها بالأساطيل ، وكما يقول الحميرى فقد « برز أسطوله على الأشبونة وحاصرها عشرين يوماً » .

وقد افاد النصارى حضارياً من استيلائهم على قواعد اسلامية كبرى فى الأندلس كطليطلة وسرقسطة ولشبونة . اما بالنسبة للشبونة ، فقد كان لما افادوه اثره الفعال فى حركة الكشوف البرتغالية فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر . ويقول باحث برتغالى حديث إن القانون الجنائى البرتغالى فى العصر الوسيط يكاد يكون كله عربياً فى محتواه ومناصبه ، ويضيف قائلا ان ذلك ليس بالأمر الغريب بعد ان حكم العرب البلاد نحو خمسة قرون كما يرجع ذلك الأثر العربى الى حد ما لكون ملك البرتغال اتخذ عاصمة له مركزاً عربياً مهما ، الا وهو لشبونة . وكانت لشبونة قد حلت محل قلمرية كمقر رئيسي للملك والادارة فى عهد الفونس الثالث (حكم ١٢٤٦ ـ ١٢٧٩ م) .

وما زال الحي الشرقي من لشبونة يحمل اسمه العربي وهو الحمة (Alfama) . ويقوم هذا الحي « على ربوة عالية ، وهو يشبه القصبات فى المدن المغربية بشوارعه الصغيرة الصاعدة الهابطة ، وبيوته ذات الرحبات . وعلى قمة الربوة أطلال الحصن الأندلسي ، الذى كان يقوم وسط القصبة ، وهو يكتشف البحر الى مسافة بعيدة » . ويعرف الحصن العربي اليوم باسم حصن القديس جورج ، ولعل تسمية الحصن بهذا الاسم تمجيد من جانب البرتغاليين للدور الذى قام به المحاربون الصليبيون الانجليز فى الاستيلاء على مدينة لشبونة من ايدى المسلمين ، اذ ان القديس جورج كان وما يزال القديس الراعي لانجلترا .

د . أمين الطيبي



مفيد فوزي

د. زكي نجيب محمود "للدوحة":

خمسون عاما ، هى مشوارى مع الفكر والتأمل . وأنا متزوج من أستاذة فى علم النفس . وليس لى أولاد . وفى مكتبتى خمسة آلاف كتاب . وأنا مشتغل بالفلسفة ولست فيلسوفا . وقضيت حياتى أدعو للعقل واحترام الفكر . هذا هو الدكتور زكى نجيب محمود . فماذا يقول للدوحة اذا تقاسمنا حوارا !

لا أنسى له هذا «الموقف» !

واذا كنت أتوقف عند هذا السلوك الجامعى باحترام شديد ، فلأنه «موقف» مثالى لأستاذ جامعى ، من هذه المواقف التى نسمع عنها فى جامعات الغرب ونحلم بها فى جامعاتنا العربية .

حين يختلف التلميذ مع استاذه فى الرأى . وللدقة ، حين يكون للطالب أو للطالبة رأى اخر غير رأى الأستاذ ! الذى يحدث عادة ، ان الطالب ـ المختلف فى الرأى ـ مع أستاذه .. يحظى بصفر كبير ! ذلك انه كيف يجرؤ على الخلاف . إن رأى الأستاذ غير قابل للنقاش أو الجدل !

ولم اسمع هذا الموقف من الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود ، بل سمعته وعرفته من احدى «تلميذاته» فى الجامعة !

كان لها رأى يخالف رأى د . زكى نجيب محمود فى قضية فلسفية ، فاذا الدكتور زكى نجيب يعطيها « النمرة النهائية » وتحصل على تقدير امتياز !

لقد وصفت « موقف » الدكتور زكى نجيب محمود بانه موقف « حضارى » لأستاذ جامعى ، يحترم « الرأى الآخر » مهما كانت مسافة الاختلاف !

وقد كان سلوك د . زكى نجيب محمود ، مدخلا للحوار ، لكنه بكل تواضع العلماء عبر الموقف نفسه وقال : لا يمكن ان احكم على رأى الطالبة التى اختلفت معى فى الرأى بميولى الشخصية . لابد ان تكون نظرتى ونظرتنا جميعا « علمية » . احيانا اذا ناقشت انسانا ما فى «خطأ» ما ذهب اليه من تفكير ، تصور انك « تهينه » يستقبل رأيك وكأنه إهانة !

تحدثنا ـ د . زكى نجيب محمود وانا ـ حديثا طويلا ، وبيننا « مسجل » يحتفظ بكل خلجات الأستاذ الى « انصات » عميق لما يقول ، لأنه من الناس الذين يعتقدون ان الحوار معناه . متحدث .. ومنصت . ثم منصت ومتحدث . اما ان يتكلم اثنان فى وقت واحد فهذا هو التخلف باجلى معانيه!

لم اكن فى حاجة الى كتابة الأسئلة أو نقط الحوار . لأن د . زكى نجيب محمود كان يتسلل من موضوع الى موضوع بدقة الباحث أو عمق المحاور . اعتبرت نفسى اجلس فى « حلبة » فلسفية . استمع ، وانصت ، واتامل ، واحاور . واسجل !

● .....

د . زكى نجيب محمود : عيبنا الرئيسى بل سمتنا المريضة اننا لا نطيق العقل . كل

● أنا مشتغل بالفلسفة .. ولست فيلسوفا

● لماذا نبنى نهضتنا على الأخذ من أوربا فقط ؟

● أحب الحيوان .. ولا أطيق أن أعايشه

● أنا متصوف زاهد .. مطالبي قليلة

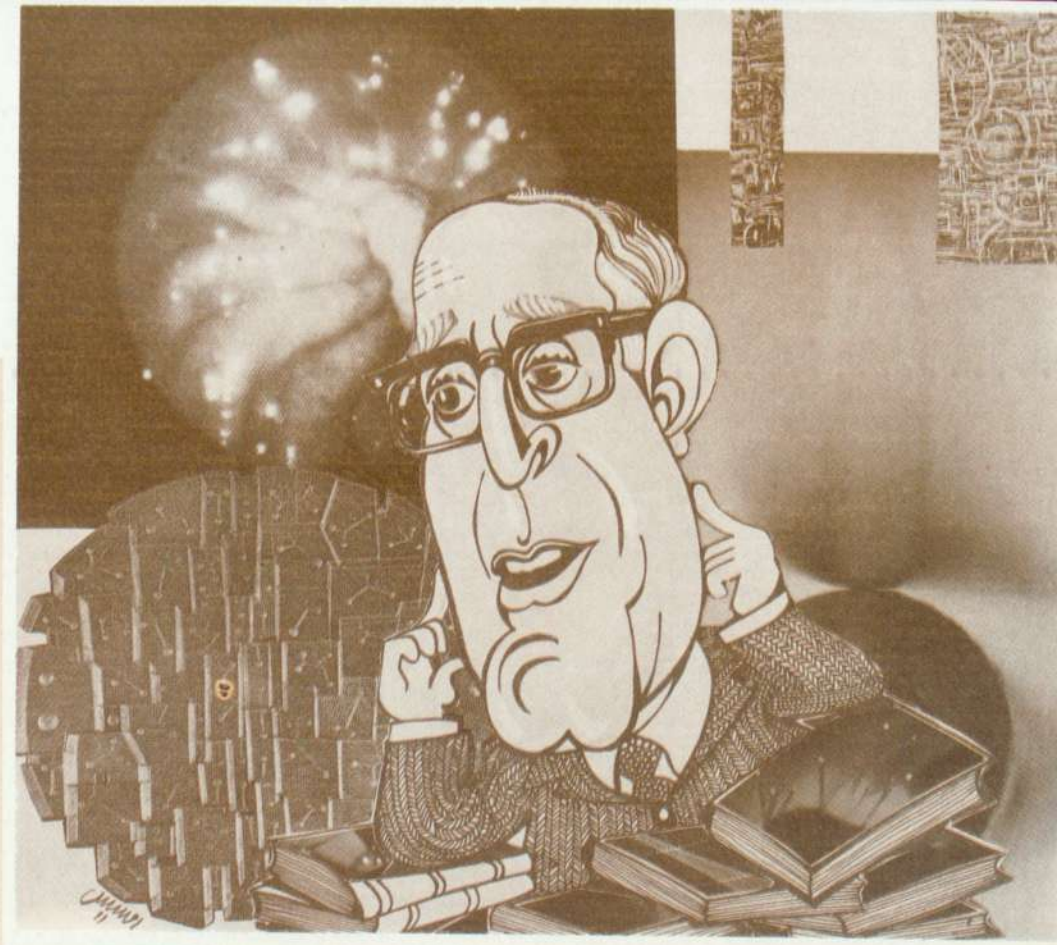
أفكارنا وأحكامنا تصدر من غرفة الوجدان ! وقفاتنا « انفعالية » . الانسان عموما ، مفطور على انه لا يأتمن العقل . ولذلك نجد صورة العقل مشوهة وغير واقعية فى الخيال الشعبى ! ولماذا نذهب بعيدا؟ ان « اسطورة فاوست » قائمة على هذا الأساس . نحن على استعداد أن نسلم انفسنا لمن يستهينون بالعقل .. أكثر مما نسلم انفسنا لعالم . تصور لو ان صاروخا قادم من القمر (اتقطم وسطه) .. سوف نضحك وربما نفرح . لماذا ؟ لاننا ـ دون ان ندرى ـ نحب ان يفشل العلم . فى اعماقنا تموج رغبة عارمة الا ينتصر العلم . وكاننا بهذه الصورة نطمئن على انفسنا . وانا رجل كرست حياتى من اجل الدعوة .. للعقل ولو سألتنى ، لماذا خضت بحار الفلسفة ؟ لقلت لك : لأنى ادعو للعقل ونبذ الوجدان ! أنا أقول دائما : دع مالقيصر لقيصر ، ومالله لله واقول دع للعقل ما للعقل ، وللوجدان ما للوجدان . انا وجدانى ايضا ولكنى احب ان احصر دور الوجدان . فانا لست وجدانيا فى أمور المنطق والعقل ولا احب ان احل مشكلات الحياة بالوجدان ، والا كان هذا تنازلات مرفوضة !

● .....

د . زكى نجيب محمود : لا تظن كما يظن الكثيرون أن جانب العقل عندى أكبر من جانب الوجدان . ربما ذهبت انت فى ظنك هذا لأنك تلاحظ أن صفحات كتبى لا تمل أو تياس من الدفاع عن العقل . لكنى احب أن اوضح نقطة هامة هنالك ، ولقرائك الأفاضل . ففى تاريخ الفكر كله نوعان من الكتابة الكاتب يكتب ليؤيد أو يكتب على سبيل العلاج (Corrective Writing) حتى الفلاسفة . واحد جاء ليعبر عن الحضارة أو لينتقد الحضارة . وانا أضفت مسالة العقل للكتابة ، لأنى لا اتصور ان « احسم » أمور العقل بالقلب ! اذكر انى كتبت ذات مرة مقالة بعنوان «لو كتبت بقلبى» وقلت: لو كتبت بقلبى لن أكون منطقيا فى أحكامى . سوف تصدر عنى مواقف انفعالية . ثم اتبع ميولى الشخصية . ثم أكون بعيدا عن الموضوعية . ومع ذلك أريد أن أتوقف لحظة لأقول لك أنى لا أنبذ الوجدان الا فى الأمور العقلانية . بيد أننى فى حقيقتى متصوف وزاهد ورغباتى قليلة بل شحيحة ! لكن استخدام الوجدان ـ على هذا النحو ـ فى الأمور العقلانية ، مرض ، ربما كان خط دفاع اول للبعض ، واضيف انه ايضا خط هزيمة . لماذا ؟ لأنى عندما افكر فى أمور العقل بوجدانية ، فانا فى الحقيقة أستهين بالواقع . مع أن الواقع صلب وعنيد .

● .....

د . زكى نجيب محمود : لو عرفنا أساس الحضارات ، فسوف نبنى نهضتنا على أسس. أنا لا اتصور مثلا ان نبنى نهضتنا على الأخذ من اوربا فقط . وفى نفس الوقت لا نبنى نهضتنا على أحياء التراث فقط . ان لب كتابى « تحديد الفكر العربى » هو التعرض لهذه النقطة الحيوية والهامة . ان الصيغة التى تناسبنا فى الحياة هى صيغة ما ، تمثلت فى بعض أشخاص على رأسهم رجل مثل د . طه حسين فى الصيغة التى خرج علينا بها . فهو



د. زكي نجيب محمود

"للدوحة:"

شيخ ازهرى معمم . وهو ايضا فرنسى العقل والوجدان ان صح التعبير . لكنه ـ كمفكر مصرى عربى ـ استطاع ان ياخذ من الغرب ، وجذوره ضاربة فى الشرق . ذلك ما عنيت به كلمة « الصيغة » .

●.....

د . زكي نجيب : تسالنى عن صيغة التلفزيون كوسيلة ثقافية . انا اعترف لك بلا تردد ان التليفزيون لا يصدر منه اى ثقافة متماسكة . نعم ان أجهزة الاعلام ومنها التليفزيون فى وطننا العربى تقول ولكنها لا تتكلم ! تسالنى ماذا تقصد ؟ واقول لك ان احد علماء اللغة القدامى يرى أن هناك فرقا بين القول والكلام القول مجرد حركة الشفاه . الكلام من الكلمة ، او الجرح . يقولون ، فلان مكلوم اى مجروح . فالكلام هو القول الذى يترك اثرا . أجهزة الاعلام تقول . ولكنها لا تتكلم ! لا تعطى ثقافة ولا تترك اثرا . الثقافة من الكتاب وحده . نعم ! اجهزة الاعلام لا يمكن ان تمنح ثقافة لسببين الأول ان القاسم المشترك الأعظم الذى تخاطبه هو رجل الشارع ، ولو لم تخاطبه لأصبحت ملامة ! واى عطاء ثقافى يفقد عمقه عندما يبسط بشدة الى مستوى رجل الشارع .

السبب الثانى هو التشريح التجزيئى الحديث فى الندوات والكلام العفوى فى البرامج .. ليس له عمق ! ولنفترض من باب الجدل الصرف أن اباءنا العرب الأقدمين لم يكن لديهم كتب وكان عندهم « اجهزة » راديو وتليفزيون ليسجلوا الفكر والأدب . هل كنا إذا اردنا احياء التراث . نعتمد على شرائط تسجيل ؟ .. هل كانت شرائط التسجيل تقدم لنا عالما او اديبا أو فليسوفا أو شاعرا ؟ . انها فى نهاية الأمر ـ تسلية لا أكثر !

●.....

د . زكى نجيب محمود : لا لا تظن اننى اعادى هذه الأجهزة . انا فقط اصارحك انها ليست وسيلة ثقافة . ولهذه الأجهزة فوائدها ايضا ، ولا يجب أن اغفل هذه النقطة . لقد « شيدت » نوعا من الديمقراطية الثقافية . فاصبحنا جميعا امام شاشة التليفزيون نرى رواية واحدة وحديثا واحدا وانتهى الأمر . واذا كان عبد الناصر قد نادى يوما بتذويب الفوارق بين الطبقات فانا اقول لك أن جهاز التليفزيون قد قام بتذويب الفوارق بين الطبقات واقصد هنا الفوارق الثقافية ! ولكنى ايضا لا استطيع ان اقول الراديو والتليفزيون فى عالمنا الثالث اعطيا الناس الحرية . بالعكس ان هذه الأجهزة لم تعط حريات كافية انها اجهزة « الراى الواحد » . انت تسمع او ترى دون أن ترد !

●.....

د . زكى نجيب محمود : الفلسفة منهج . وتستطيع أن تقول اننى كتبت بثلاثة اشكال . اما فلسفة صريحة مثل « خرافة الميتافيزيقا » وكتبت ايضا الأدب الصرف . أدب المقالة . وليس ادب المقالة بهذه المناسبة هو أدب اللغة . انما هى فكرة ، معبرا عنها ! وكتبت ايضا فى « العلم » . كل الذى اردته من هذه المحاولات ان اضع امام الناس حقيقة هامة وهى انه يجب أن نفكر . أن نستخدم عقولنا . أن يكون العقل رائدنا ! وليس من المعقول أن نحل مشكلاتنا حلا ورقيا . بمعنى اننا اذا اردنا أن نزرع الصحراء ، نكتب تقريرا ونقول « زرعنا الصحراء » !! اذا اردنا أن نرفع مستوى معيشة الناس نكتب تقريرا ونقول « رفعنا مستوى معيشة الناس » . هذه اكبر جريمة . أن نغفل دور العقل ، ونلجأ للحل الورقى وكانما نأتمن الورق اكثر مما نأتمن عقولنا !

●.....

د . زكى نجيب محمود : انا رجل علم . رجل منهج . المرأة عندى وهذا رد على تساؤلك لها منحتان فى حياتها . صفحة فى الأسرة . وهذا دورها كامرأة . كانثى . فاذا خرجت من باب البيت فلا ينبغى النظر اليها كجنس . انما كانسان عليه مسئوليات وله حقوق دون النظر الى كونها رجلا أو

امرأة ! والذين يقولون أن المرأة لم تخترع شيئا وبالتالى ليست عبقرية يقعون فى خطأ كبير . لأن دور المرأة وراء المخترع أعظم من الاختراع نفسه،المرأة هنا ، مناخ . وما أعظم العطاء الذى اعطاه العباقرة وكان دور المرأة رائعاً ومهيباً وجليلا .

● .....

د . زكى نجيب محمـــود :البعض يعتقدون انى « يسارى » . البعض يرون انى « يمينى » . جاءتنى مرة معيدة فى قسم فلسفة . زارتنى فى البيت وقـــالت لى يا دكتور . لقد عكفت على قراءة مؤلفـــاتك ولم استطع أن أرسو على شاطىء . لم أعرف هل أنت يمينى أم يسارى وبعد أيام كنت أكتب مقالا هاما بعنوان « اليمين واليسار » وصلت الى تحليل فلسفى أحدد فيه معنى هذا التقسيم . وقلت انا لا أبدأ مطلقاً بالكروت والبطاقات ، يسارى أو يمينى . انما ابدأ بالمشكلة . أمامى مشكلة . كيف أحللها وأضع علاجاً لها . لا اسأل مطلقاً هل هذا الحل جاء من اليمين ام جاء من اليسار . مصيبتنا اننا نبدأ بالعنـــوان ! لنفترض اننا نريد ارتقـاء بالتعـــليم الجامعى . لابد من دراسة أوضاع هذا التعليم ، واين مواطن النقص ، وأضع فى الحسبان قدراتى المادية والعلمية . ثم أضع حلا علميا مبنيا على حقائق . اذا ظهر ان الحل الامثل كان حلا يمينيا أهلا وسهلا ، واذا ظهر انه حل يسارى ، أهلا وسهلا . واذا كان هذا الحل ليس يمينيا أو يسارياً ، أهلا وسهلا أيضا !

● .....

د . زكى نجيب محمود : هذا سؤال مهم . كنت على وشك ونحن نناقش قضية العقل والوجدان ان أضيف اليك بقية الرأى المكتمل فى ذهنى . أحب ان اقول لك ان الوجدان والعقل دائما يتعاونان ، بشرط الا أغلب احدهما على الآخر بمبالغة . الانسان المنظم يضع فى حياته أهدافاً . وضع الهدف لا علاقة له بالعقل . وضع الهدف هذه « رغبة . ارغب ان اكون . ارغب ان اذهب للسيرك ! الرغبة أو الميل أو العاطفة عمل وجدانى بحت ، سواء كان لفرد أو لشعب . ولا غبار على هذا السلوك . ولكن السؤال هو : من الذى يرسم الطريق الموصل ؟ انه العقل . انه البحث العلمى . واريد ان أكون أميناً وأقول لك ، بودى لو أن

- دور رجال السياسة وضع الأهداف
- أدعو للعقل في أمور العقل
- نحن نبتهج إذا فشل العالم
- لا أحب حل مشكلاتنا على الورق

رجل السياسة يضع الأهـــداف ، ويحقق « العلماء » هذه الأهداف . العلماء هم الذين يرصفون بعقولهم ـ ان صح التعبير ـ الطريق الموصل لهذه الأهداف . رجل السياسة يجب أن يحصر نفسه فى وضع الهدف . أما انه يرسم الطريق ، فهو يضيع نفسه من حيث لا يدرى . قل لى ـ كرجل سياسة ـ عن أهدافك احققها لك ـ كرجل علم . كجامعة . وأحب أن أضيف نقطة أخرى انا لا أطالب العلماء بوضع الأهداف لماذا ؟ لأن مجلس الشعب ومجالس الشورى والبرلمان أو المجالس التشريعية هى التى تعرف « رغبات » الشعوب ، وتحقق حصر « الأهداف » . وهنـــاك .

« العلماء » الذين يتولون ترجمة الأهداف الى حقائق مجسدة .

● .....

د . زكى نجيب محمود : أنا من أشد الناس غراماً بأى برنامج تليفزيونى يتعرض للحيوان ولكنى لا أحب أن أعايشه بأية صورة من الصور . وقد كنت فيما مضى أذهب لحديقة الحيوان فى أى مكان فى العالم ، وأمكث هناك بالساعات .. اتامل هذا « المخلوق » الأبكم . وردا على سؤالك الثانى ، فانا من المعجبين بالآثار وتجدنى شغوفاً بها الى حد كبير . لانى أراها خطوات من سبقونا . وتصور أنى وانا شاب كنت أجوب الشوارع وحدى لرؤية الجوامع والكنائس الأثرية واعرفها جيداً . وردا على سؤالك الثالث ، نعم كنت أحب الرسم كهواية واذكر انى رسمت لوحة فى معرض لمقاومة الذبابة . رسمت حربا بين انسان وذبابه كبيرة . وكسبت جائزة عن اللوحة لأنى اظهرت كما قيل لى « روح العراك بين الانسان والذباب » . وردا على سؤالك الرابع ، لقد عشت فى السودان فترة غالية من حياتى واكتشفت عمق وصفاء وسخرية الانسان السودانى . وردا على سؤالك الأخير : عندى خمسة آلاف كتاب وهى مكتبة صغيرة ، وتاريخى مع الفكر والتأمل أكثر من خمسين عاما . وليس لى أطفال .

ومتزوج من انسانة ودكتورة فى علم النفس وانا مشتغل بالفلسفة ولست بفيلسوف !

« مفيـــد فوزى »

الفـــــارس

قصـــة قصـــيرة بقـلم : عبدالوهاب داود

اطرق الأب لحظات رهيبة .. لحظات كانت أطول وأعمق من عمره كله .. ما مضى منه وما تبقى .. ينظر في شرود الى معطف الطبيب الأبيض ، والسماعة التى تتدلى من رقبته الى صدره ، ويتامل بغير تركيز السرير والملاية البيضاء ، دون أن يستطيع أن يميز شيئا .. فالحياة كلها قد أصبحت أمامه فى لون واحد .. شاحب .. لافرحة فيه .. واقترب من الطبيب قائلا غير مصدق :

ـ طارق لم يشك عمره من شيء ..

هز الطبيب كتفيه .. وهو يبتسم مطمئنا

ـ انت أولا صديق .. ويجب أن أصدقك القول .. فما رايته الآن وما سمعته ، وما تعلمته فى كليه الطب .. يؤكد لى أن القلب الذى فحصته أصبح مجهداً فى حاجة الى الهدوء والراحة ..

أراد الأب أن يقنع الطبيب بأن ابنه الوحيد معافي .. وانه قد شبه له .. وانما يتراءى له .. ربما أعاد الطبيب فحصه من جديد ، فقال فى صوت يائس قد تغيرت نبراته :

ـ كان فى صحة جيدة .. يجرى ويمرح .. ويقفز على ظهور الخيل ..

هز الطبيب رأسه غير مقتنع .. وهو يربت على الصبى .. رافعاً عنه سماعة الكشف :

ـ لابد من الراحة اسبوعين على الأقل .. ثم يعاد الكشف عليه ثانية .. اذ ربما كان العيب خلقيا .. وليس عرضيا نتيجة الجهد الغير عادى الذى لايتحمله القلب .. ثم استطرد مبتسماً :

ـ الحالة ليست الآن خطيرة .. فى الامكان علاجها .. اطمئن ..

نادى الفتى أباه .. وهو يشير اليه بيده ان يقترب ..ولبى الأب رجاء ابنه فى الحال مصغياً :

ـ ألا يمكننى دخول المباراة الأخيرة بالاسكندرية ؟

أجاب الأب وهو يتلفت حائراً :

ـ نسأل الطبيب ..

قال الطبيب فى عناد :

ـ أنا قلت لا ..

وارتدى الصبى ملابسه فى خيبة أمل كبيرة .. وهو يردد فى أسى وذهول :

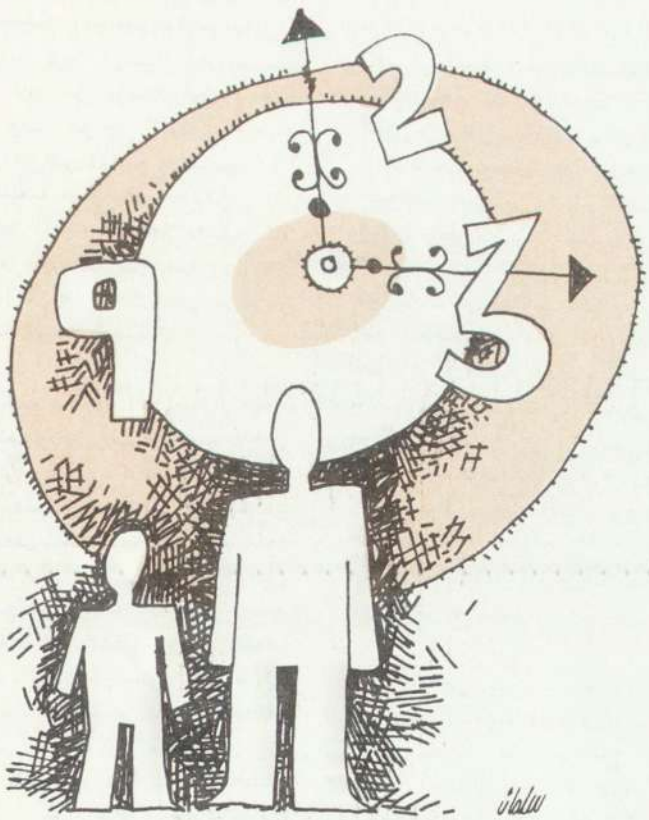
ـ ولكنى لست مريضاً ..

انصرف الأب من عيادة الطبيب ، يصحب ولده الى باب الخروج .. يتحسس خطواته وهو يمشى بجانبه شارد الخاطر .. يتمنى لو يفسح الطريق امامه ، وأن يضعه داخل قلبه اذا استطاع ، وأن يقبل الأرض تحت قدميه ، كان بشعربانه الصغير وولده الكبير .. الأهم .. هو الذى يجب أن يعيش ويتمتع بالدنيا .. لاوجه للمقارنة بينهما .. ايهما أحق بالحياة .. اذا وقع الاختيار ..

اشفق الأب من صمت الفتى .. فساله مترفقا :

ـ هل لابد من الاشتراك فى تلك المباراة ؟

أجاب الصبى فى سرعة وتصميم :





ـ بالنسبة الى حياة او موت ..

وصمت الأب .. لم يتكلم .. تمنى لو تنشق الأرض وتبتلعه رحمة به ، احس كان الدنيا لم تعد من حوله دنيا .. وان عذاب يوم القيامة أرحم بكثير مما يعانيه الآن من عذاب ، فالنار ـ مهما كانت ـ لن تصيب معه ولده الوحيد .. طارقا .. ابدا لم يتصور هذا اليوم .. هذه الساعة .. هذه الصدمة ، التى لم يكن فرط تشاؤمه الدائم فى الحياة ، يصور له عذاباً فى الدنيا أكثر من هذا العذاب ..

وأضاف صمت الفتى اليه عذاباً جديداً .. كان قد غرق فى لجة من التفكير العميق .. كأنه سقط فى جب عميق ، ليس له قرار ، تامله الأب لحظات ، ثم لم يستطع الا ان يسأله متلهفا :

ـ ماذا بك ؟

اجاب الفتى كمن استيقظ من سبات عميق :

ـ أريد أن ادخل هذه المباراة ..

وسقطت كل عذابات الاب ، ليحل مكانها يأس قاطع مرير من الدنيا والبشر ، وامل فى الله وحده سبحانه وتعالى .. فاجاب بعد لحظة .. وكأنه يقامر بالدنيا :

ـ لك ما تشاء يا طارق ..

واندفع الفتى يحتضن اباه فى حماسة بالغة .. وهو يدق على صدره مردداً :

ـ أنا حديد يا أبى .. صدقنى .. لاتشفق على ..

وأحس الأب بقليل من الراحة والعزاء ، حسبه أن يسعد ولده الوحيد ، باية طريقة ، وان يدفع عنه بعض ما يشعر هو به عذاب ، ولكنه عاد فهبطت معنوياته الى الصفر ، وهو يتصور فداحة وحمق المغامرة .. فقال يسأل ولده :

ـ ألا تشكو من شىء ؟

وعاد طارق يحتضن اباه ويقبله .. بينما قد ارتخت يدا الأب بجانبه ، كتمثال بلا روح .. وهو يهمس الى نفسه متسائلا :

ـ معقول أن يخطىء الطبيب فى تشخيصه ؟ ..

ـ اطمئن يا أبى .. انا لست صغيراً ..

عاد الأب الى البيت ، وكان قد قرر أن يكتم الامر عن زوجته ، حتى لا تزيد همومه هماً وحيرة فوق حيرة .. وعندما سالته عن رأي الطبيب .. أجاب بسرعة :

ـ قال انه فى حاجة الى الراحة ..

تساءلت الأم وهى تتامل قسمات وجه وحيدها الوسيم .. وهى تتحسسه فى حب بالغ .. قائلة :

ـ الم أقل لك من زمن انك تبذل فى الفروسية جهداً غير عادى .. اسمع كلامى يا طارق .. ودعك من هذه الفروسية .. وانتبه لدروسك .. هذا افضل لصحتك .. اسمع كلام أمك .. وكأنها بتلك الكلمات كانت تبدى رأياً صريحاً فى زوجها الذى اعتزل الفروسية من سنوات قريبة .. قال الأب .. متغلباً على هواجسه .. حاسماً الأمر :

ـ الطبيب مثلك يبالغ فى الأمر .. وطارق فى الحقيقة سليم معافي .. لايشكو من شىء .. ومضى اسبوع ، وحان وقت الرحيل الى الأسكندرية ، حيث تقام المباراة .. وحمل الأب والفتى حقائبهما الى القطار السريع .. وهبطا فى محطة سيدى جابر .. واستقلا تاكسياً الى نفس البنسيون الذى اعتادا أن يقيما به كل عام .. والفتى سعيد يطير من الفرح ، والأب شارد .. مشغول الفكر .. يخفى بقدر ما يطيق هواجسه واحزانه ..

وفى صباح يوم المباراة . استيقظ الأب على حركة غير عادية بالحجرة ، فتح عينيه ولم يصدق ، هذا ولده طارق خارج من الحمام منتعشاً ، مبتل الشعر ، تامله لحظات وهو يمشي عجولا يثب نشاطاً وعزماً ، فلم يصدق الأب أن ما يراه حقيقة ، بالأمس كان قد دس له قرصاً منوماً فى فنجان الشاى بعد العشاء ، ولم يفطن طارق الى تغيير طعم الشاى بعد العشاء ، .. كيف لم يفعل القرص المنوم تاثيره ؟ فالحبة الواحدة كافية .. عادة .. أن ينام الرجل أربعة وعشرين ساعة .. ماذا جرى ؟ .. وكان يقصد بذلك أن يفوت على طارق موعد المباراة .. ترى هل انتهى القدر من نسج خيوطه الأخيرة ؟ ..

تنبه طارق الى استيقاظ ابيه .. فساله وهو يرتب شعره في المرآة :

ـ هل صحوت يا أبى ؟

اجاب الأب فى خيبة أمل ، وهو يتامل ظهر ولده .. القوى العضلات :

ـ نعم ..

ثم وهو يعتدل جالساً فى فراشه .. يائساً :

ـ ارفع ستائر النافذة ياطارق ..

ونهض الأب من فراشه ، يستعد للخروج مع طارق الى نادى سبورتنج حيث تقام مباراة الفروسية الأخيرة .. ختام الموسم ..

واقترب الأب من النافذة منتظراً أن ينتهى طارق من ارتداء ملابس الفروسية ، وضع الحذاء الطويل « الفيلد بوت » الذى يصل الى ركبتيه فى قدميه ، تلك العمليه التى تحتاج الى جهد ومساعدة فى خلعها ليضا ..

ولم تكن النافذة تطل على البحر .. كانت تطل على اسطح العمارات المجاورة ، منصوباً فوقها حبال الغسيل ، خالية من الملابس .. كان منظراً وحيداً وكئيباً ، فاشاح الأب وجهه ، وارتد عن النافذة يسال طارقا :

ـ هل تريد مساعدة ؟

اجاب طارق وقد أحمر وجهه من المجهود

ـ لا يا أبى .. أشكرك ..

ثم وثب بعد لحظة مستطرداً فى عزم :

ـ هيا .. ياأبى ..

كان نادى اسبورتنج بالاسكندرية فى أوج ازدحامه ، وقمة زهوه ونشاطه .. العامة فى طريق الحرية ـ من غير اعضاء

الفـــــارس

النادى ـ يجذبهم ذلك المنظر ، فيقتربون من فرسان النادى يسترقون النظر ، يتاملون المروج الخضراء بارض البولو مكتظة بالخيل آتية غادية ، راكضة أو متمهلة ، على صهواتها فرسان منتصبو الرؤوس ، فى لباسهم الزاهى المختال .. القبعة السوداء العالية المهيبة ، والجاكيت الاحمر ، وبنطلون الركوب الأبيض .. ثم الحذاء اللامع فى نهايته ذلك المهموز الفضى ، الذى يبرق ويضوى فى أشعة الشمس .. عيد .. كرنفال ـ عادة ـ لايحدث بالاسكندرية كل يوم ..

وبدلا من أن يشعر الأب بجمال ما يرى ، احس بانقباض مفاجىء وهو يلمح « طارقا » ممتطيا صهوة جواده « بحر » .. ذلك الجواد الاجنبى البولندى الاصل .. جواد عال قد يصل ارتفاعه الى مترين .. ولم يكن « بحر » ـ كما يعلم الأب ـ بالجواد السلس القيادة .. كان عنيداً وقوياً .. ولايعد ذلك عيباً كبيراً بالجواد ، بجانب شجاعته وتصميمه أن يجتاز أصعب السدود بدون خطأ واحد .. كان « بحر » يحتاج الى فارس مثله .. قوى قادر وفنان .. عندئذ لابد وان يحصلا معاً على البطولة .. مهما كان الأمر بعيد المنال ..

انحنى طارق للأمام وهو يعتلى صهوة جواده ، ثم انثنى فى رشاقة ليضع قطعة السكر فى فم « بحر » ، الذى التفت نحو قطعة السكر ، والتقطها فى سرعة بشفتية الكبيرتين .. فى حين ربت طارق على ظهر الجواد فى حب واعزاز .. ثم اعتدل يتأهب للتسخين قبل دخول المباراة ..

تأمل الأب ذلك المنظر .. ثم أشاح بوجهه .. وهو يهمس الى نفسه فى عتاب وأسى :

« ما هذا الذى ينوح بداخلى دون توقف

ترى هى حقاً الساعات الأخيرة التى اتمتع فيها برؤية ولدى ؟ .. وبعدها يختطفه المجهول فلا أراه ؟ .. يالضيعة حياتى .. وشقاء عمرى ..

جلس الأب وحيداً مهموماً على مقعد قريب من حلقة المباراة .. لم يشأ أن يجلس بجوار أحد يعرفه ، فيتناول معه أى حديث .. حسبه رفيقاً تلك الأفكار والظنون .. كمن يجلس فى انتظار أن ينفجر اللغم وتنتهى الحياة .. أولا ينفجر اللغم .. فتبدو الدنيا جميلة .. أحلى من حقيقتها ..

اقترب منه أحد الفرسان القدامى محييا .. ثم جلس بجانبه متسائلا :

ـ لماذا تجلس هكذا وحدك ؟

أجاب الأب فى ضيق صدر وهو يشعل سيجارته :

ـ أراقب ابنى طارقا ..

وضحك الفارس القديم .. قائلا :

ـ هل تغضب اذا قلت ان طارقا أمهر منك واقدر على قيادة هذا الجواد ؟

ابتسم الأب فى شحوب .. قائلا وكأنه يدرأ عن فتاه الشر والحسد :

ـ ليته يا أخى ما تعلم الفروسية .. ربما كان ذلك خيراً له ..

وضحك الفارس القديم .. وهو يربت على كتف الأب :

ـ لابد انك تغار منه ..

وابتسم الأب متسامحاً .. وربما موافقاً .. وهو شارد يتلفت حوله كأنه يبحث عن شىء معين .. مما دعا الفارس ان يساله فى فضول :

ـ ما الذى تبحث عنه ؟

فاجاب الأب بسرعة استنكار :

ـ أين عربة الاسعاف ؟

أجاب الفارس بلا مبالاة :

ـ عربة الاسعاف ؟ انها لاتحضر عادة الا عندما تقع الفأس فى الرأس .. وهذا اهمال بالطبع من المسئولين ..

قاطعه الأب وهو يقف فى عصبية .. قائلا :

ـ هذه مخالفة صريحة .. ولابد أن تتوقف المباراة حتى تاتى عربة الاسعاف ..

ابتسم الفارس القديم .. وهو يقول ساخراً :

ـ كل هذا من أجل طارق .. لماذا لم تكن تهتم بهذه الاحتياطات من قبل .. ثم استطرد قبل أن ينصرف :

ـ خليها على الله ..

أجاب الأب بسرعة :

ـ هى على الله .. ولكنها احتياطات لابد منها .. ثم ساخطاً وكأنه من بلد آخر :

ـ لن نعرف الأصول فى هذا البلد ..

فجأة توقفت الموسيقى النحاسية عن العزف ، ودق الناقوس من منصة الحكام ايذاناً ببدء المباراة .. وصدر الأمر باخلاء الأرض من الفرسان .. وأعلن فى الميكرفون اسم الفارس المتبارى .. طارق عبد الحميد .. من نادى الفروسية ..

رفع طارق بيده قبعته ثم وضعها بسرعة ثانية .. احتراماً وتحية وطاعة لهيئة الحكام .. ثم تأهب وسط تصفيق الجمهور لدخول أرض المباراة ، التى غطيت بالسدود المختلفة الاشكال والأوضاع والألوان ..

هب الأب واقفاً متحفزاً بقلب خافق .. غائر فى قدميه .. يارب .. همس بالنداء وهو ذاهل يكاد لايحس بما حوله .. يقاوم رغبة حمقاء أن يخترق أرض المباراة باقصى سرعة .. ويختطف فتاه من فوق صهوة جواده .. ويجرى به خارج الحلقة .. مهما كان ذلك التصرف مجنوناً .. غير لائق أو عادى .. أليس خيراً من أن يفقد وحيده فى لحظة قادمة .. الى الأبد ؟ ..

ثم افاق الى رشده .. يائساً متواكلا .. مدركاً بأنه كان يجب أن يمنعه منذ البداية .. أما الآن فقد انتهى الأمر ..

كان قلبه يتابع الفتى .. ويقفز مع الجواد فوق كل سد .. بانفاس لاهثة .. مضطربة .. لم يكن يصغى الى تصفيق الجمهور الذى كان يصاحب فتاه .. فى كل قفزة بارعة .. كان يتمنى لو ينتهى خط سير المباراة فى ثانية .. أو يتوقف الجواد «بحر» فجأة عن القفز .. فيرد اليه وحيده صحيحاً معافى بغير سوء ..

كأن دهراً قد انقضى حتى وصل الجواد الى السد الأخير ..

وفجأة توقف قلب الأب لحظة عن الخفقان .. عندما شاهد ولده منحنياً يمسك بطنه بيده .. بعد أن اجتاز السد الأخير .. وسط تهليل واعجاب الجماهير .

ثم عاد الى الخفقان السريع كالطير الذبيح .. وهو يترك مقاعد المتفرجين .. وينطلق يجرى كالسهم الى حلقة المباراة .. وهو يهتف في صوت ضائع .. طارق .. ماذا بك ؟ .. طارق ؟ .. تكلم يا طارق ..

أسرع طارق يقول لأبيه مستنكراً مسلكه .. لاشىء يا أبى .. لقد اصطدمت بمقدمة السرج .. شىء عادى .. يحدث لكل فارس ..

وفجأة أظلمت الدنيا فى وجه الأب ، وسقط بلا حراك .. بلا أنفاس .. قبل أن يطمئن على وحيده طارق ..

عبد الوهاب داود

كتاب جديد

الزلزال المدمّر في لبنان من الغزو وحتى المذبحة



غلاف كتاب « الغزو والمذبحة » الذى أصدرته وكالة الأنباء القطرية



عيسى غانم الكوارى
وزير الاعلام

فى إطار الأحداث الهامة التى تمر بالمنطقة العربية ، يأتى كتاب « الغزو والمذبحة .. جريمة القرن العشرين » الذى أصدرته وكالة الأنباء القطرية ، ليسجل لنا ما جرى فى لبنان منذ ٤ يونيو عام ١٩٨٢ ، وهو اليوم الذى يعد من أكثر فصول الصراع العربى الاسرائيلى شراسة وقسوة فغزو اسرائيل للبنان واستخدام ترسانتها العسكرية المزودة بأحدث الأسلحة فى ضرب المخيمات الفلسطينية سيظل حيا فى الذاكرة العربية ، لنستخلص منه الدرس ونتاهب لخطوات المستقبل ..

والكتاب الجديد يستعرض كل أحداث تلك الفترة ، ويقدم لنا كافة الحقائق فى أمانة ودقة ، ليكون مرجعا لكل الباحثين والمعلقين حول تفاصيل الحرب العربية الاسرائيلية فى لبنان ، أو ما أطلق عليه الكتاب وصف : جريمة القرن العشرين !

ويأتى الكتاب فى ٣٥٣ صفحة ، تتصدره مقدمة للأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى ، تليها كلمة من منظمة التحرير الفلسطينية تعبر عن مدى الاصرار والعزيمة على مقاومة الغزو والاحتلال الاسرائيلى الاستيطانى مهما كانت التضحيات ومهما سقط الشهداء ، ثم يستعرض لنا الكتاب فى سبعة فصول أحداث الغزو والمذبحة منذ يوميات الاجتياح حتى احتلال بيروت ومجازر المخيمات ثم مهمة حبيب والجهود الدولية فالتحرك الخليجى ، والمواقف العربية . ويختم فصوله بنبذة وافية عن الجنوب اللبنانى باعتباره البداية الحقيقية للأزمة الكبرى التى اندلعت فى لبنان عام ١٩٧٥ وظلت تتفاقم على مدى سبع سنوات حتى جاء الزلزال المدمر المتمثل فى الاجتياح الاسرائيلى للأراضى اللبنانية ..

وقد أبرز الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى ، فى مقدمة الكتاب ، دور الاعلام أمام الأخطار الكبرى ، ذلك الدور الذى يتلخص فى جمع الحقائق ووضعها أولا بأول أمام الجماهير لكشف المواقف والتنبيه إلى المخاطر وشرح أبعاد ما يجرى من أحداث ، مما يؤدى فى النهاية إلى تكوين وبلورة الرأى العام الذى هو نبض الأمة وضميرها الحى المتدفق ..

وأشار فى هذه المقدمة إلى ما مر بالأمة العربية فى صيف عام ١٩٨٢ ، وكيف كانت أحداث هذا الصيف من أشد ما واجهها من مخاطر واكثرها هولا ، مما لابد وأن يكون له تأثير على مسيرتها لأمد طويل .. وبين أبعاد هذه الهجمة الشرسة قائلا :

« لن يكون هناك أى ادعاء ، فى القول ان الهجمة الشرسة التى تعرضت لها الأمة العربية من جانب العدو الصهيونى ، فى شهر يونيو فى ذلك العام وما تلاه من شهور لم تكن مفاجأة لأحد . فقبل وقت طويل من وقوعها ، وأجهزة الاعلام تكشف وتحذر وتنبه ، وتؤكد أن الهجوم واقع وأن العدو يستعد لاجتياح لبنان مستهدفا ـ أولا وقبل كل شىء ـ توجيه ضربة قاضية للمقاومة الفلسطينية ، وانهاء الوجود الفلسطينى على الأرض اللبنانية ان أمكن ، بل وتصفية القضية الفلسطينية بشكل نهائى . واذا كان هناك من مفاجأة فى احداث ذلك الصيف اللاهب ، فانها كانت فى مقدار ما عمد إليه العدو من عنف بالغ ووحشية قل نظيرها ، ورغبة فى التدمير تنم عن حقد أسود وكراهية متأصلة ليس لها مثيل (فضلا عما يمكن أن يكون قد فاجأ البعض بالنسبة لمواقف بعض القوى الكبرى ـ ازاء ما جرى من احداث ـ وبعض ردود الفعل الدولية) » .

ثم استعرض الأستاذ عيسى غانم الكوارى فى مقدمته الهدف من اصدار هذا الكتاب أمام الاحساس باهمية ما يجرى واثره على الأمة العربية ، وكيف بدأ الفريق الذى كلف باعداد الكتاب عمله الحقيقى فى جمع المعلومات وتصنيفها واعدادها بصورة تجعلنا نرى بوضوح الساحة التى شهدت كل هذا القدر من العنف .

ان كتاب « الغزو والمذبحة .. جريمة القرن العشرين » يعتبر مرجعا وافيا عن الغزو الاسرائيلى للبنان ، ذلك الغزو الذى تصور المخططون له أنه سينتهى بعد ثلاثة أو خمسة أيام على الأكثر فاذا بالترسانة العسكرية الاسرائيلية تواجه أطول حرب فى حياتها كلها .

الأزهار في حياتنا



اذا كان عندك رغيفان بع احدهما لتشترى بثمنه وردا وزهورا

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

يجب أن نتذوق الجمال فى الطبيعة ، وفى المدرسة ، وفى العمل ، وفى المأكل والملبس .. وفى كل حركة من حركاتنا .. وفى كل عادة من عاداتنا ..

ومتى تذوق الناس فى كل مكان صور الجمال ، أصبح الابداع والكمال الفنى فى كل شىء هدف كل مواطن . واذا سار كل منا فى تحقيق الهدف ، وجدنا فى حياتنا مقاييس روحية ومعنوية تقاس بها الأمور والأشياء بدلا من أن نقيسها فقط بمقياس المادة البغيض . وعندئذ يسرى تذوق الجمال فى نفوسنا ودمائنا ، ويصبح قوة تتصدى لمطامعنا المادية والجسدية ، فتهذبها وتدفعها نحو الاعتدال والاتزان .

وتربية الذوق فى النشء وتنمية الاحساس بالجمال أمر واجب فى التربية الحديثة . ومن أنسب الوسائل لتربية هذا الذوق وتنمية هذا الاحساس ، هو ممارسة الشىء لتنسيق الأزهار والصور والتحف والأثاث .

ولما كانت الورود والأزهار والرياحين حولنا فى كل مكان ، وفى متناول كل يد ، كانت من ابسط الأشياء وأسهلها ، لتكون مادة يمارس بها النشء تذوق الجمال ، بمحاولاته العديدة المتكررة فى التوفيق بين أشكال الأزهار وألوانها ، لتكون منسجمة فيما بينها وبين المكان الذى توضع فيه ، بحيث تنتزع من العين اعجابا وتجد فيها النفس البشرية بهجة وراحة ومتعة .

واستمرار ممارسة الصغار والكبار لفن تنسيق الأزهار يخلق عندهم الاحساس بالجمال فى كل شىء .. ويخلق فيهم احاسيس عامة تنفر من كل شىء غير متجانس أو غير منسجم . ومثل هذه الاحاسيس تعينهم أيضا على وضع الأشياء والأمور فى موضعها اللائق المناسب .

ولم نجد شعبا من الشعوب العريقة القديمة أحب الأزهار ، وتعلق بها كما أحبها المصريون القدماء ، وتعلقوا بها . لقد كانت عندهم وسيلة للترحيب بالضيف ، كما كانت وسيلة للتعبير عن الولاء والاخلاص والحب ، كانوا يقدمونها للضيف فرادى أو فى أكليل يوضع حول الرأس والعنق ، وكانت الأزهار خير ما يقدمه الأتباع لسادتهم ، والأفراد لأصدقائهم ، والنساء لأزواجهن ، إذ كانت خير معبر لمعانى الوفاء والاخلاص وكانت النساء اذا خرجن فى زيارتهن وضعن الأزهار فى شعورهن لتزيدهن جمالا وحسنا . وحتى الجثث الفرعونية المحنطة كانت لا تخلو من زينتها بقلائد وأكاليل من الأزهار .

امام هذه العادات أهتم المصريون القدماء بالحدائق وتنسيق النباتات الزهرية حتى تكون موردا لا ينقطع لأزهار يحتاجون إليها فى مناسبات كثيرة .

وكانت الأزهار عند الاغريق والرومان معبرة عن عواطف المحب الولهان ، اذ كان عليه ان يجدد الازهار كل يوم فى عنق محبوبته ، وكان بيت الخطيبة فى أثينا يزخر بالبنفسج وفى روما بالورد ، وكان يوضع على رأس الزوجين تاج من الزهور يعبر عن الشرف والحب ، وكانت هذه التيجان فى أول عهدها تعد من الورود البيضاء والحمراء وبعض اغصان الزيتون ولكن مع مرور الزمن خلطت الورود بالأزاهير المناسبة .

وقد وجد بعض سكان قرى سويسرا فى الأزهار وسيلة تعبر بها الفتاة عن رأيها فى زواجها ، فاذا قبلت باقة من الزهر أصبحت

مخطوبة لمن ارسل إليها هذه الباقة والا فهو غير مقبول عندها . وفى قرى أخرى يضع الفتى القروى وردة فى أناء فوق نافذة من يريد الزواج بها ، ويلصق بها بطاقة باسمه فاذا رأت الفتاة الوردة ، وقبلت الزواج من صاحبها ، انتزعت هذه الوردة من أنيتها ، فاذا ما رأى الفتى ذلك طرق الباب ليطلب يدها من أهلها .

ويعد اليابانيون عيباً كبيراً عـــــدم استطاعة الرجل أو المرأة تنسيق الأزهار ، لهذا نجد من المألوف عندهم أن يقوم الزائرون بتنسيق ما احضروه معهم من زهور بأنفسهم .

والمادة مهما حسن ترتيبها وتنوعت ألوان الطعام فيها ، لا تكمل بهجتها ولا يتم رونقها ، إلا اذا نسقت بأجمل الأزهار وابهجها ، حتى تتغذى العين بحسن التنسيق ، كما تتغذى المعدة بجودة الطعام .

ولعل هذا هو الذى دفع أحد حكماء الصين القدماء الى أن يقول قوله المأثور :

« إذا كان لديك رغيفان فبع احدهما لتشترى بثمنه وردا وزهورا » .

ما أصدق هذا القول .. فبالـرغيفين لا نستطيع غير تغذية البطون .. امـــا لو بعنا احدهما واشترينا بثمنه وردا وزهورا استطعنا تغذية العيون والبطون فى آن واحد .

● ●

وعند تنسيق الأزهار ينبغى أن يتناسب لونها مع اللون السائد فى الغرفة ، فالغرفة التى يسود فيها اللون الأزرق ، لا يحسن تجميلها بأزهار زرقاء اللون ، وكذلك الغرفة التى يسود فيها اللون الأحمر ، لا يناسب اختيار الورود الحمراء .

ويلعب الضوء دوراً هاماً فى تنسيق الأزهار وابراز جمالها ، فكثيراً ما نجد بعض الأزهار أجمل من غيرها ، فى الضوء الضعيف ، بينما نجد البعض الآخر يبدو قوياً جذاباً رائعاً فى الضوء القوى سواء كان هذا الضوء طبيعياً أم صناعياً ، فالورود الحمراء والأزهـــار الزرقـاء والبنفسجية لا يرى كل جمالها وحسنها إذا وضعت فى أركان ضعيفة الاضاءة ، ولكنها إذا وضعت فى مواضع مضيئة ، بالقرب من شرفة أو نافذة تبدت فاتنة ساحرة رائعة ، اما الأركان المعتمة أو الضعيفة الاضاءة فأكثر ما يناسبها الأزهار البيضـــــاء والصفراء والبرتقالية اللون ، إذ تبدو فى هذه الأركان أكثر وضوحاً للعين ، وتبدو هذه الأركان الينا كأنها أكثر اضاءة عن ذى قبل .









اشكال مختلفة للتنسيق تبين طريقة تنسيق الزهور فى خطوط مختلفة واتجاهـــات متباينـــة



الأزهار في حياتنا



ولا يمكن لمنسق الأزهار أن ينجح فى مهمته من غير أن يضع أمام عينيه التناسب بين حجم الأزهار وحجم الآنية ، التى ستوضع فيها ، فما ينبغى أن توضع الأزهار الكبيرة أو ذات السيقان الطويلة فى آنية صغيرة ، كما لا توضع الأزهار الصغيرة أو القصيرة الساق فى آنية كبيرة حتى لا تكون كالصبى الذى يرتدى سترة والده .

ولكى يتم التناسب بين طول الأزهار وحجم الآنية ينبغى أن يكون ارتفاع مجموعة الأزهار بما فيها من أوراق قدر طول الاناء مرة ونصف مرة ، مع مراعاة ألا يزيد على ذلك .

وبجانب تناسب طول الأزهار وحجمها مع طول الآنية وحجمها ، يجب أن يتناسب حجم الآنية بما فيها من أزهار ، مع حجم الغرفة كلها ، فلا توضع آنية كبيرة فى غرف صغيرة ، ولا توضع آنية صغيرة فى غرف كبيرة .

وينبغى ألا تكون آنية الأزهار ملونة بألوان قوية ساطعة أو مطعمة بالزجاج أو العاج أو مرسوم عليها نقوش زاهية ، فمثل هذه الاوانى تطغى على الأزهار فتحتل المكان الأول ، وتجمع الأزهار الموضوعة فيها فى المكان الثانى ، وعموماً يجب عند اختيار آنية الأزهار ان نراعى البساطة والاتساع الكافى والارتفاع الملائم .

ويجب تجنب وضع الأوانى الكبيرة ذات الأزهار الطويلة على منضدة وسط الغرفة حتى لا تحجب رؤية بعض الجالسين عن البعض الآخر .

وأحسن مكان لمثل هذه المجموعة الكبيرة أو الطويلة من الأزهار هو أحد اركان الغرفة .. اما الأزهار القصيرة والموضوعة فى أطباق أو فى أوان قصيرة ، فهى أكثر ملاءمة لموائد الطعام .

وعند تنسيق أزهار مختلفة الأطوال ، يراعى وضعها حسب أطوال اعناقها بحيث تظهر متدرجة ، الأزهار الطويلة من الخلف ثم المتوسطة ثم القصيرة فى الأمام .. وهذا التنسيق يمكن النظر إليه من جهة واحدة ، وهو أنسب ما يكون لتجميل ركن من أركان البيت .

وإذا لم يكن بد من الجمع بين الورود والأزهار ، فينبغى ان تكون الأزهار أصغر حجماً ، على أن توضع فى مستوى منخفض عن مستوى الورود ، حتى لا تطغى هذه الأزهار بكثرتها ووضعها على الورود ، فتسلبها ما فيها من حسن وبهاء ، فما الأزهار فى مثل هذا الوضع سوى وصيفات يحطن بالورود ، وبذلك يتحقق قول الشاعر العربى :

للورد عندى محل
لانه لا يمل
كل الرياحين جند
وهو الأمير الأجل

وفى مناسبة أخرى يقول شاعر عربى آخر :

جمع الورود خصالا
لم تكن فى نظرائه
حسن لون جعل الزهر
ة من تحت لوائه

وتنسيق الجدران بالأزهار يستدعى استخدام الأوعية والأوانى المعلقة أو الثابتة فى الجدران ذاتها .

سواء أكانت الأوانى ثابتة أو معلقة فجانب الآنية الملاصق للجدر ينبغى أن يكون مسطحاً مستوياً حتى ينطبق على الحائط ويكون ملتصقاً بها .

والأوانى المعلقة تكون عادة من الفخار المطلى أو من المعادن المشغولة المزركشة أو من الصاج المطلى . وتعلق أحيانا بخيوط حريرية ذات ألوان جذابة جميلة . وفى الغالب تكون هذه الأوانى المعلقة من النوع الصغير أو المتوسط الذى يعلق على جانبى صورة زيتية أو على جانبى نافذة أو شباك كريتال .

أما الأوانى الثابتة فهذه يعمل حسابها فى بناء الحائط ذاته .. اذ يثبت فى الحائط خوابير تحمل قاعدة من الرخام أو المعدن المزركش أو الخشب المزخرف . ويوضع فوق هذه القاعدة اناء جميل المنظر من الصينى أو من المعدن المطلى الذى « يلبس فيه » إناء زجاجى يوضع بداخله الماء والأزهار . والمنظر السابق يعطى صورة واضحة لتنسيق جدار بانية ثابتة ، ويشترط فى هذه الأوانى أن يكون حجمها متناسبا مع حجم الحائط المختارة له ، وان تكون هذه الأوانى منسجمة فى ألوانها مع الجدار ومع لون أثاث الغرفة ذاتها .

تنسيقات الأزهار فى الأفراح والمناسبات

فى يوم عقد القران وفى ليلة الزفاف ، تعمل « كوشة العروسين » بعد أن يُخْتَارَ لها مكان مناسب ، بحيث يسهل رؤيتها من كل زاوية أو ركن من أركان المكان ، أو تكون فى صدر القاعة التى سيتم فيها الاجتماع ، مع العناية التامة بالمنظر الخلفى واختيار الأشكال والألوان المناسبة للأزهار التى تناسب المنظر الخلفى « للكوشة » .

ويحسن عدم تركيز الجمال فى موضع أو مكان واحد ، بل توزع الأزهار فى مواضع مختلفة ، فى أسبتة صغيرة أو زهريات ، ويراعى فى هذه المناسبة ما يأتى :

١) اذا كانت العروس تحمل الأزهار يجب أن تكون فى صحبة أو مجموعة صغيرة مناسبة لها .

٢) يستحسن أن يكون الأزهار التى تحملها وصيفات الشرف للعروس ذات لون أبيض أو وردى فاتح . و « البوكيهات » تنسيقات للأزهار تقدم فى حفلات الخطوبة والزواج ، كما تقدم فى استقبال الزعماء والأصدقاء والأحباب .. وقد تقدم للمرضى فى المستشفيات تعبيراً عن أحسن المشاعر

ولصنع "البوكيه" توضع الأوراق الخضراء كالفوجير أو الاسبرجس أو الميلالوكا أو الجيبسوفيلا البيضاء على ورق الزبدة وتختار الأزهار المناسبة شكلا ولونا ونبدأ فى وضعها فى الخضرة التى يجب أن يتدلى جزء منها فى الجهة الأمامية للبوكيه ، ليضفى عليه جمالا ويراعى فى ترتيب الأزهار تتابع ألوانها من الفاتح إلى الغامق . ويلاحظ أن سرة البوكيه يجب أن توضع فيها ازهار ألوانها قوية واضحة زاهية ، ثم تربط الأزهار بالرافيا وتغطى بورق السلوفان .. ويربط « البوكيه » عند قاعدته وقد يربط فى البوكيه شريط أبيض أو أحمر ، ويوضع عليه بطاقة المرسل .

د . عز الدين فراج



قف هل تعلم

عبد العزيز السيد المصري

مَنْ أول من استعمل مساحيق وأدوات التجميل "الماكياج" ؟

ما دام الهدف من التجميل هو جعل المرأة تبدو أكثر جاذبية يجب أن تتذكر أن هناك آراء ووجهات نظر مختلفة عن الجمال قد نشأ عنها أنواع مختلفة من طرق التجميل ووسائله فى جميع أنحاء العالم . فالمرأة الافريقية التى تقطع جلدها وتطلي داخل الجرح بطلاء أسود إنما تجمل نفسها وتزيد من جاذبيتها وفق المستوى والذوق الذى ينظر به شعبها إلى الجمال ، وعندما تدلك امرأة من الاسكيمو جلدها بالشحم والدهن فانها تتزين بالجمال الذى يروق الاسكيمو .

وأول شعب كان مستوى نظرته للجمال يماثل تلك التى ننظر بها إليه اليوم كان شعب مصر فقد كانوا يعجبون بالشعر الجميل اللامع وكانوا يفضلون أن ترسم السيدة شفتيها بدقة وأن تحدد حاجبيها ورموشها بشكل ظاهر جذاب وكان يعجبهم جمال المظهر وصفاء البشرة والقوام الرشيق . ونتيجة لهذا كله كان للسيدة المصرية أدواتها ومساحيقها وعطورها التى لا تختلف كثيراً عن تلك التى تستعملها السيدات اليوم فقد كانت تستعمل طلاء حواجب أسود وأخضر وكانت تستخدم أحمر الشفاه أكثر من مرة فى اليوم وتصبغ خديها وشفتيها وجفونها حتى أنها كانت تكسو رموش عينيها بمرهم عطري لتبدو أطول . وكان بعضهم يستعمل خمسة عشر نوعاً من العطور فى وقت واحد .. وكان من عادة السيدة المصرية أن تحمل زجاجات عطور صغيرة مخباة فى ثيابها .

وكان الشعب اليونانى القديم هو الذى يلى الشعب المصرى فى استعمال أدوات ومساحيق التزيين فلم يقتصروا على استعمال أنواع كثيرة من العطور ولم يصبغوا شفاههم فقط ولكنهم استخدموا دهوناً خاصة تجعل شعورهم شقراء .

وعندما هزم الرومان اليونان أخذوا معهم أخصائيي الجمال الأغريق وهكذا حصلوا على أسرار صبغ الشعر والغسول الخاص بالوجه ، وغذاء الجلد الضرورى للاحتفاظ بجمال المظهر ونقاء البشرة ، وصبغة أظافر اليد .. الخ .

وقد شاع طراز الشعر المموج بين الرومان حتى بين الفتيان الرومانيين . وكانت سيدات الرومان قديماً يصنعن أقنعة من طين التجميل ليحصلن على جلد ناعم نقي تماماً كما تفعل سيداتنا العصريات فى صالونات التجميل الباهظة التكاليف .

كيف اكتشفت عوامل الوراثة ؟



ينتج كل كائن حي سواء أكان حيواناً أو نباتاً ذرية من نوعه أو فصيلته ليس غير .. وهذا إنما يحدث بسبب الوراثة .

وذرية كل والدين لا يتحتم أن تكون لها نفس الخواص التى للوالدين مثل الهيئة واللون والأحوال البدنية والعقلية .. وهذا الاختلاف يأتى أيضاً من الوراثة .

الخواص الوراثية هي خواص تتكون من شيء ما يوجد داخل الطفل منذ اللحظة الأولى التى تدب فيه الحياة .. ويرجع الفضل فى اكتشاف الحقيقة الأولى التى نشأت عنها جميع معلومات علم الوراثة الحديث إلى الراهب الاسترالى جريجورى منديل الذى عاش فى منتصف القرن التاسع عشر .

كان « منديل » يجرى تجارب على « البسلة » فى حديقته ، فاكتشف أن فى البذور التى فى الزرع الأب عدداً كبيراً من العوامل المختلفة تعمل بانظمة معينة لتسيطر على الشكل الذى ستبدو عليه بذور « البسلة » الناضجة .

نحن نسمى هذه العوامل الآن « الجينات » ولكن ذلك لم يحدث إلا سنة ١٩٠٠ بعد موت منديل بستة عشر عاماً ... فقد أيقن علماء آخرون أن النتائج التى توصل إليها « منديل » كانت بالغة الأهمية وسموا اكتشافه « قوانين مندلين » .

لماذا يبدو داخل الأرض ساخناً ؟

يتكون سطح الأرض من قشرة صخرية يبلغ سمكها من عشرة إلى ثلاثين ميلا ، وكلما نزلنا ١٣٠ قدماً فى عمق الأرض زادت الحرارة درجة واحدة . فاذا وصلنا إلى عمق ميلين من سطح الأرض كانت درجة الحرارة كافية لجعل الماء يغلى . فاذا أمكننا أن نحفر ٣٠ ميلا فى باطن الأرض فان درجة الحرارة تصل إلى ١٢٠٠ درجة وهى درجة كافية لصهر الصخر ، ويعتقد العلماء أن درجة الحرارة عند مركز الأرض تبلغ ٥٥٠٠ درجة « سنسجريد » .

أما قشرة الأرض فتتكون من طبقتين : الأولى وهى التى تتكون منها القارات فانها من الجرانيت ، وتوجد تحت طبقة الجرانيت طبقة سميكة من الصخر الأسود شديد الصلابة يسمى « البازلت » وهذه الطبقة هى التى تساعد على تكوين القارات وتشكيل الأحواض التى تمسك مياه المحيطات .

ويعتقد أن هناك عند مركز الأرض كرة هائلة من الحديد المصهور يبلغ قطرها ٤٠٠٠ ميل .

كيف حدث أن مركز الأرض صار هكذا ؟ بناء على أحدث النظريات العلمية يعتقد أنه كان هناك نوع من الصلة بين الشمس والأرض .. فمعظم العلماء يرون أن الأرض كانت كتلة دائرة من الغاز والسائل أو المواد الصلبة التى بدأت رحلاتها المنتظمة حول الشمس .. وبمرور الزمن أخذت هذه الكتلة الساخنة تبرد .. وبدأت الكتلة الضخمة تنكمش لتصير أصغر فأصغر بسبب دورانها ثم بدأت تأخذ شكل الكرة ببطء .. كانت حمراء ساخنة .. وعلقت فى مدارها بجاذبية الشمس .

وعندما بردت الأرض تكونت قشرة صلبة على سطحها ولا أحد يدرى كم استغرق ذلك من ملايين السنين .. ولكن بقي هناك فى أعماق الأرض نواة ملتهبة هى مركزها ..

وما زالت هناك حتى اليوم .

صباح مبكر

قصة قصيرة بقلم : محمود الوردانى

ثم انحرفنا بجوار الحنفية المقامة فى ظهر الحوش الذى يسكن إلى جواره عم « وطنى » ، ورحنا نصطدم بالناس الذين يدورون ، بعيداً عن بقع الماء التى تجمعت فى السكة الضيقة . آنئذ ـ عرفت اننا اقتربنا ، ورحت أشم رائحة التراب القوية التى ليس مثلها أى رائحة . كانت أمى تحمل الحقيبة ، وكنت أنا و « منى » أختى نحمل الخوص ، ونركض خلفها . وعندما انتهينا الى المنحدر ، رحت أشاهد أشباح بائعات الخوص المنحنيات بملابسهن السوداء فى الضباب الخفيف بجوار الاتوبيسات الحمراء الداكنة ، التى كان الناس يهبطون منها ويروحون يركضون على الفور . وبانت التلال البيضاء هناك ممتلئة بالناس المتزاحمين الذين يملأون الشارع بكامله ، وقد ارتدوا ملابس سوداء مثل أمى ، دون أن يستطيعوا إلا أن يتحركوا ببطء شديد ، ملتصقين ببعضهم ، وأنا أراهم يغيبون رويداً داخل الكوبرى الغائم أسفل التل القريب .

جعلنا نسير بين الشواهد ، ووسط الناس الذين جلسوا كل جماعة حول واحد فقط من هذه الشواهد . وكان بعض الناس يعرفون أمى ويقولون لنا « كل سنة وأنتم طيبين » ، وكانت أمى ترد ، ونحن نركض خلفها ، وحتى انحرفنا أخيراً داخل الحوش الخشبى الداكن .

كن جالسات ، قريباتنا ، على الحصيرة وظهورهن الى الحاجز الخشبى الذى يفصلهن عن أقربائنا الرجال الجالسين فى الناحية الأخرى . ولقد فعلت انا مثلما فعلت أمى . وقفنا أمام الشاهد وجعلنا نقرأ الفاتحة . وكنت أعرف انها تبكى الآن . وعندما انتهينا ، ربتت علينا بيديها الاثنتين ، فيما جعلت انا أفك حزمتين من الخوص ، وانثرهما على قبر أبى ، كى أشم رائحة الورد العطن المختلط بالتراب الناعم .

لقد تراجعت أمى ، وراحت تسلم على النسوه وهن ينظرن الينا . وقالت عمتى « أفكار » : « أهلا يا حبيبتى .. » . ومدت يديها إلى منى . وهكذا ، جعلنا انا ومنى أختى ننحنى على قريباتنا ، وهن يقبلننا ويهمسن . كانت أمى قد خلعت حذاءها ، ثم انها توقفت قليلا ، دون ان يفسحن مكانا بينهن ، ومضت الى الطرف القصي المواجه للباب ، عند نهاية الحصيرة ، ودون أن تنظر ناحيتهن . على أننى حملت حزمة الخوص الباقية ، وبينما كنت اعبر الى الحجرة الأخرى ، رأيت السحارة الغامقة المتربة راقدة فى الطرف الآخر ، وقلت لنفسى اننا الآن لم نعد نأتى سوى فى العيد الصغير والعيد الكبير فقط . لكننا فى البداية ، كنا نأتى اليه وحدنا ، دون ان نجد ناساً كثيرين مثلما فى العيد . تفتح أمى السحارة وتضع فيها البطاطين والحقائب ، وعندما يرانا عم « وطنى » ، كان يحضر لنا الحصيرة والقلة . وتطلعت اليها ، كانت جالسة على طرف الحصيرة ، بينما تكومت النساء الأخريات ـ وهن يمددن سيقانهن المغطاة بالجوارب السوداء الشفافة ، ويملن على بعضهن ويهمسن .

فككت حزمة الخوص ، وجعلت أقرأ الفاتحة أمام الشاهد الآخر . وخطوت تجاه الرجال ـ الذين جلسوا على الطاولتين الخشبيتين الملتصقين بالجدارين القريبين : عمى فؤاد وعمى فكرى وعمى ممدوح وناس آخرون . كان البعض ينحنى ويقبلنى ، وعندما أسلم على أى رجل ، فاننى لا أعرف ما اذا كان سوف ينحنى ويقبلنى ، أم انه سوف يتركنى أمضى . ومالبثت منى أن اطلت عبر الباب وهى تبتسم ، غير ان عمى فؤاد راح يبتسم هو كذلك ويشير اليها .

وسمعتها تنادى من الحجرة الأخرى ، وخرجت . كانت النسوة الصغيرات مثل بنات عمى فاطمة ودلال ودرية ، كن لا يعرفن كيف يجلسن لأن ملابسهن ضيقة وكانت عيونهن محمرة وهن يبتسمن لى ، وانا أعبر بجوارهن . قالت أمى : « نادى على الشيخ علما يا مصطفى .. » . كانت تبكى الآن دون صوت ، وهى تفتح حقيبتها وتخرج الشريك والبلح ، بينما كان الناس الذين يقولون « الرحمة » قد بدأوا يطلون .

إننى أركض بين الشواهد الممتلئة بالناس والأولاد الذين كانوا يلعبون بصوت عال وهم يطاردون الكلاب . كان الشيخ الذى صوته حلو يخب هناك عند حوش عائلة زوجة عمى عبد الحميد . وصحت انا : « يا عم الشيخ علما .. يا عم الشيخ علما .. » .

عندما عدت ، كانت منى منحنية على أذن أمى ، التى كانت تعدل لها ذيل الحصان . وبعد أن ينتهى ذلك ، ويبدأون فى النهوض ، سينحنون ويسلمون علينا ، ويضعون العيدية فى جيوبنا أنا ومنى ، وما نلبث أن نمضى نحن فى نهاية الأمر ، لنعود فى العيد المقبل ، دون ان نرى منهم سوى عمى ممدوح ، الذى نذهب إليه مرة كل شهر لناخذ منه النقود بعد أن تكتب أمى اسمها على الورقة التى يعطيها لها . لكننى تذكرت ان أقرباءنا هؤلاء لم يعودوا يأتون بأولادهم ، الذين كانوا يتركون الشاهد ويركضون الى الخارج ويلعبون وحدهم .

وتخطيت الحاجز إلى الحجرة الأخرى ، لأجلس هناك عند الرجال ، حيث قبر جدتى وعماتى وكل النساء الأخريات اللائى كن قدمتن . وجعلت أسمع الناس الذين يقولون الرحمة ، حتى أتى عم الشيخ علما وراح يقرأ هناك عند قبر ابى والرجال الآخرين .

بعد ذلك ، كانوا ينتظرون حتى ينتهى عم الشيخ علما ، ثم يصيح واحد : « أكمل يا شيخ علما .. » . كانت الأصوات ما تنفك تطلع رويدا ، ثم اننى رحت أميز صوت بكاء النسوة فى الناحية الأخرى ، وهن يذكرن أسماء الرجال والنساء الذين ماتوا . وما لبثت إلا قليلا حتى انفجر الصراخ والبكاء ـ مثل كل مرة ، خافتا اول الأمر ، ثم ينقلب فجأة الى صراخ طويل قوى . ورغبت فى النهوض والذهاب إلى أمى هناك ، غير أن عمى فكرى قام واقفا وراح يزعق وهو يمد وجهه تجاههم دون أن يكفوا .

سمعتها تنادينى . وقمنا انا ومنى ، ليسلم علينا هؤلاء الرجال القاعدون ، ويضعوا العيدية فى جيوبنا ، قبل أن نمضى .

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● تمثال لبافلوفا ●● أرض السعداء ●●● هل ألف شكسبير رواياته ؟ ●●●● حيرة العقل

تمثال لبافلوفا

من أنباء لندن أنه سيقام فى احدى حدائقها تمثال بديع للراقصة الشهيرة بافلوفا ، وقد أوصت بصنع هذا التمثال لجنة من محبى الفنون فى لندن حيث عاشت الراقصة الشهيرة حيناً من الدهر ، وعهد بصنعه إلى المثال السويدى الكبير كارل ميلس ، وستبلغ نفقاته ثلاثين الف جنيه ، وتقرر أن يقام فى بستان ريجنت فى حديقة الورد ، وهى تقع إلى جانب بركة البجع ، وهو الطير الذى أوحت حركاته إلى بافلوفا باشهر وأروع رقصاتها المسماة « رقصة البجع » . وتعول اللجنة على جمع المال المطلوب من إيراد « فيلم » يمثل حياة بافلوفا فى طائفة من أبدع رقصاتها ومنها « رقصة البجعة المحتضرة » ، وقد أخذت هذه المناظر قبل وفاة بافلوفا بقليل واشترك فيها مع الفنانة الشهيرة بعض كبار الراقصين الذين عملوا معها .

وتمثل حياة بافلوفا وحدها طوراً من أعظم أطوار الفن الراقص ، وقد ولدت هذه الراقصة المبدعة فى بتروجراد فى سنة ١٨٨٥ ، وتعلمت الرقص فى بعض مسارحها ، ولم تبلغ العاشرة من عمرها حتى ذاعت شهرتها وتقدمت فى سبيل المجد والرياسة الفنية بسرعة مدهشة ، وكانت فنانة رائعة الابتكار ، وعلى يدها دخلت أوضاع « الباليه » الراقصة فى طور جديد وبلغت ذروتها من الافتنان والروعة . وكان الفن لديها الهاماً وسمواً . وقد طافت عواصم العالم الكبرى مثل لندن وبرلين وباريس ونيويورك ولقيت فيها جميعاً فوزاً باهراً . وقدمت إلى مصر سنة ١٩٢٩ ففتنت المجتمع المصرى برائع فنها ولاسيما برقصة «البجعة المحتضرة» وتوفيت سنة ١٩٣١ فى مدينة لاهاى وطويت بوفاتها صفحة من أروع صفحات الفن الحديث .

أرض السعداء

يوجد بين جزائر المحيط الهادى التابعة لانكلترا جزيرة صغيرة يصح أن تسمى بالجزيرة السعيدة . وتسمى هذه الجزيرة « جزيرة تونجا » وهى احدى مجموعة جزائر « الاحباب » التى وقف بها الرحالة الشهير « كابتن كوك » أثناء طوافه فى أواخر القرن الثامن عشر بهذه المياه الخطرة . وحاكم هذه الجزيرة زنجى يسمى البرنس « توفا أهو » وهو شاب فى الثامنة عشرة ولكنه طويل القامة جداً ، وهو يدرس الحقوق فى ملبورن . ووجه الرضى والسعادة فى « تونجا » هو أنه ليس بها فقير ولا معوز ولا تدفع فيها ضرائب . وكل فرد من سكانها يبلغ السادسة عشرة يعطى أرضاً مساحتها نحو ثمانية فدادين ومسكناً قروياً ، أو بعبارة أخرى تُهيأ له كل أسباب العيش والرخاء .

وقد استبدلت ضريبة الدخل بجعل سنوى قدره جنيهان يدفعه كل ذكر بالغ ، ولكنه ليس بضريبة فى الواقع لأنه يخول له مقابلة أن يعالج مجاناً هو وأفراد عائلته فى مستشفى الحكومة ، ومعظم ايراد الحكومة يجبى من الجمارك وضريبة السيارات . ويكفل التعليم الحر بوجود المدارس الابتدائية وهى كلها مجانية ، وهناك كليتان صغيرتان . ومن مفاخر هذه الجزيرة النائية التى لا يجاوز سكانها ثلاثين الف نفس أن ليس بها أمى واحد .

سنة ١٩٣٥

هل ألف شكسبير رواياته؟

بقلم: جريس القوس - ١٩٣٥

أخي ح . ش .

كتبت إلي تسالني أن اجلو لك حقيقة هذا النابغة ، الذى على سعة شهرته وذيوع اسمه فى مختلف الأزمان والبلدان ، مازال مبهم الشخصية ، مجهول الهوية ؛ وما فتىء الكثيرون من الأدباء فى انكلترا وفى امريكا يرتابون فى أمر تاليفه الروايات المنسوبة اليه ؛ فتراهم فى كل حين يكتشفون لها مؤلفا جديداً غير شكسبير ، مؤيدين اراءهم باقطع البراهين واقواها .

ولقد بلغت هذه المسالة من الاهمية وخطورة الشان ما جعل الأدباء ينقسمون الى مدرستين ، الأولى تنتصر لشكسبير وتعضده وتعرف بمدرسة مستقيمى الراى (اورثوذكس) بينما الثانية هى اللاستراتفوردية Anti - Stratfordian نسبة الى ستراتفورد قرية شكسبير ومسقط راسه ـ تجرده من كل صبغة أدبية ، وتتهمه بضعف الارادة والجهل فهى لا تود أن تنسب هذه المؤلفات الرائعة الى امرىء كشكسبير وضيع النسب ، نشا نشاة الوضعاء من عامة البشر ، فلم يلتحق بمعهد عال أو يتفقه على مدرب كبير .

إنه لمن العار بل من الحرام ـ على رايهم ـ أن تنشا العبقرية فى الأكواخ ، وانه لمن الشائن المزرى إذن أن تعزى هذه الروايات على ما فيها من روعة وجلال الى شكسبير العامى القروى . فى ذلك يتفق اصحاب هذه المدرسة ، غير انهم يختلفون فى امر مؤلفها .

أما أول الأدباء الذين نسب اليهم تاليف روايات شكسبير ففرنسيس بيكون Francis Bacon (١٥٦١ـ١٦٢٦) الفيلسوف الانكليزى الشهير ، واول واضع أسس النظرية البيكونية Baconian Theory فهربرت لورانس Herbart L'awrence إذ الف سنة ١٧٦٩ كتاباً سماه (مجازفات فى



شكسبير

الذوق السليم) Adventures in Common Sense ، بيد أن هذه الآراء لم تثر اهتمام الأدباء ولم تحرك لهم ساكنا مدة نصف قرن او اكثر . بعد ذلك لقيت لها أنصاراً عضدوها بالمؤلفات العديدة ، منهم ج.س. هارت J. C. Hart فى كتاب الف سنة ١٨٤٨ ، وفى مقالة موضوعها « من الف روايات شكسبير ؟ » نشرت فى التشمبرز جورنال Chambers' Journal ومنهم و.هـ. سمث فى رسالة بعث بها الى لورد اليسمير Ellesmere موضوعها «هل الف بيكون روايات شكسبير ؟» ومنهم أيضا الكاتبة ديليا بيكون Delia Bacon فى كتاب اسمه «كشف القناع عن فلسفة روايات شكسبير The philosophy of the plays of Shakespeare identified وقد ظهر مؤخراً غير هؤلاء فى انكلترا وفى امريكا كاللورد بنزانس وسر.ت. مارتن ، وج. قرينود وغيرهم من مشاهير الأدباء وكبار النقدة ممن عززوا النظرية البيكونية ، وحملوا على شكسبير حملة كادت أن تمحو اسمه محواً وتدحر جيش أنصاره دحراً .

ويبنى معظم أنصار بيكون حجتهم على النقط التالية :

(١) إن سر توبى ماتيوس Sir Tobie Mathews بعث سنة ١٦٢١ برسالة الى بيكون يمتدحه فيها ويعده «أنبغ من أنجبت انكلترا ، ومن عاش على هذا الجانب من البحر ، فى العصر الحاضر» .

(٢) إن فى روايات شكسبير بعض فقرات ومفردات تدل على تبحر مؤلفها فى العلم وتعمقه فى الفلسفة والقانون مما لا يمكن أن يعزى الى شكسبير كما يظهر فى ترجمة حياته المعروفة .

(٣) إن فى روايات شكسبير مشاهد وأبياتا تشهد بأن ناظم عقدها ارستقراطى النزعة والنشاة . مثال ذلك أنه : يسخر بالرعاع ، ويزدرى عامة البشر فى كل من «يوليوس قيصر» و «كور يولانس» سخرية وازدراء لا يمكن أن يصدرا من شكسبير القروى الوضيع النسب ، إن ذلك إلا مظهر من مظاهر نبذ الارستقراطية للعامة وكراهيتها لها ، واعتزازها برجالها وفى مقدمتهم بيكون .

(٤) أما اخر هذه البراهين ، والذى عليه يبنى جميع خصوم شكسبير ، على اختلاف اشخاصهم اراءهم واعتقادهم الراسخ فى أن شكسبير على ما فى نسبه من ضعة ، وفى نشاته من حقارة ، وفى علمه من نقص ، وفى خلقه من مغمز ، وفى حياته من غموض وإبهام ، لا يمكن أن يكون مؤلف تلك الروايات الخالدة ، التى تشهد لصاحبها بعبقرية تفوق كل عبقرية ونبوغ هو فوق كل نبوغ ، كيف يمكن هذا ، مادام هناك بيكون الفيلسوف الكبير ، والنابغة الفذ الذى شغل أهل زمانه ، وملأ اسماعهم وأبصارهم ؟

ويأخذ أنصار شكسبير هذه الحجج ويفندونها واحدة واحدة . فيقولون ـ مثلا فى الرد على الحجة الأولى إن (سر توبى ماتيوس) لم يعن فى رسالته بيكون الفيلسوف ، وإنما عنى راهباً يسوعياً آخر اسمه طوماس ساوزويل Thomas Southwell كان يعرف بلقب بيكون . مع كل هذا يرى أنصار شكسبير ـ مسلمين جدلا بأن سر توبى يعنى الفيلسوف بيكون ـ أن ليس فى هذا ما يدل كل الدلالة على أن بيكون إنما هو مؤلف روايات شكسبير . إن هى إلا العاطفة ، عاطفة الصداقة العمياء هذه ذات التعميمات والأحكام الجارفة .

أما فيما يخص الاشعار فليس فى البقية الباقية من شعر الفيلسوف بيكون

ما يدل على انه شاعر بالمعنى الصحيح ، ذلك الشاعر الفذ الذى يمكن أن يعزى اليه نظم تلك القطع الرائعة التى تتخلل معظم رواياته وخاصة الأخيرة منها .

هذا أما المفردات أو الفقرات العديدة الواردة فى روايات شكسبير والدالة على تبصر فى العلم وتبحر فى الفلسفة والقانون وإلمام باغلب الفنون فلم تكن مقصورة على شكسبير أو على بيكون وحدهما . فقد كانت بحق ملك جميع المؤلفين فى عصر اليصابات وبالأخص الأخير منه . إذ شاع فيه التقليد والنسج على منوال الأولين . فالذى يجوز لنا الارتياب فى أمر تاليف شكسبير لهذه الروايات على هذا الأساس الواهى ، يجوز لنا أيضاً الاشتباه فى غيرهم من الكتاب والشعراء .

وعلاوة على هذا يرى أنصار شكسبير أن ليس فى هذه الروايات ما يدل على إلمام واسع بالعلوم والفنون أو تعمق فى الفلسفة والقانون ، إلماماً وتعمقاً يصح معهما أن ينسب تاليفها الى بيكون صاحب النظريات الفلسفية الخالدة والنثر الأدبى الرائع .

أما القول بان مؤلف هذه الروايات لابد أن يكون ارستقراطى النسب والنزعة كما يظهر من شعوره نحو الرعاع وخصوصاً فى «يوليوس قيصر» و «كور يولانوس» فليس بالقول الذى يعتمد عليه فى بنيان مثل هذه النظرية وتحقيقها . إذ ما روايات شكسبير إلا مملكة كبيرة ، فيها الملوك والنبلاء ، والرعاع والعلماء ، وفيها الجنود والصناع ، والأرواح والآلهة ، كل منهم يفكر ويقول ويعمل حسب طبيعته ونزعته ، وعلى قدر قوته ومعرفته ، غير مقيد برأى الشاعر أو عقيدته الخاصة . بذا يمتاز شكسبير عن (برونتج) خاصة وعن باقى الشعراء والكتاب عامة . فما الرعاع فى الحقيقة إلا من هذا البشر الذى توخى شكسبير فى تصوير طبيعته ونفسيته الصدق والعدل .

هذا بعض مما يقوله أنصار شكسبير فى الرد على خصومه ، غير أنهم لا يقفون عند هذا الحد ، بل يوردون الحجج الايجابية الدامغة التى تؤيد آراءهم كل التأييد . من ذلك قولهم إن حياة شكسبير ليست محاطة بالابهام كما يظن خصومه . فلو استعرضنا تراجم معاصريه من الأدباء لالفينا فى جميعها ـ اللهم إلا من اتصل منهم بالسياسة أو القانون وكان له فيها شان كبير ـ غموضاً وإبهاماً يساويان إن لم يزيدا ، ما فى ترجمة حياة شكسبير من غموض وإبهام .

ويرى انصار شكسبير ايضاً أن لديهم تقارير عديدة تدل على اتصال الشاعر بالمسرح وانشغاله باموره مدة ليست باليسيرة . وفى بعض رواياته نلمح ما يدل على إلمام الشاعر بفن المسرح ودقائقه . يحضرنا من ذلك ـ على سبيل التمثيل ـ ما جاء على لسان هملت فى تلقينه الغلمان سبل الالقاء والتمثيل تلقيناً يشهد له ـ أى لشكسبير ـ بطول الباع فى هذا الفن . وليس فى ترجمة حياة بيكون الضافية ، ما يدل على ولوعه بالتمثيل أو كلفه بالمسرح .

أما ادعاء خصوم شكسبير أن ما فى رواياته من مفردات فى القانون ، يكفل لبيكون ـ وهو بالطبع قانونى ـ تاليفه الروايات لحجة واهية ، من السهل دحضها . فقد كانت لندن فى عصر اليصابات تكتظ بطلاب الحقوق هواة المسرح ، فكان لشكسبير فى ذلك فرصة سانحة لمجالستهم والاستماع الى احاديثهم التى تدور ، فى أغلب الأحيان ، حول القانون . هذا عدا تجاربه واختباراته فى هذا الفرع كابن أحد الملاك أو التجار .

ومن البيانات الواضحة التى يعتمدها أنصار شكسبير فى الرد على خصومه ،

بيكون



ورود اسم شكسبير مع التعليق على فنه فى بعض النسخ الأولى من رواياته مفردة Quartoes ومجموعة First Folio وفى مجموعة صونيتاته Sonnets ومذكرات معاصريه ، وخاصة فرنسيس ميرز Francis Meres افى كتابه « بلادس تيميا Palladis Tamia وروبرت جرين Robert Green فى تهكمه اللاذع على شكسبير ، وفى قصيدة بن جونسون Ben Jonson التى فيها يخلد «وزة افون» Swine of Avon

وقد ظهر مؤخراً غير بيكون مرشحون آخرون لروايات شكسبير ، منهم «لورد رتلند الخامس عشر Lord Rutland 15th ومنهم كونت دربى Derby ولكن أحدثهم ظهوراً وأشدهم خطراً على الممثل الستراتفوردى ديفر ايرل أوف أوكسفورد السابع عشر . فقد وضع ج . طوماس لونلى Loonly سنة ١٩٢٠ كتاباً فى هذا الموضوع سماه «إثبات شخصية شكسبير فى دى فير ايرل أوف أوكسفورد»

وآخر كتاب ظهر فى هذا الموضوع هو لمونتاجو دوجلاس Montagu Douglas رئيس جمعية أدبية (١) أخذت على نفسها معاضدة دى فيرودحض آراء انصار شكسبير . فقد وضع كتاب « إيرل أوف أوكسفورد لشكسبير The Earl of Oxford as Shakespeare. وهو يجمع باختصار كل ما يمكن أن يقال فى هذا الأديب كمؤلف للروايات المنسوبة لشكسبير .

أما النظرية الشيخزبيرية (٢) فما هى فى الحقيقة بنظرية ، وإنما هى خرافة أكبر عامل فى خلقها التشابه الظاهر بين اسمى الشيخ زبير وشكسبير . ليس هذا فحسب بل إن علاقة شكسبير الغرامية مع «السيدة السمراء» The Dark Lady ويظن بعضهم انها مصرية ـ وحبه للخيول وخاصة خيول رواد المسرح وما فى رواياته من امتداح لجزيرة العرب وتغن بسمائها وطيرها «فونكس Phoenix وزهرها وشجرها ، كل هذه بعض من الشواهد التى قد يتخذها هواة النظريات أساساً للنظرية الشيخزبيرية .

ولقد غرب عن بالى أن أذكر لك أن من الأدباء من يعزو الى شكسبير تاليف نحو أربعين رواية أخرى ، ومنهم من يرى أن شكسبير لم يؤلف كل رواياته ، بل شاركه

هل ألّف شكسبير رواياته؟

في ذلك كتاب آخرون كبيمونت وفليتشر ، وخاصة في «تيطس ادرونيكس» وثلاثة أجزاء : «هنرى السادس» ، و «تيمون أثينا» و «بيركليس» ، و «هنرى الثامن» .

هذا عرض موجز لما يمكن أن أخبرك به في هذا الموضوع ، ولا أنكر عليك أنني بعد دراسة حجج الفريقين وتمحيصها بكل دقة ـ أراني ميالا كل الميل الى المدرسة الستراتفوردية . ولا أشك في أن النجاح سيحالفها ، مهما وجه اليها من نقد لاذع ، ولشكسبير من تهم هو برىء منها .

جريس القسوس

الكرك : شرق الأردن .

هوامش

١ ـ Shaheapearean Fellowship

٢ ـ نسبة إلى الشيخ زبير .

مصادر المقال :

1. Neilson and Thorndike's The Facts about Shakespeare.
2. Harvey's Oxford Companion to Eng. Literature.
3. Prof. Byron Smith's Lectures on Shakespeare.
4. Douglas' M. W. The Earl of Oxford as Shakespeare.
5. The Encyclopedia Britanica, (Shakespeare).
6. J. Qusus' Shakespeare and Sheik Zubeir.

حيرة العقل..

بقلم : إبراهيم عبد القادر المازني ـ ١٩٣٧



ابراهيم عبد القادر المازنى

أراني في هذه الأيام لا أكاد أعرف لي رأيا في شيء لا لأني كففت عن التفكير فلعل الأمر على خلاف ذلك ، وعسى أن أكون مسرفا في النظر والتدبر وفي التماس الوجوه المختلفة للأمر الواحد الذي يعرض لي ، وإنما ترجع حيرتي الى أن إطالة النظر تكشف لي كل يوم عن جديد ، والى أن تدبر النواحي المختلفة تجعل الجزم عسيراً ، وتغري بالتردد ، وتدفع الى الشك ، ومن طال وزنه للأمور وتقصيه لوجوهها وتامله في البواعث والاحتمالات قل بته ـ وعمله ـ أيضاً ـ لأن العمل يراد منه الغاية ، فلابد من المجازفة والتعرض لعواقب الخطا من بعض النواحي . وكل رجل عمل يضطر الى الأخذ بالأرجح فيما يرى ، وإلا تعذر عليه العمل بل استحال . ورجال الحرب والسياسة والمال والتجارة ومن إليهم لا يسعهم إلا المخاطرة لأن غايتهم ليست الاهتداء الى الحقيقة بل بلوغ الغرض . وكثيراً ما أراني أسال نفسي لفرط ما أرى من ترددي وحيرتي ، «هل أصبحت غير صالح ؟» ولا يسرني ذلك فأروح أقول إن قدرة النفس على التكيف لا حد لها فيما أعرف ، وإن العمل الذي يحوج الى سرعة البت والجزم بلا تردد يضطر المرء الى النزول على مقتضياته ، وما أكثر ما تكون مواهب الانسان كامنة ، فلا يظهرها إلا انتقال الأحوال به ، وأنا مع طول ترددي بين الآراء أراني مع ذلك أتصرف في مواقف العمل بسرعة وضبط وإحكام . وليس هذا من الثناء على النفس ، ولكنه من الواقع الذي أعرفه بالتجربة .

ومن طول حيرتي بين الآراء أصبحت أثق بخطئي ولا أثق بصوابي ، وأقدر الضلال في كل ما انتهى اليه ، ولا أطمئن الى السداد فيه ، ومن أجل ذلك لا أزال أراجع نفسي في كل قضية ، وأنقض اليوم ما أبرمت بالأمس ، ولولا أن معجل في حياتي لكان الأرجح أني أحجم عن المجاهرة برأيي مخافة أن أكون قد أخطأت الصواب فيه . وأنا أعزّي نفسي ـ لو أن في هذا عزاء ـ بقول ويندل هولمز ـ على ما أذكر ـ إن الحقيقة «كزهر» النرد لها أكثر من وجه واحد . فاذا كنت قد رأيت وجهاً واحداً دون سائر الوجوه فان لي العذر إذا كان هذا كل ما بدا لي ، وأين في الناس من يرى وجوه الحقيقة كلها من كل جانب ؟؟

ولهذه الحيرة عللها المعقولة فانا قد ورثت آراء ، وأفدت من مخالطة الناس آراء ، وأكتسبت من الاطلاع آراء. وكنت أسلم بما ورثت وأكتسبت ، وأنا في سن التحصيل ، وكنت ربما كابرت بالخلاف فيما أخذته من بيئتي ، أما ما كنت أفيده من الكتب فكنت اتلقاه بالاكبار والاقرار ، لأني لم أجد من يهديني أو يرشدني . فلا البيت كان لي فيه هذا المعين ، ولا المدرسة كنت أجد فيها هذا المعلم الحاذق المرشد . وظل احترامي للكتب على حاله حتى احتجت في سنة أن أبيعها ، وشق علي ذلك في أول الأمر ، وكنت لا أكاد أطيق أن أدخل الغرفة التي كانت مرصوصة فيها . وظللت أياما أحس كلما نظرت الى الرفوف التي خلت مما كان عليها أني

فقدت أقرب الناس الى وأعزهم على ، وأشعر أنى مشرف على البكاء اذا لم أحول عينى عن هذه الرفوف الخالية ، ولم يكن ما أتحسر عليه زينتها ، وما أضعته فيها من مال خسرته بالبيع وانما كانت الحسرة على فقدان أساتذتى واخوانى . وبقيت بعد ذلك زمناً لا أمر بمكتبة عامة إلا شحت بوجهى عنها من فرط الألم ، وإلا أحسست أن يداً عنيفة تلوى أحشائى وتحاول أن تقتلعها . وكان من غرائب ما حدث أنى لبثت أكثر من سنة لاأقتنى شيئاً من الكتب كانما زهدتنى الحسرة على ما ضيعت فى كل جديد غيره .

ومن الغريب أن هذا هو نفس الإحساس الذى عانيته لما توفيت زوجتى ، فقد ظللت سنوات لاأطيق أن أنظر الى امرأة . ثم فتر الألم وخفت وطأته ، كما هى العادة ، وكنت فى خلال ذلك قد احتجت أن أنظر بعينى وأفكر بعقلى فألفيتنى أشك فى كثير مما كنت أسلم به ولاأكابر فيه بل ما كان لايخطر لى أن اعترض عليه ، وتغير الأمر ، فبعد أن كنت آخذ الآراء من الكتب أو الناس . صرت آخذها من الحياة بلا واسطة ، وأعرضها على عقلى بلا مؤثر فاعتدت الاستقلال فى النظر ، والحرية فى التفكير ، وخلا تفكيرى وإحساسى شيئاً فشيئاً من تأثير الكتب ، وسواها ، وبرزت نفسى بعد طول التضاؤل ، ثم أخذت أروض نفسى على التماس الجوانب الأخرى التى تخفى فى العادة، فصارت وجوه الحقيقة تتعدد فيما أرى ، والفت ذلك حتى صار هذا ديدنى مع الناس ، فاذا رأيت من صاحب لى مايسوءنى حاولت أن أضع نفسى فى مكانه وأن أنظر الى الأمر بعينه هو ، وأن أتمثل بواعثه وإحساساته الى آخر ذلك ، فينتهى الأمر فى الأغلب بأن أعذر ولا ألوم . ويذهب الألم أو الغضب أو غير ذلك مما أثار صاحبى بما صنع .

بل ترقيت من هذا الى ما هو أرفع ، فصار نظرى الى الناس نظراً الى مادة تدرس لا الى مخلوقات تعاشر ويصدر عنها ما يسوء أو يسر ، ولاشك أن الفعل الحميد حسن وقعه فى النفس ، وأن السوء يؤلم أو يغضب ، وليس إلا أن أتلقى ما يكون من الناس بالحمد أو الذم ، وبالرضى أو السخط ، ولست بانسان اذا لم يكن هذا شأنى ، ولكنى اعنى أنى لاأعجل بالذم والسخط ولاأندفع مع أول الخاطر ، بل أراجع نفسى وأجيل عينى فى الأمر لأراه من ناحية غير الناحية التى طالعتنى فى البداية ، فيتحول الموضوع من عمل أو قول باعث على الرضى أو الامتعاض الى مادة للتفكير ، وتذهب عنه الصبغة الشخصية ، فكأنى أمتحن نظرية ولست أزن صنع انسان أساء أو أحسن .

ويخيل الى الآن أنى اعيش فى معمل فكل ما ألقاه فى الحياة من خير وشر ، وما أجدنى أو أجد سواى فيه ، من جد ولهو ، اتناوله بالتحليل لاستخلص منه مايتيسر لى استخلاصه من الحقائق ، ثم أروح أقيسه الى تجاربى الأخرى واقارن وأقابل ، ولاأزال افعل ذلك حتى يهدنى التعب ، وقلما اهتدى ، وكثيراً ما أضل ، ولكنى لاأسأم ولا اضجر لأن هذا صار متعتى النفسية التى لا أعدل بها متع الدنيا ، بعد أن وجدت نفسى ، وعثرت عليها تحت طبقات الكتب التى بعتها والحمد لله على ما كنت أتوجع وأذم الدنيا من أجله فلولا أنى بعت هذه الكتب لما وجدت نفسى ، ولكان الأرجح أن أظل كالذى يعبد أصناماً .

والشك حيرة ولكنه حرية ، وسعة الأفق خير من ضيقه ، على الرغم من العناء الذى يكابده المرء من إرسال العين وإدارتها فى النواحى الخفية أو البعيدة ، وإنه لعذاب ، وإن جدواه لقليلة ، بالقياس الى الجهد الذى يبذل فيه ، ولكنه خير وأمتع من التحجر الذى يؤدى اليه التسليم ، بلا نظر ، وحسبك من متعته أنه يريك كل يوم جديداً ، وقد يكون ما تهتدى اليه وتحسبه جديداً قديماً جداً فى الحقيقة ، ولكن المتعة فى الجهد نفسه لا فى النتيجة، والشأن فى هذا كالشأن فى الألعاب الرياضية فان الغاية منها ليست الغلبة أو التفوق أو غير ذلك مما يجرى فى هذا المجرى ، وإنما العبرة فيها بما تفيده من التدريب وما تكتسبه بفضل الجهد الذى تنفقه فيها ، ولذتها فى مزاولتها لافيما تنتهى به من الفوز وإن كان للفوز قيمته ومزيته ، ولكنه ليس كل ما تزاول الألعاب من أجله .

ومتى صار كل شىء مادة للدرس والبحث فقد صارت الحياة أوسع وأرحب ، وصار المرء كأنه يحلق فوقها وإن كان يخوضها ويعانيها ، وهذا ما أروض عليه نفسى الآن ان أكابد الحياة والناس ، وأن يسعنى مع ذلك أن اقف منها ومنهم موقف الناظر المتفرج ، فكأنى اثنان لواحد ، أحدهما يعيش ويجرب ، ويسعد ويشقى ، ويسر ويحزن ، ويجد ويهزل ، ويفعل ما يفعل الناس غيره . وثانيهما يتلقى هذه التجارب وينشرها أمامه ، ويعرضها على عقله ويقارنها ويقابلها ، ويفحصها ويضم المتشاكل منها بعضه الى بعض ، ويجمع ما يمكن أن يأتلف ، ويعمل خياله فيما يراه ناقصاً ليملأ الفراغ ويسد الثغرة ، ويصنع على العموم ما يصنع الكيميائى فى معمله الذى يجرى فيه تجاربه ، ولايتأثر بالواقع ، ولايعنيه ما عانى منه ، وهذا الازدواج عسير ولاشك ، ولست أطمع أن أبلغ منه الغاية وأوفى على الأمد ، ولكنى أطمع أن أوفق فى بابه الى الكفاية مع المواظبة والصبر ، ويطمعنى فى النجاح ان كل انسان له أكثر من شخصية واحدة وإن كان لايدرى ذلك .

ويثقل على نفسى خاطر واحد يكاد يصدنى عن المواظبة، هو ماجدوى ذلك كله ؟ .. ما آخر هذا العناء الذى أراه باطلا ؟ .. آخر ذلك كله معروف . وهل ثم من آخر سوى الفناء ؟ .. ولكنى أعود فأقول لنفسى إن هذا الآخر لاآخر سواه سواء أبذل المرء الجهد ، أم قعد عنه وضن به ، فلا فائدة من التقصير ، ولاضير من السعي ، والحياة أن تحيا ، لا أن تجمد وتركد وتأسن . أما الجدوى فلماذا أعذب نفسى بالسؤال عنها ؟ وما جدوى أى شىء فى الحياة ؟ . إن كل ما أعرفه أنى موجود ، وأنى وهبت قدرة على الاحساس والتفكير ، فكيف أعطل هذه المواهب وأبطل عملها . وكيف يمكن أن أنعم بالوجود وأتمتع بالشعور به وأنا أعطل ما أعطيت ؟ ويعرف الجدوى من اعطانى الحياة ، فلندع ذلك له فهو أعرف به .

العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

محرك لسيارتك من السيراميك

● اجرت إحدى الشركات اليابانية مؤخراً تجارب ناجحة على محرك سيارة ديزل يضم اجزاء عديدة صنعت جميعها من السيراميك . ويتميز هذا المحرك التوربين المصنوع من السيراميك بانه يسمح لحرارة الاحتراق داخله أن تبلغ ١٦٠٠ درجة مئوية مما يوفر استهلاك الوقود . وهى درجة حرارة لا تستطيع أفضل السبائك المعدنية تحملها .

وبالاضافة إلى تحمله لدرجات الحرارة المرتفعة فهو صلب للغاية ولا يتاثر بعمليات التاكل حتى عند درجات الحرارة العالية .

ولقد اتاح هذا المحرك المصنوع من السيراميك إلغاء نظام التبريد مما أدى إلى خفض وزن المحرك ١٢ كيلو جراما .

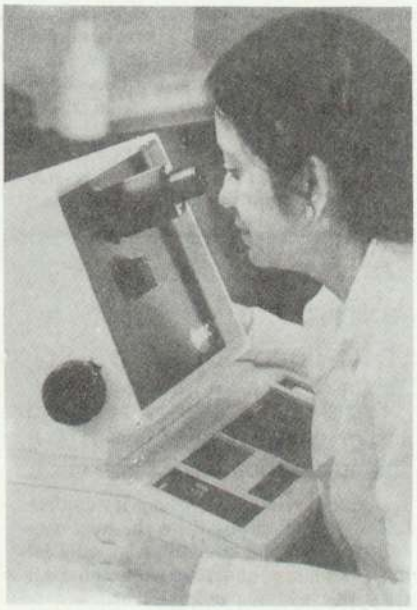
ولذلك يتوقع الباحثون أن تصبح مادة السيراميك من المواد الحيوية فى صناعة السيارات فى المستقبل .

تحليل الدم الفورى

● تمثل عينة دم المريض ملفا شبه كامل لحالته الصحية لأن تحليل الدم يساعد الطبيب على اكتشاف العديد من الالتهابات والأمراض بل وبعض أنواع السرطان .

ويضطر الطبيب المعالج عادة إلى انتظار نتيجة التحاليل عدة ساعات وفى بعض الاحيان بضعة أيام . ولكن بفضل الجهاز الالكترونى المبين فى الصورة يستطيع أى فنى معامل حتى وإن كان غير مدرب إجراء التحليل بشكل فورى والحصول على نتائج خلال دقائق معدودات .

ويضم الجهاز ميكروسكوباً متصلا



الجهاز الالكترونى الجديد لتحليل الدم الفورى

بمصدر للأشعة فوق البنفسجية بحيث يسقط الضوء على عينة الدم من خلال فلترات خاصة لتبدو مكونات الدم من خلايا حمراء وبيضاء وصفائح دموية واضحة وعند ذلك تقوم دوائر الكترونية متصلة بميكروكمبيوتر باحصاء مكونات الدم المختلفة بشكل أتوماتيكى ، ثم عرض النتائج على شاشة رقمية .

وليس على الفنى سوى النظر من عدسة الميكروسكوب وإدارة ذراع مثبت على أحد جوانب الجهاز لتحريك الدم . ويستغرق التحليل الكامل ١٥ دقيقة فقط !

قلب مزدوج السرعة

● يساعد جهاز تنظيم ضربات القلب على أن يعيش من يعانى من عدم انتظام فى ضربات قلبه حياة طبيعية اذ يعوض عدم قدرة الجسم على الاحتفاظ بضربات القلب طبيعية ومنتظمة .

إلا أن سرعة هذا الجهاز الالكترونى ، الذى يزرع فى صدر المريض ويعمل على تنشيط ضربات القلب ، لا تناسب النشاط العنيف .

ولذلك فكر الباحثون فى ابتكار منظم لضربات القلب يعمل بسرعتين بحيث يسمح للقلب بضخ مزيد من الدم أثناء التمرينات البدنية العنيفة مثل الهرولة أو الألعاب السويدية .

ولقد تم تجربة هذا الجهاز الجديد بنجاح على الحيوانات وسوف تجرى قريباً تجارب مماثلة على متطوعين آدميين .

ويعتمد عمل هذا المنظم على جهاز رصد حرارى متصل باحدى الرقائق الالكترونية التى يعمل بها الكمبيوتر وذلك بأن يقوم جهاز الرصد الحرارى بتحديد أى زيادة فى النشاط العضلى للمريض عن طريق زيادة درجة حرارة الدم الذى يمر فى القلب وعندئذ يصدر الكمبيوتر أوامره للمنظم بالعمل بالسرعة الأكبر .

ونظراً لأن كل مريض يمثل حالة مستقلة بذاتها فان الطبيب يحدد السرعة التى تناسب كل مريض سواء أثناء فترات الراحة أو أثناء بذل المجهود .

مدن بلا ضوضاء !

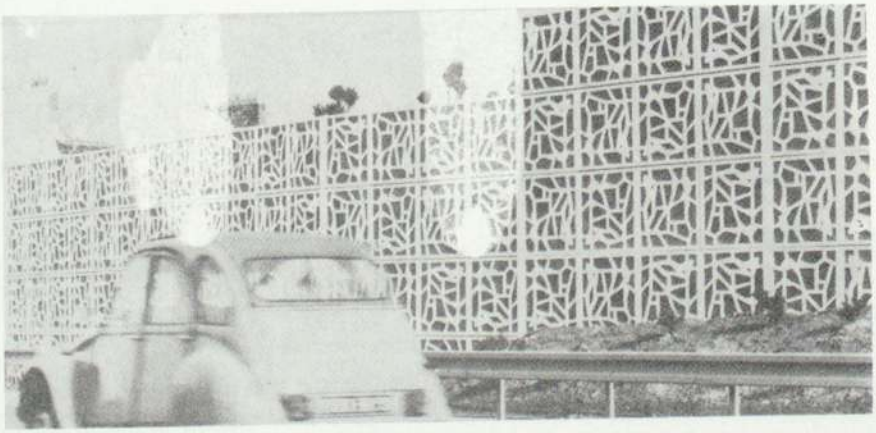
● توصلت شركة فرنسية إلى انتاج مادة جديدة تمتص الأصوات والضوضاء . وسوف تستخدم هذه المادة فى بناء جدران على امتداد طرق السيارات التى تخترق التجمعات السكنية .

ولا تكتفى المادة الجديدة بعكس الأصوات كما تفعل المواد الأخرى وانما تمتصها ، خاصة الأصوات ذات الترددات المنخفضة والمتوسطة ، وهى الترددات الخاصة بضوضاء الطريق .

وبالاضافة إلى الحماية التى توفرها

الجدران للمشاة ، فهى تحمى سائقى السيارات من الضوضاء المنبعثة من محركات سيلراتهم ذاتها . ومن ثم فهى توفر عليهم توترا لا داعى له .

والطريف فى الأمر أنه يمكن زخرفة هذه المادة لتصبح حلية معمارية تزين بها الطرقات والميادين .



جدران تزين الطريق وتمتص الضوضـــاء ◀

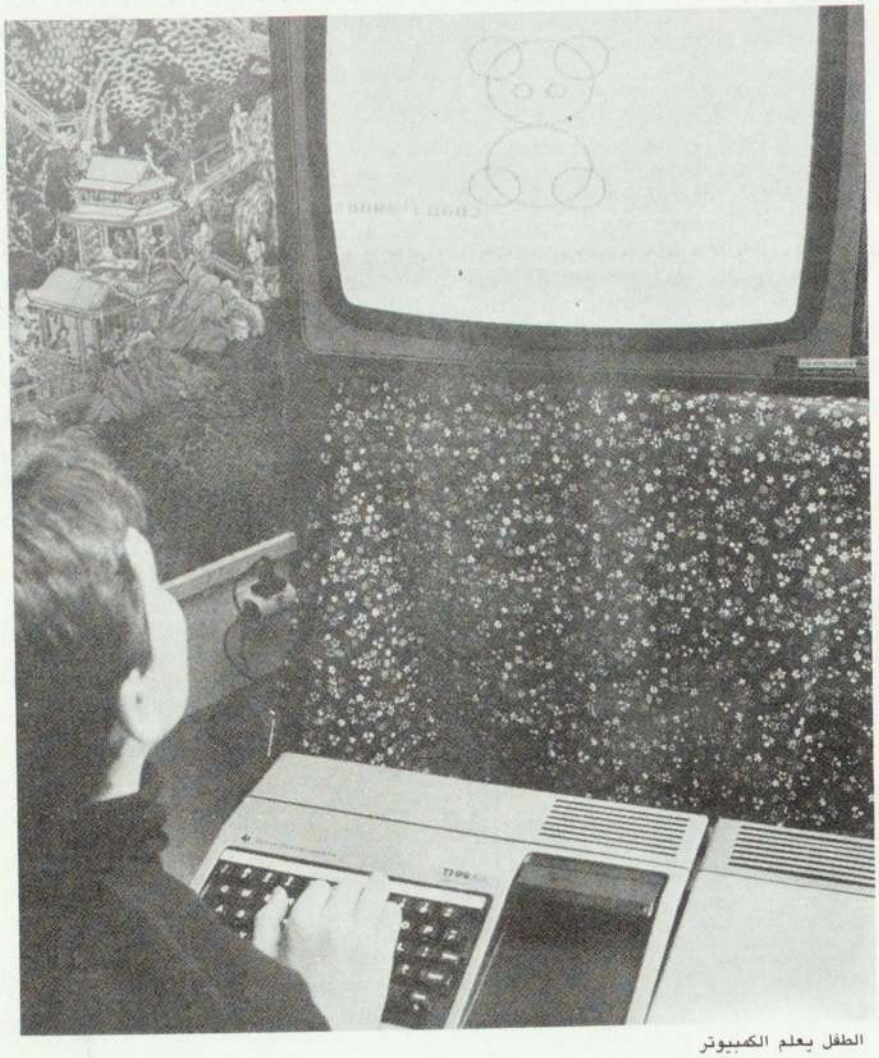
سلحفاة تعلم الهندسة !

● هذا الطفل يتعلم وحده مبادىء الهندسة يساعده فى ذلك الكمبيوتر ولغة « اللوجو » التى ابتكرها العالم الأمريكى ســـيمور بابرت . وتعتبر « لوجو » لغة تعليمية فعالة جداً ، ويرجع ذلك الى انها أبسط لغات الكمبيوتر جميعها .

فالطفل يضرب الأوامر مباشرة على مفاتيح الآلة الكاتبة لتقوم سلحفاة – تظهر على الشاشة فى شكل مثلث صغير – بتنفيذ جميع الأوامر .

فلكى يرسم هذا الطفل مثلا صورة هذا الدب الصغير عليه ان يعلم السلحفاة كيفية رسم الدائرة وذلك بان يأمرها بالتقدم خطوة ثم الدوران إلى اليمين درجتين وتكرار ذلك ١٨٠ مرة . وعندئذ يكتمل رسم رأس الدب . وتكرر السلحفاة نفس الخطوات كلما ضرب الطفل كلمة رأس . وهكذا بالنسبة لباقى اجزاء جسم الدب . وبالتالى فان جسم الدب سيتكون من مجموعة من البرامج الفرعية .

ومن ثم فان الطفل هو الذى يعلم الكمبيوتر وليس العكس ، وفى الوقت نفسه فان الطفل يتعلم بشكل غير مباشر مبادىء وأساسيات الهندسة .



الطفل يعلم الكمبيوتر

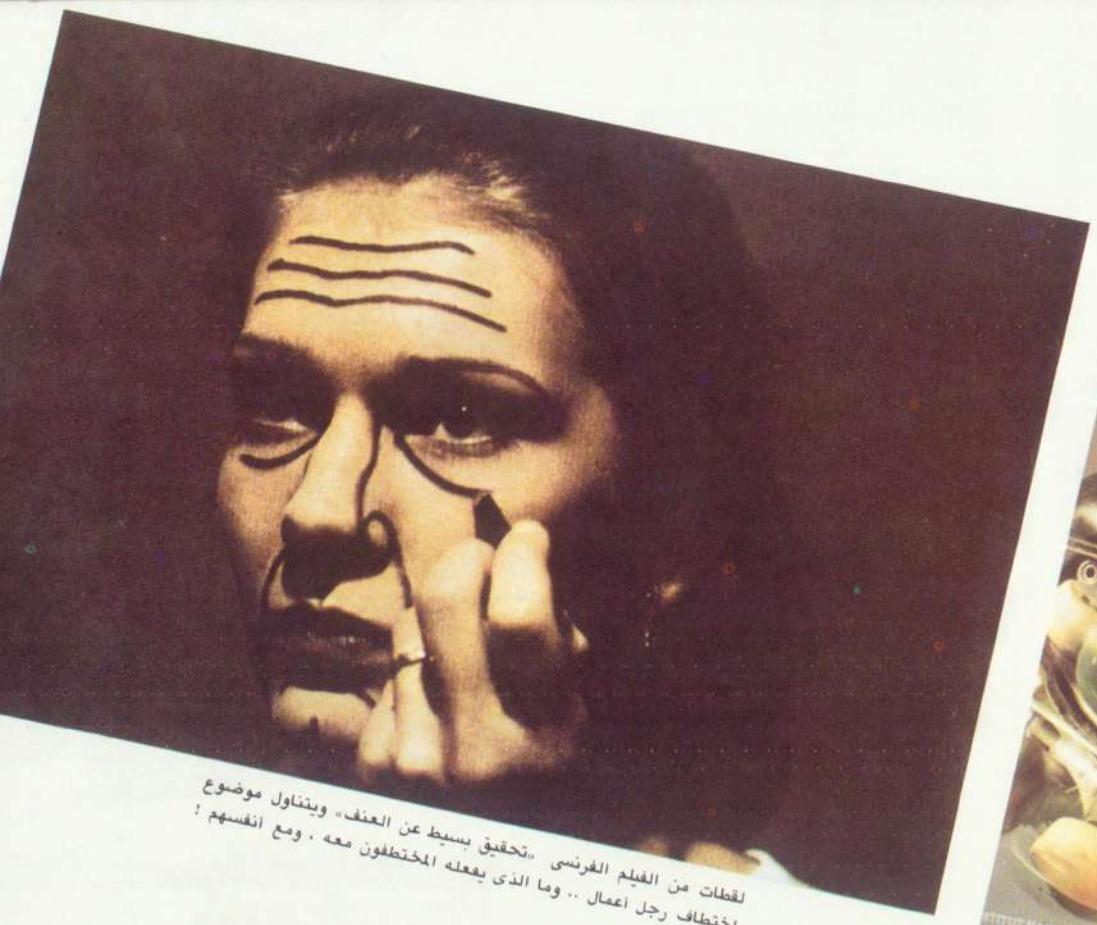


احمد زكى وتيسير فهمى .. ولقطة من فيلم « العوامة ٧٠ » للمخرج خيرى بشارة

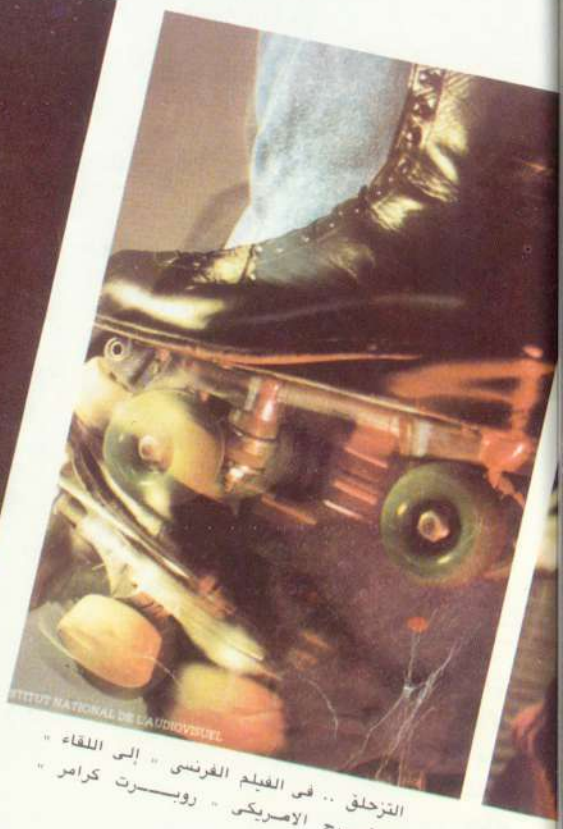
بقلم: رؤوف توفيق .

"الدوحة" تحضر مهرجان "روتردام" بهولندا

سباق مهرجانات السينما .. وما يتبقى منها!



لقطات من الفيلم الفرنسى «تحقيق بسيط عن العنف» ويتناول موضوع اختطاف رجل أعمال .. وما الذى يفعله المختطفون معه ، ومع انفسهم !



التزحلق .. فى الفيلم الفرنسى « إلى اللقاء » للمخرج الامريكى « روبرت كرامر »

فى خلال شهر واحد ، عقدت ثلاثة مهرجانات دولية للسينما!

وتنقل السينمائيون من انحاء العالم ، يصحبون أفلامهم .. من مهرجان لآخر .. يحلمون بالاهتمام والاضواء ، وفرص أكبر للتوزيع والانتشار .

وحيث يوجد مهرجان للسينما .. فلابد ان يكون هناك النقاد والصحفيون والمراقبون لصناعة السينما .. وكل مهرجان يقيس مدى نجاحه بما يكتب عنه فى الصحف العالمية ، وما تتناقله وكالات الانباء وشبكات التليفزيون .. وما يتركه من أصداء ، سواء أكانت بالثقة والاحترام .. أو اللامبالاة !

وهكذا كان شهر يناير الماضى .. شهراً مليئاً بالأحداث السينمائية الهامة ، وايضاً بالبالونات الملونة التى تبهر العين ولكن سرعان ما يبددها الهواء ، ولا يُبقى منها شيئاً !

ففى ذلك الشهر ـ يناير ـ عقد مهرجان نيودلهى السينمائى (الهند) .. ثم مهرجان مانيلا (الفلبين) .. ثم مهرجان روتردام (هولندا) . الذى انتهى فى ٦ فبراير .. وبعدها بأيام قليلة بدأ مهرجان برلين السينمائي ..

وقبل ان يعقد مهرجان برلين .. أعلن مديره فى أسف شديد ان المهرجان يعانى ازمة مالية حادة .. وانه لأول مرة فى تاريخه لن يتمكن من استضافة السينمائيين والنقاد والصحفيين ، وان كل ما يستطيع ان يقدمه المهرجان .. هو فرصة العرض السينمائى .

واستطرد مدير المهرجان فى غضب واضح يعلق على الاغراءات الباذخة التى يوفرها مهرجان مانيلا لضيوفه .. وفى توقيت انعقاده الذى يسبق مهرجان برلين باقل من الشهر ، مما يجذب الكثيرين من صناع السينما ونجومها ونقادها (بلغ عدد الصحفيين الذين حضروا مهرجان مانيلا هذا العام أكثر من ٦٠٠ صحفى من جميع انحاء العالم) .

مازق مهرجان « برلين »

ورغم التاريخ الفنى الطويل لمهرجان برلين السينمائى ، والذى أصبح واحداً من أهم المهرجانات السينمائية العالمية .. الا ان سوء الحظ يطارده منذ سنوات .. فقد كان توقيت انعقاده قريباً من تاريخ انعقاد مهرجان « كان » السينمائى .. ولان مهرجان « كان » له مكانته الخاصة ، وأهميته المتميزة .. فقد قررت ادارة مهرجان برلين ان تبتعد عنه ، وان تسبقه باربعة شهور ، حتى تتمكن من الحصول على الافلام الجديدة من الانتاج العالمى ، وتنفرد بعرضها قبل ان يحصل عليها مهرجان كان !!

ولكن .. حدث مالم يكن متوقعاً .. فقد قررت الفلبين ان تقيم مهرجاناً سينمائياً منذ العام الماضى (٨٢) ووفرت له ميزانية ضخمة ووسائل جذب مغرية مما أدار رءوس الكثيرين !

وهكذا وقع مهرجان برلين فى مازق صعب .. انه بين مهرجان شديد البذخ (مانيلا) .. ومهرجان شديد الأهمية (كان) .. وأصبح على مهرجان برلين ان يستنجد بعشاقه ألا يخذلوه !

ليست أفلاماً فقط

وهذا السباق المحموم بين المهرجانات السينمائية .. وان كان يؤكد على أن السينما مازال لها هذا السحر الخاص ، وأنها كفن لا يمكن أن تنزوى وتموت ، مهما



الفيلم الهولندى « كاستا ديفا »



البرتغالى جزيرة العشاق للمخرج « باولو روشا »

لقطة من

سينما

سباق مهرجانات السينما .. وما يتبعها منها!

توالت عليها الضربات والأزمات ، بل هى قادرة دائما على أن تجدد نفسها ، وان تعثر على لغة متطورة لمخاطبة الأجيال الجديدة .. الا ان هذه المهرجانات السينمائية تؤكد أيضا على الوجه الآخر لها كعامل أعلامى وسياحى واقتصادى للبلد التى تقام فيه ..

فالمهرجانات ليست فقط افلاما ومناقشات فنية .. بل ايضا إنعاش تجارى للمطاعم والفنادق والمحلات .. وأيضا وسيلة دعاية ذكية للبلد حيث يقترن كل ما يكتب ويذاع ويصور عن المهرجان باسم البلد .. بدليل أن اغلب المهرجانات العالمية تتفق على تمويلها بلديات المدن التى تقام فيها !

وهذه الحقيقة لا تنفى عن المهرجانات دورها الثقافى أو الفنى .. ولكن تؤكد ايضا انه ليس بسبب الثقافة أو الفن فقط تقام هذه المهرجانات !

مناقشات ساخنة

وأوضح دليل على هذا .. ما حدث أخيرا فى مهرجان « مانيلا » السينمائى والذى تشرف عليه حرم رئيس الفلبين ، السيدة ماركوس ، والتى عمدت ان يكون المهرجان تعبيرا عن الثراء وكرم الضيافة وسط حفلات متتالية للرقص الشعبى والغناء وأيضا عروض الأزياء الفلبينية .. بحيث يصبح المهرجان أعلانا مستمرا عن الفلبين .. ويتصل الليل بالنهار فى « مولد » يمتد عشرة أيام ..

ولتدبير الميزانية الضخمة لهذا المهرجان .. سمحت سلطات الفلبين بعرض الأفلام الزرقاء (الافلام الجنسية الممنوعة رقابيا) .. مما دفع البسطاء من المواطنين وأغلبهم من الشباب (أقل من ١٨ عاما) لان يتحركوا بالآلاف منذ الصباح الباكر وحتى منتصف الليل داخل ١٥٢ دار عرض سينمائى فى المدينة ، وليدفعوا ضعف الثمن العادى لتذكرة السينما .. ليشاهدوا هذه الأفلام الممنوعة ..

وهذه الملاحظة أكدتها معظم الصحف العالمية والتى علقت على احداث المهرجان .. بل ذكر ناقد جريدة « الديلي تلجراف » الانجليزية ان ارباح مهرجان مانيلا من هذه السياسية فى عرض الافلام الممنوعة .. وصلت الى أكثر من نصف مليون جنيه استرلينى .. وان كان هذا الناقد يعلق قائلا على ما حدث « ان الفن الردىء يدفع لمساعدة الفن الجيد » !

ولكن هل هذا صحيح ؟ ! لا اعتقد .. فالفن الردىء وان كان يجنى أرباحا سريعة .. الا انه يؤثر فى الذوق والقيم والأخلاق وخطره أفدح بكثير . انه يخلق متفرجا من نوع خاص لا يرضى مزاجه إلا نفس النوع من الفن الردىء .. ويستفحل المرض !

وكاننا بهذا المنطق .. نقبل ان نضحى بعقلية مئات من البسطاء ونحكم عليهم بفساد الذوق الدائم .... مقابل ان نعطى جائزة وكيس من النقود لفيلم جيد ! !

وقد ثارت فى الفلبين مناقشات ساخنة حول قرار عرض الأفلام الزرقاء .. وتناقلت الصحف العالمية بعض هذه المناقشات .. مثلا نشر على لسان .. « مسز ماركوس » قولها : « ان العرى والجنس موجود فقط فى تفكيرنا .. واذا كنا نتاثر برؤية هذا الكلام الفارغ أو هذه النفايات .. فان هناك شيئا خطا فينا كجمهور » !

ورد على هذا القول المسئول عن الرقابة وهو رجل دين اسمه « الكردينال سن » فقال معترضا : « اذا كانت مشاعرنا لم تجرح بالبذاءات والفحش .. فالخطأ اذن فى داخلنا .. ومعنى هذا اننا لسنا افضل من الخنازير التى تتمرغ فى القاذورات وتلتهم النفايات » !

وهكذا أحتلت هذه المناقشات ، المساحة الكبرى فيما نشرته الصحف العالمية عن مهرجان « مانيلا » .. بينما توارت فى اقتضاب السطور التى تحكى عن الكرم



لقطة من الفيلم المصرى « العزيمة » للمخرج كمال سليم

والبذخ وحفلات الرقص والغناء !

مهرجان بلا نجوم

والمنافسة بين المهرجانات تشتد .. وكل منها يحاول ان يجد طريقه على خريطة العالم .. وان يجد له صدى داخل قلاع السينما !

ولكن اغرب هذه المهرجانات واهدئها .. هو مهرجان روتردام السينمائى (بهولندا) .

وقد شاءت الظروف ان احضر هذا العام ـ ولاول مرة ـ هذا المهرجان ، والذى يقام باقل قدر من الدعاية ، حتى لا يكاد يشعر به احد وسط زحام واضواء المهرجانات الكبرى .

ومهرجان « روتردام » لا يسعى لتنشيط الاعلان عن نفسه .. بقدر ما يسعى لتاكيد قيمته الفنية بالنسبة لصناع السينما الجادة .

انه مهرجان لا يهتم بالنجوم او الاسماء اللامعة .. وانما يعطى كل حنانه واهتمامه لفيلم صنعه شاب مجهول فى بلد ما ، لكى يقول من خلاله وجهة نظر جريئة وواعية فيما يحدث حوله .

ولهذا نجد ان برنامج المهرجان يتضمن محاولات وتجارب عديدة من عشاق السينما .. سواء اكانت افلامهم من النوع المعروف بافلام تحت الأرض ـ او الافلام السرية ـ او افلام على مستوى فنى ممتاز ، ولكنها لم تلق اى نجاح فى عرضها ، او تكاتفت شركات التوزيع الكبرى لمحاصرتها وحبسها داخل العلب !

وقد انتابنى إحساس ، وانا اتابع عروض هذا المهرجان الذى استمر عشرة أيام .. اننى أشاهد نماذج من السينما المضطهدة !!

ولان هذه السينما موجودة ومنتشرة فى جميع انحاء العالم .. فقد احتفظ مهرجان روتردام بمكانته طوال اثنى عشر عاما هى عمره حتى الآن !

وعروض المهرجان تتم داخل مبنى متواضع من ثلاثة طوابق ، يشبه مبانى المدارس من الخارج .. ويشتمل المبنى على ست قاعات للسينما ، تتسع اكبرها لثلاثمائة مقعد .. بينما اصغرها لا يجاوز الثمانين مقعداً .. وتبدأ العروض من الثامنة صباحاً وتستمر حتى ما بعد منتصف الليل .. وقاعات العرض تمتلئ بالجمهور الذى يستطيع ان يقضى يومه باكمله داخل هذا المبنى .. حيث تتوفر به قاعات للطعام والشراب .. بخلاف قاعات المناقشة والمكتبة .

ويشع المكان كله بالدفء والحيوية .. فمعظم الجمهور من الشباب الواعى المثقف والذى يشاهد الافلام ثم مخرجيها والنقاد فى هدوء وثقة .. وفى واضحة فى التعرف على السينما الخلاقة .

الجمهور هو الحكم

وهذا الجمهور هو الذى يحكم على الافلام ، ويعطى تقديراته من خمس درجات حسب مدى جودة الفيلم .. ويتم هذا من خلال أوراق مطبوعة داخل صندوق مفتوح على أبواب قاعات العرض .. ويمكن لاى متفرج ان يسجل رأيه ، ويعطى تقديراته للفيلم .. ثم يتم تجميع هذه الأوراق بعد نهاية عروض الافلام .. لاستخراج التقييم النهائى لرأى المتفرجين فى هذه الأفلام .

وينشر هذا التقييم يوماً بيوم فى جريدة المهرجان .

اى انه ليست هناك مسابقة وجوائز بالمعنى التقليدى للمهرجانات .. وبالتالى ليست هناك لجنة تحكيم .. بل الموضوع كله من الجمهور والى الجمهور !

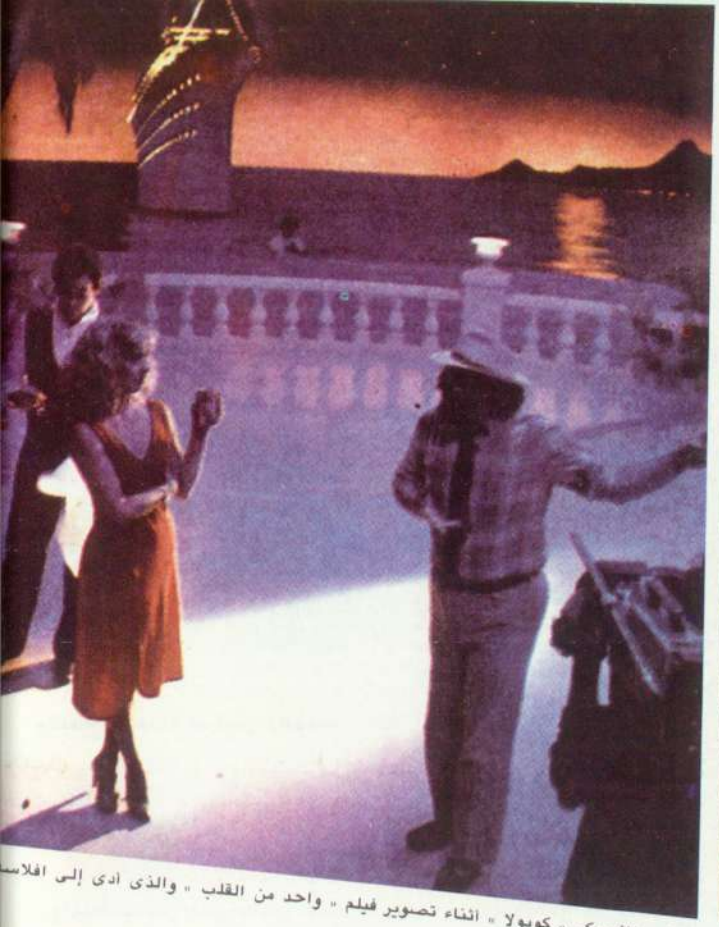
وهذا المنهج الذى يتبعه مهرجان روتردام .. وان كان لا يحقق عنصر المفاجات التى تسفر عنها المسابقات ولجان التحكيم ، وايضاً لا يجتذب الاضواء ومحلات الدعاية المسعورة .. الا ان هذا المنهج يضمن فى النهاية للمهرجان عدم الخضوع للتيارات السياسية والاهواء ومصالح شركات السينما الكبرى والتى غالباً ما تتدخل بشكل واخر فى المسابقات ولجان التحكيم .

وليس من شروط المهرجان التقيد بعرض احداث الأفلام .. بل من الممكن ان تجد افلاماً سبق عرضها فى مهرجانات سابقة .. أو أفلاماً عرضت للجمهور فى انحاء من العالم .. وايضاً قد تجد أفلاماً انتجت منذ عدة سنوات ولكن لم يتحين لها بعد فرصة للعرض الجماهيرى .

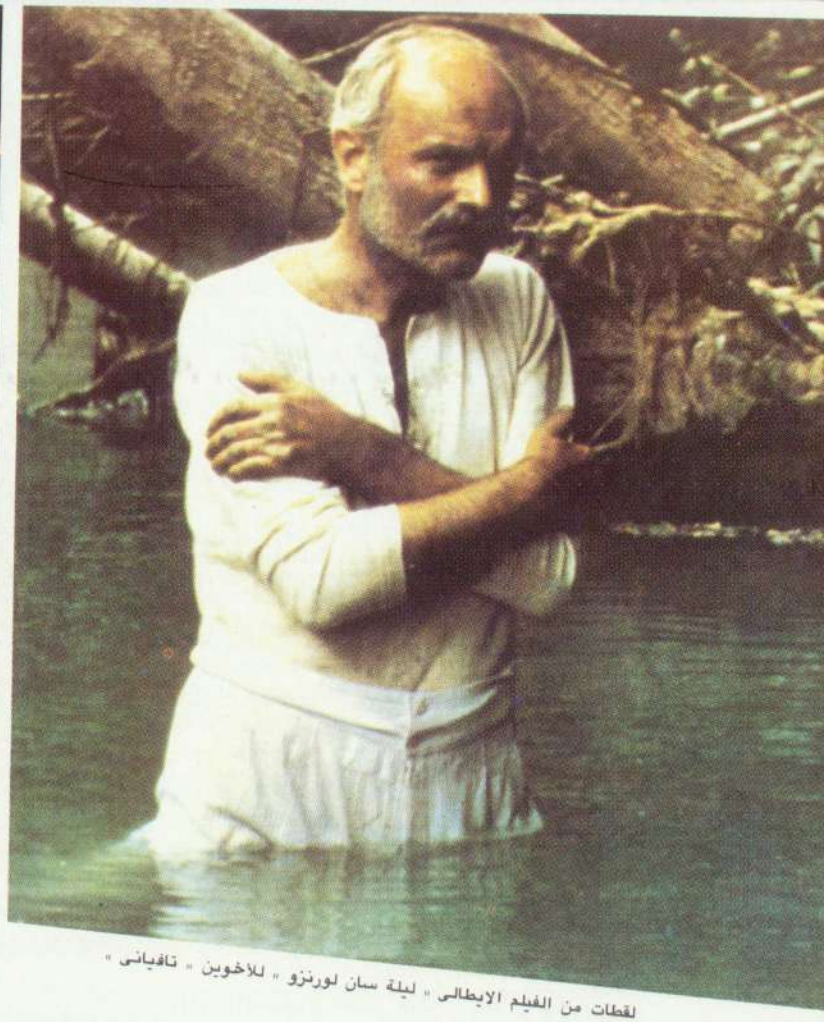
اى ان هدف المهرجان الواضح والصريح .. هو القاء الاضواء على السينما ذات المستوى الفنى الجيد والتى تقول رأيا محدداً فى صالح الانسان العادى ، وصراعه المستمر من أجل الكرامة والحرية والعدالة .

أفقر الافلام وأغناها

وفى هذا الاطار تجد فيلما قصيراً اخرجه شاب سويسرى بكاميرا ١٦ ملليمتر وبميزانية ضئيلة جداً .. وفى المقابل تجد اخر افلام المخرج الامريكى العبقرى « فرانسيس كوبولا » .. وهو فيلم « واحد من القلب » والذى صوره باكمله داخل استوديو خاص به ، اشتراه وجهزه باحدث المعدات الاليكترونية .. وفى داخل هذا الاستوديو اقام ديكورات كاملة لشوارع مدينة لاس فيجاس الامريكية ، وجزءا من مطار بكل اقسامه ودفع داخل الاستوديو بمئات من الممثلين والكومبارس والسيارات والواجهات المضيئة الملونة الباهرة ، ليخلق جو الاحتفالات الامريكية بيوم ٤ يوليو .. ومن خلال هذا التكوين المتدفق بالحيوية يتوقف امام زوجين بعد خمس سنوات من الزواج حينما يحدث الخلاف فجاة .. وتقرر الزوجة ان تجرب حياة اخرى وان تسافر الى بلد اخر . وينسج الفيلم موضوعه من خلال هذه اللحظات التى تشكل ٢٤ ساعة فقط .. فيها الانفصال



المخرج الامريكى « كوبولا » اثناء تصوير فيلم « واحد من القلب » والذى ادى إلى افلاسه



لقطات من الفيلم الايطالى « ليلة سان لورنزو » للاخوين « تافيانى »

سينما

سباق مهرجانات السينما .. وما يتبقى منها!

المفاجىء ، وفيها الاحتفال الصاخب بالمدينة وفيها محاولة كلا من الزوجين لاثبات قدراتهما على الحياة بدون الآخر .. حتى ينتهى الفيلم بعودة الزوجة الى بيتها .. قصة حب رقيقة .. مليئة بالتفاصيل الشاعرية .. وضعها المخرج فى قالب موسيقي غنائى .. مستعرضا كل براعته السينمائية فى التعبير عن الفرح الخارجى والحزن والوحدة والألم الداخلى ..

ولكن الفيلم لم يحقق النجاح التجارى الذى يكفل حتى تغطية نفقاته .. مما اضطر المخرج « كوبولا » ان يبيع الاستوديو الذى حلم به طوال عمره .. ورهن ممتلكاته .. حتى يسدد ديون الفيلم .

أوربا التى لا نعرفها

كما يقدم المهرجان فيلما هولنديا بعنوان « كلستا ديفا » فى محاولة لتامل الصمت وعبادة الذات من خلال دراسة لشخصية ممثل فى خلفية من الموسيقى والغناء .

ويعرض المهرجان ايضا فيلما من ايرلندا بعنوان « الملاك » عن الموت كما يراه مخرج الفيلم « نيل جوردان » عبر احداث جنوب ايرلندا فى العشر سنوات الاخيرة .. حيث نرى بطل الفيلم الشاب يلعب دور عازف « الساكسفون » فى فرقة موسيقية .. وفى إحدى ليالى العرض يفاجا الجميع باغتيال قائد الفرقة الموسيقية .. ثم اغتيال الشاهدة الوحيدة على ما حدث .. وينهمك الشاب عازف الساكسفون فى البحث عن القتلة لنرى من خلاله ماساة ايرلندا فى التعصب الدينى ، والعنف .

● وبنفس النظرة النقدية الصارخة .. يقدم الفيلم الانجليزى «نظرات الكريستال» الاضطرابات السياسية والصراعات الثقافية فى انجلترا .. والفجوة بين جيل الستينات وبين شباب هذه الأيام فى الافكار وطرق الخلاص من الواقع الصعب .

● ومن فرنسا يقدم المخرج الامريكى روبرت كرامر فيلم « الى اللقاء » عن الرغبة فى الحياة من خلال احلام شباب يمارسون التزحلق على الجليد ويمضغون دائما امنية الرحيل الى امريكا .

رؤية جديدة

وكما يختار مهرجان « روتردام » نماذج من سينما الشباب فى اليونان والمانيا وبولندا وامريكا .. يتوقف ليعيد النظر فى ثلاثة افلام فازت بجوائز كبرى فى المهرجانات خلال العام الماضى .

● فمن ايطاليا يقدم فيلم « ليلة سانت لورنزو » للمخرجين الاخوين « تافيانى » وقد حصل الفيلم على جائزة لجنة تحكيم مهرجان كان ٨٢ .. والفيلم يستعرض تفاصيل مسيرة ابناء قرية ايطالية ، رفضوا الانصياع لاوامر الفاشيست وخرجوا يبحثون عن حريتهم .. والمسيرة تحمل معنى الاصرار والتحدى ولا تخلو من المفارقات الطريفة والمواقف الانسانية التى صاغها ببراعة مذهلة الاخوين « تافيانى » وكانهما يقدمان بانوراما لعالم البسطاء والابرياء الذين وجدوا انفسهم اما ان ينضموا للقطيع أو يشكلوا ذواتهم ..

● الفيلم الثانى للمخرج الالمانى « فيم فاندر » ويحمل عنوان « حالة الاشياء »



لقطة من فيلم « السقا مات » للمخرج صلاح ابو سيف



الفيلم الايطالى «ليلة سان لورنزو» للأخوين «تافيانى»

والذى فاز بالجائزة الكبرى لمهرجان فينسيا ٨٢ .. ويتناول الفيلم حالة السينما الآن ، بين تحكم الشركات السينمائية الكبرى ورغبة المخرجين فى التعبير عن انفسهم بلا ضغوط او تنازلات ..

● الفيلم الثالث .. للمخرج المالى « سليمان سيسى » والذى ظهر بعنوان « الريح » .. وفاز بالجائزة الكبرى لمهرجان قرطاج ٨٢ .. ويتعرض من خلاله ـ بجراة شديد وبمستوى فنى متميز لوسائل القهر والعنف التى تمارس ضد الانسان محاولة اخضاعه بكل السبل ، ومن خلال الفيلم نرى جيلا من الشباب يواجه ذلك ولا يعرف الخوف ولا يقبل المهادنة !

دراسة لمخرج

ويفرد المهرجان قسماً خاصاً لافلام المخرج التشيكى الاصل « ايفان باسر » والذى اضطر ان يترك تشيكوسلوفاكيا بعد احداث عام ٦٨ .. وانتقل لفترة قصيرة الى انجلترا ومنها تحرك الى الولايات المتحدة ليستقر بها ويخرج اول افلامه هناك عام ٧١ .

قدم له المهرجان سبعة افلام تمثل سبعة عشر عاماً من عمره .. منهما فيلمين اخرجهما فى تشيكوسلوفاكيا .. والخمسة الباقية فى امريكا !

واحتفال بالسينما المصرية

واحتفل المهرجان بالسينما المصرية .. حيث قدم بانوراما من خلال عشرة افلام تمثل الواقعية فى السينما المصرية .. تبدا بفيلم « العزيمة » لكمال سليم (عام ٣٩) الى فيلم « السوق السوداء » لكامل التلمسانى (عام ٤٣) الى فيلم « صراع فى الوادى » ليوسف شاهين (٥٤) .. وفيلم « الفتوة » لصلاح ابو سيف (٥٧) .. وفيلم « دعاء الكروان » لبركات (٥٩) .. وفيلم « صراع الابطال » لتوفيق صالح (٦٢) .. وفيلم « الزوجة الثانية » لصلاح ابو سيف (٦٨) .. وفيلم « البوسطجى » لحسين كمال (٦٨) .. وفيلم « السقا مات » لصلاح ابو سيف (٧٩) .. وفيلم «العوامة» ٧٠ لخيرى بشارة (٨١) .

واستقبل الفيلم المصرى فى مهرجان روتردام ، استقبالا مثيراً ، مليئا بالدهشة والحب .. فالكثيرون من الذين تابعوا المهرجان كانوا يتعرفون على تاريخ السينما المصرية لاول مرة وبهذا الشكل المكثف .. والذى يؤكد على الحقيقة التى تغيب احياناً كثيرة .. وهى ان السينما المصرية سبقت السينما الايطالية فى مدرسة الواقعية .

وتجمع المهتمون بالسينما داخل قاعات العرض يتابعون الافلام المصرية ويلتقون فى نقاش حيوى مع المخرج صلاح ابو سيف والذى يمثل جيل الكبار فى السينما المصرية ، والمخرج خيرى بشارة والذى يمثل جيل الشباب ..

وكانت فرصة وجود هذا العدد المتميز من الافلام المصرية ، دافعاً لبعض المسئولين عن المهرجانات العالمية ونوادى السينما فى اوربا وامريكا لان يتقدموا بطلباتهم لاستضافة هذه المجموعة من الافلام للسفر الى بلادهم واقامة الندوات والدراسات عنها .

« فايدا » وخطاب تحية

وهكذا اتاح مهرجان « روتردام » اكثر من رؤية جديدة لفن السينما فى العالم ..

وقد كان المخرج البولندى الكبير « اندريه فايدا » على حق عندما ارسل خطاب تحية الى مهرجان « روتردام » .. نشرته بالكامل صحيفة المهرجان فى اليوم الاخير .. وكانما ادارة المهرجان استكثرت على نفسها ان تنشر الخطاب فى حينه ورات ان تؤجل نشره بينما ضيوف المهرجان يحزمون حقائب العودة ..

يقول المخرج « فايدا » فى خطابه الذى ارسله من وارسو :

« فى هذه اللحظة الخاصة .. اريد ان اعبر لكم ان مهرجانكم فى « روتردام » يعنى الكثير لنا ، اكثر من مجرد مهرجان من عديد من المهرجانات التى تقام بين حين واخر وقد تعرض افضل الافلام .. وقد تعرض اسوأها ..

روتردام اصبحت مكاناً لاجتماع الشباب والسينما الحية، والمجموعة الفنية التى اقودها ، قد عاشت هذه التجربة من قبل ، وتلاقوا من خلال مناقشة المشاكل المعاصرة ان هؤلاء الشبان من صانعى الافلام الذين وجدوا مكاناً فى روتردام ، والذين وجدوا ايضاً مشاهدين عظماء .. هؤلاء المشاهدين الذين يفهمون مشاعرهم ومشاكلهم ويقدرون مبادرتهم الفنية .. كل هذا يملأنى ايماناً بان فن السينما سيكون اكثر قوة وحيوية واكثر انتشاراً من خلال مهرجانات مثل مهرجانكم » !

● ●

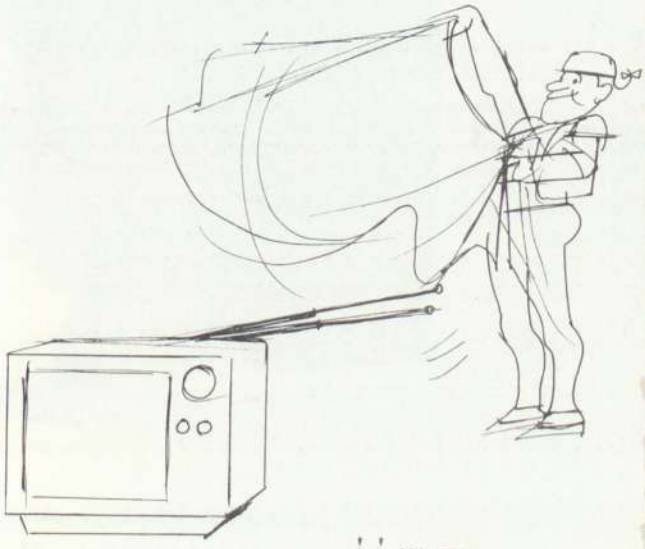
وهكذا تمضى مهرجانات السينما .. بعضها لا يترك سوى زغللة اضواء ملونة .. وبعضها يزرع الامل فى سينما جديدة .

« رءوف توفيق »

ضحكات الشهر

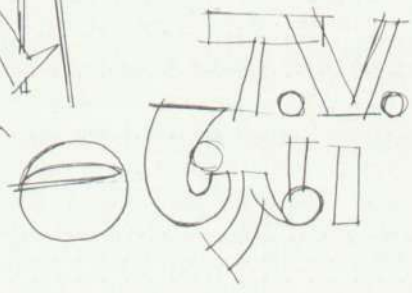


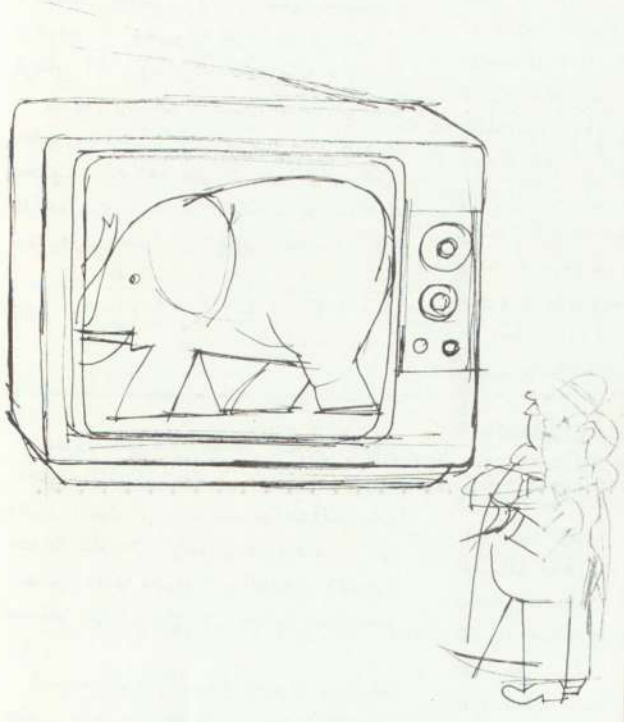
صلاح البيك



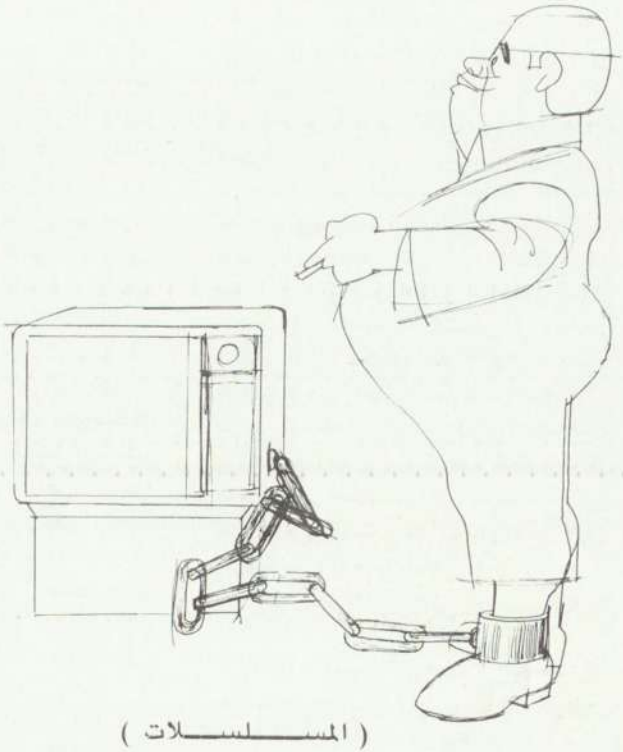
— ... ! !







— واذى ده .. دخلوه التليفزيون .. ! ؟



(المسلسلات)

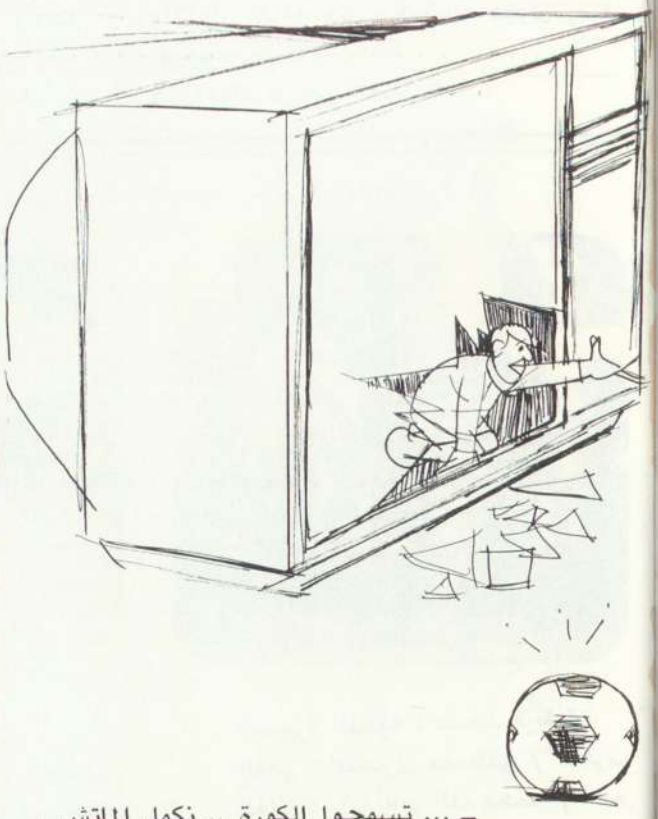


عصر الذم والنم .. انتهى .. اليوم يتم نقل الكلام بالقمر



المذيع ـــ عيب كده .. قبل ما تفتح ... خبط ... ! !





ـ ... تسمحوا الكورة .. نكمل الماتش .



... ! ؟



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

يرجى من الاصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » ان يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجي ان يكتبوا اسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافات .

حـــاول أن تعـــرف ..



ولد هذا المخترع بالمانيا عام ١٣٩٦ ، تمكن من إحداث ثورة فى عالم الطباعة عن طريق اختراع حروف متحركة بعد أن كانت الطباعة في عصره تستعمل الأختام والكتل الخشبية .

هل يمكنك معرفة ذلك العالم ؟



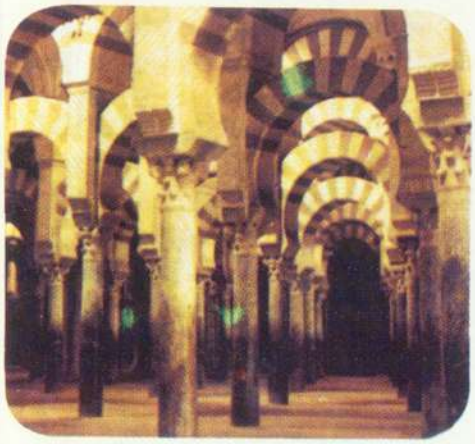
هذه اللوحة من أعظم أعمال فنان فرنسى ولد عام ١٨٤١ ، وقد عرضت فى أول معرض للأعمال التأثيرية بباريس عام ١٨٧٤ . تتميز لوحات هذا الفنان بالحياة والألوان الواضحة ، كما أنه يهوى رسم الوجوه .

هل تعرف من هو الفنان ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعـــدد ٨٦



الصورة الأولى : أبقـراط .
الفائز : علاء عبد العزيز / البحرين
الفائز : محمد معن مراد / الكويـت



الصورة الثانية : مسجد قرطبة .
الفائز : النصري مصطفى / المغرب
الفائز : منير عبد الله محمد / مصر

مدينة البخلاء



روى الجاحظ أن سائلا مكفوف البصر ، كان يجوب شوارع المدينة يستجدى ، وفى أحد الأيام أعطاه أحد المارة رغيفاً كاملا فقال له السائل :

ـ أبقاك الله وردك سالماً لبلدك !

فقال الرجل : ولكن كيف عرفت أننى غريب عن هذه البلدة وأنت مكفوف البصر ؟

فقال السائل : لي عشرة أعوام أستجدى بهذه المدينة ، ولم يسبق أن أعطانى أحد رغيفاً كاملا .

عبد الكريم عبدان ـ العراق

أحلى الكلام

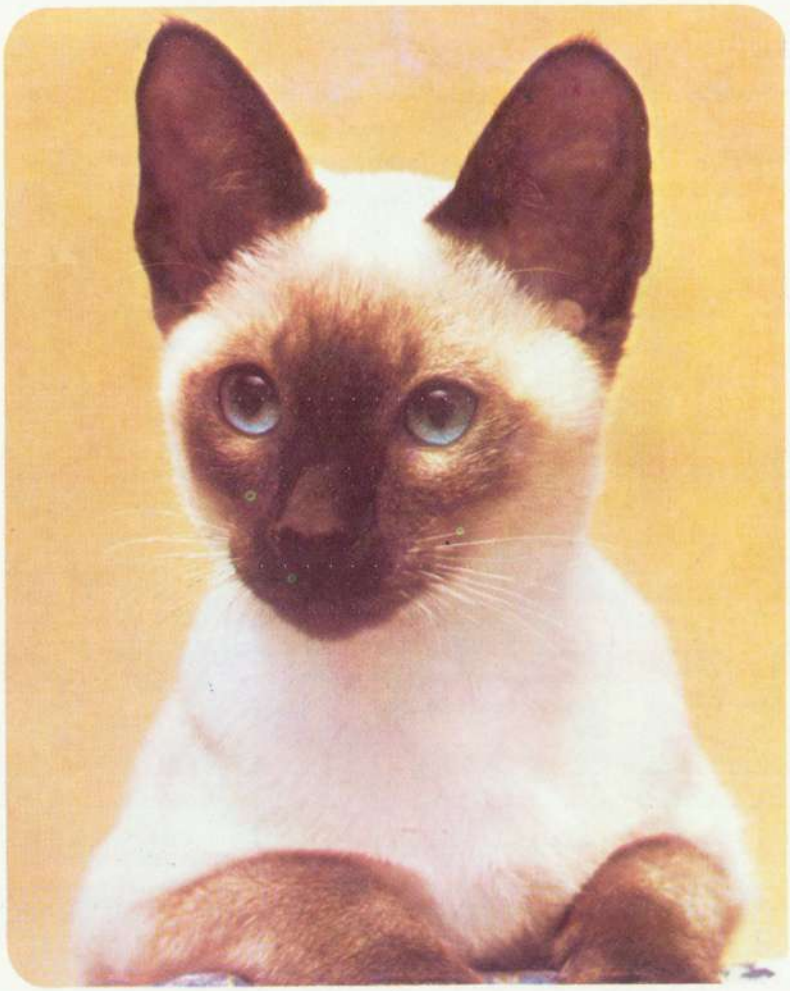


ـ ببكاء القلم تبتسم الكتب .
ـ الطفل ضحكة على وجه الحياة .
ـ اذا سلمت من الأسد فلا تطمع فى صيده .
ـ اعمل المعروف ولا تنتظر الشكر عليه.
ـ بالرفق تنال الحاجة .
ـ خذ من يومك درساً لغدك .
ـ العلم أرفع النسب ، والعمل أرفع الحسب .

آمنة أحمد مختار
بور سودان ـ السودان

لقطة الشهر

الاستعداد للتصوير



فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى
طارق أحمد محمد ـ العباسية ـ القاهرة

السماء تمطر سمكًا

نعم (السماء تمطر سمكا) .. لا تتعجب .. فقد وجدت ظاهرة جوية منتشرة شمال البحر الأبيض المتوسط تجعل أعمدة من الماء تندفع راسيا من البحر إلى أعلى .. فتيارات الهواء تعمل على جذب عمود من الماء الى سحابة منخفضة قريبة من سطح البحر وكثيراما يسحب الماء معه بعض أسماك البحر حتى إذا ثقل بخار الماء وسقط السحاب أمطاراً ، فان السمك يسقط معه ، وغالبا مايشاهده البحارة ! وتعرف هذه الظاهرة باسم «أعمدة الماء »أو الخراطيم المائية ، والبحارة يتجنبون هذه المناطق لأنها تتميز بتيارات هوائية تتسم بالسحب إلى أعلى ، وقد سقط فعلا السمك مع الأمطار خاصة شمال اسكتلندا وشرق انجلترا !

حسين سعيد عمار ـ مصر

دوحة القراء



مسابقة الدوحة

مَن ؟

الرجل الذى قال فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما معناه :

(حكمت فعدلت فامنت فنمت تحت شجرة فى الخلاء بلا حرس) اسمه من ثمانية احرف :

٧ ـ ٢ ـ ٥ ـ ٣ ـ ٤ صداق العروس .

٨ ـ ١ ـ ٦ ـ ٢ عبر صاعد

أين ؟

البلاد التى قدم منها ذلك الرجل . اسمها من اربعة أحرف :

١ ـ ٣ هرب .

٢ ـ ٤ ـ ١ ندم .

ما ؟

الصفة التى حملت أعدل حكام التاريخ عمر بن الخطاب لكى يصبح رمزا للعدل . اسمها من ستة أحرف :

١ ـ ٦ ـ ٢ حيوان له قرون

٤ ـ ٥ ـ ٣ طعام .

الإجابة الصحيحة

(١) هات فعل الأمر لما يلى ، للمفرد المخاطب :

وقى ـ رأى ـ قضى .

(٢) قبيلتان من القبائل العربية الآتية بادتا قبل الاسلام:

الازد ـ الأوس ـ طسم ـ جديس ـ مزينة ـ بلى .

(٣) « صابون الكالسيوم لا يذوب فى الماء » .

هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟ ؟

(٤) أذنتنا ببينها اسماء : اكمل البيت وانسبه الى قائله

(٥) انفصمت عرى الوحدة بين مصر وسوريا وسقطت أول جمهورية عربية متحدة سنة :

١٩٤٨ ـ ١٩٥٦ ـ ١٩٦١ ـ ١٩٧٣ .

(٦) كان رئيس الولايات المتحدة الامريكية الذى وافق على قرار هيئة الأمم المتحدة (نوفمبر سنة ١٩٤٧) القاضى بتقسيم فلسطين الى دولتين احداهما عربية والاخرى يهودية هو :

روزفلت ـ ترومان ـ ايزنهاور ـ كيندى ـ نيكسون .

(٧) صاحب الكلمة المشهورة « ويل للمغلوب » هو القائد العسكرى :

الاسكندر ـ هانيبال ـ خالد ابن الوليد .

(٨) تقع دولة الكويت بالنسبة لسلطنة عمان فى الاتجاه :

الجنوبى الغربى ـ الشمالى الغربى ـ الشرقى .

(٩) تنمو أشجار الابنوس فى :

قبرص ـ الفلبين ـ بيرو ـ افريقيا .

(١٠) رتب مشتقات تقطير البترول الآتية من الثقيل الى الخفيف :

البيوتين ـ الشمع ـ القار ـ الديزل ـ الكيروسين ـ البنزين .

حل مسابقة العدد ٨٦

من : لقمان .

أين : النوبة

ما : الحرب .

الأجوبة الصحيحة

١ ـ الشنفرى

٢ ـ جوناثان سويفت .

٣ ـ ١٣١٢ قدماً .

٤ ـ العبارة خطأ لأن الزجاج ليس له نظام بللورى .

٥ ـ محمد أسد .

٦ ـ السوباط ـ النيجر ـ بحر الغزال .

٧ ـ الفارسية .

٨ ـ الجلمود ـ الحصى ـ الرمل ـ الطمى ـ الطين .

٩ ـ الكورداية .

١٠ ـ سرنديب .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ أصل وصورة .. الحل : غطاء الرأس ـ الشارب ـ الرتبة ـ العصا ـ الحذاء ـ الاسنان ـ الاشارة الضوئية .

الفائز : مبارك محمد هادي / قطر

الفائز : هيام حسن عثمان احمد / الامارات

٢ ـ دوري الكاريكاتير .. الحل : رقم ٨

الفائز : سالم يوسف الفيتوري / ليبيا

الفائز : مجد محمد مروان / الكويت

٣ ـ لاقوياء الملاحظة .. الحل : عنب ـ كمثرى ـ برتقالة ـ تفاحة ـ بلح ـ موزة ـ وردة .

الفائز مجدي حلمي حبيبه / مصر

الفائز : بشير العيسوى / الامارات

٤ ـ المثل يقول .. الحل : على قد لحافك مد رجليك .

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : شعبان نمر عبد العزيز ـ الامارات العربية

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة : نوال عبد الرحمن محمد صالح ـ للاردن .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : توفيق محمد الجزولي ـ السودان .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ امجد محمد عودة ـ قطر
٢ ـ بهاء الدين كامل زهير ـ مصر
٣ ـ يوسف راشد محمد راشد ـ البحرين
٤ ـ احمد محمد بكار ـ سوريا
٥ ـ بو زمور محمد ـ المغرب
٦ ـ صفوان عبد الهادى ـ الأردن
٧ ـ جاسم بو سنور ـ البحرين
٨ ـ منار حسن خليل ـ قطر
٩ ـ مهدى عبد الله عمر ـ مصر
١٠ ـ دلال عبد الله جلبوط ـ سوريا

استراحة الدوحة العدد ٨٦

الفائز : عيسى مندني / قطر
الفائز: محمد سراج الدين محمد انور/ مصر

٥ ـ لعبة الظلال .. الحل : رقم (٣) .
الفائز : على حسن عيسى مبارك/ البحرين
الفائز : حسن احمد محمد ـ السعودية

٦ـ يخلق من الشبه اربعين الحل رقم (٤) .
الفائز : سيف اليزل فتحي عباس / مصر
الفائز : عبد الواسع النعماني / اليمن

٧ ـ اجمل تعليق :
التعليق : ماتخافيش دول توام لكن متخاصمين .
الفائز : نشات عبد الستار عبد الله / مصر
التعليق : انت تسمي حسن وانا اسمي حسنين . الفائز محمد ابراهيم ـ الامارات

قرأت

في الحض على طلب العلم من كتاب العقد الفريد

قال النبى محمد صلى الله عليه وسلم :
«لايزال الرجل عالماً ما طلب العلم ، فان ظن أنه قد علم فقد جهل» .

وقال عليه الصلاة والسلام :
«إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ، رضا بما يطلب . ولمداد جرت به أقلام العلماء خير من دماء الشهداء فى سبيل الله» .

وقال داود لابنه سليمان عليهما السلام :
«لف العلم حول عنقك ، واكتبه في الواح قلبك» .

وقال أيضاً :
«اجعل العلم مالك والأدب حليتك» .

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه :
قيمة كل انسان ما يحسن» .

وقال الشاعر :

نعم الأنيس إذا خلوت كتاب
تلهو به إن خانك الأحباب
لا مفشياً سراً إذا استودعته
وتفاد منه حكمة وصواب

وقال شاعر آخر :

تعلم فليس المرء يولد عالماً
وليس أخو علم كمن هو جاهل

وقال ثالث :

العلم يحيي قلوب الميتين كما
تحيا البلاد إذا ما مسها المطر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
كما يجلى سواد الظلمة القمر

حسين محمد عقبة
اليمن الديمقراطى



أقوال

ـ ليس صحيحاً أن الفساد يكسب أكثر من الاستقامة . شكسبير

ـ المجتمعات كالفاكهة الدود يختفى فى قلبها . بول جيرالدين

ـ من السهل أن تكون شجاعاً .. من مسافة بعيدة . ايسوب

ـ انعدام العدالة يضعف الشجاعة ، ويقوى الجبن . بنيامين فرانكلين

ـ يلجأ الانسان الى الخبث حين لا يسعفه الذكاء . لابدويز

ـ القسوة هى أكبر خطيئة ، والقسوة الفكرية هى أسوأ أنواع القسوة . لورد شسترتون

عظمه المنير دمشق

استراحة الدوحة



مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووف

أصل وصورة





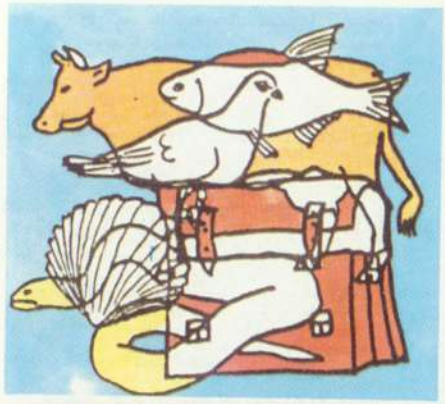
● بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها .. ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا) .

المثل يقول



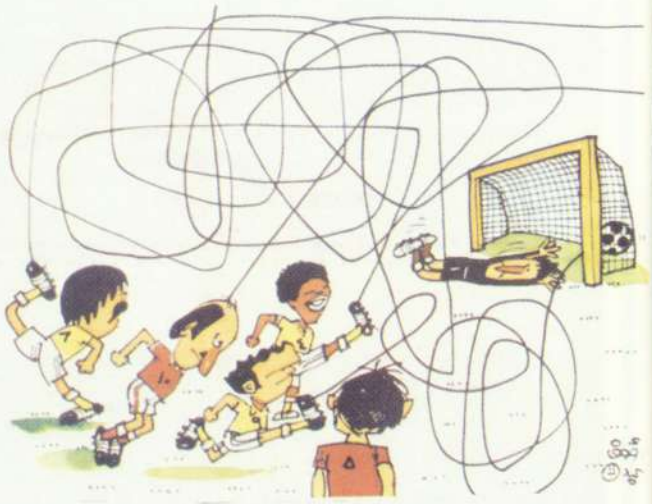
● إن هذا الرسم الكاريكاتيري يعبر عن مثل شعبي عربي هل تستطيع معرفته .. ؟ ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

لأقوياء الملاحظة فقط!



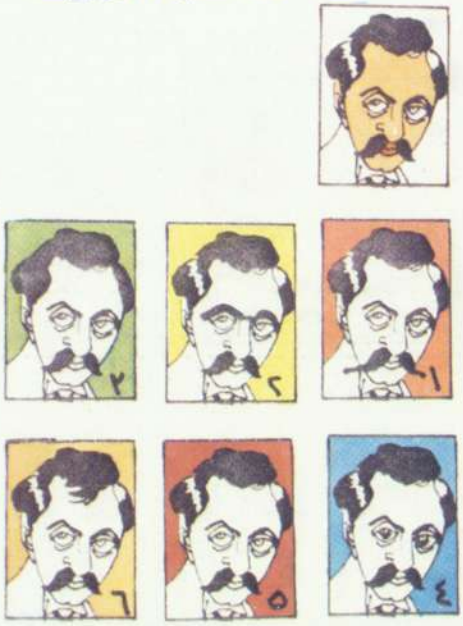
● امامك رسوم لستة اشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل ارسله إلينا لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا) .

دوري الكاريكاتير



● اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفاً قوياً في مرمى الخصم .. هل تستطيع ان تحدد من هو صاحب الهدف ، وما رقم فانلته ؟ .. إذا عرفت الحل .. ارسله إلينا .. ولك جائزة ... (٦٠ ريالا)

يخلق من الشبه أربعين



● الصور الست المنشورة لستة أشخاص يشبهون الشاعر جبران خليل جبران .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماماً .. وفي البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف عليها ؟ الجائزة (٦٠ ريالا) .

لعبة الظلال



● هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب في العثور على ظله الحقيقي ؟ .. إذا عرفت .. .. ارسل الحل إلينا ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

هات أجمل تعليق :



● هل تستطيع أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري .. ؟ .. حاول وارسله إلينا لتفوز بجائزة (٦٠ ريالا) .

في الفجر

بقلم : فؤاد قنديل

في الفجر حين اتجول مختالا ، متفرداً بالوجود . متمتعاً بالوحدة والتميز ، اشعر أن العالم بما فيه من خلائق ، قد فشل في الانسجام مع نفسه . بل فشل في البحث عن نفسه .. ضلت عنه وضل عنها . فهرب من البيوت والعمائر .

وهاهي تبدو لي خاوية ، دون أن تندم لفقدانهم . لقد فقدت بفقدهم الضجة والسخف . القسوة والغرور .

هاهي الآن تستمتع بالفجر ، وهانذا اقترب من الانسان ومن ثم اقترب من الله .

يا إلهي ما اعظمك ، حين افكر فيك وانا ارتع وحيداً في الصفاء البهيج ، تتلقفني احضان النسيم وتجذبني بعيداً عن الضوضاء .

انا لا افكر الآن في العالم . فالعالم غير موجود . الموجود الأوحد هو الله .. إنه هناك في كل مكان .

أما تلك الجموع المحتشدة ، المتصارعة بغباء وسخف ، فهي قد فقدت علاقتها بالنبل والترفع ، وبالتالي فقدت ارتباطها بالأصول . انقطع حبلها السري الذي كان يشدها الى نبع الكون الفياض . الى النور الأول .

عند الفجر أهبط من غرفتي الى الشارع أسير متجولا منتشياً بالنسيم ، فارداً صدري فاتحاً صدريتي لاستقبل الصفاء البهيج واشهد لحظات الميلاد . ميلاد الأكوان .

انقل الخطوات من شارع الى شارع . احس ساعتها اني بشر . بل احس اني مخلوق عظيم . اتمتع بكل حواسي ، واشعر بها واطمئن عليها .. موجودة وتعمل بكفاءة

اقفز فاذا انا رشيق كعصفور ، اغني فيلذ لي الغناء وتمتد انغام صوتي الجميل في سراديب الليل المنهزم .

تتخفف روحي من حمل جسدي وتطير من حولي ، تدنو وتناى . تدعوني اليها فاستجيب . تتبدى لي في صورة ملاك رائع الاهاب في الهدوء والصفاء نشم بجلاء ونسمع في وضوح ، وترق أرواحنا وتشف اجسامنا و ..

كم هو عظيم ، رب الكون العظيم ، اذ خلقني على هذه الصورة الوديعة الشفافة .

فجأة اتذكر حالي بين الناس . هذه الآلات المتوحشة التي تصطرع وتصطدم ، اثناء النهار الرمادي اللعين .

ساعتها افقد ذاتي ، ولا املك سبيلا اليها ولا قدرة للبحث عنها . اغدو فضلة حقيرة من الفضلات ، وذرة ضئيلة في كون مهين .

يتخذ البشر من النهار ساحة لعرض العابهم ، ومجالا تنطلق فيه اختراعاتهم وآلاتهم ..

في هذه الحالة

يكونون أقرب الي الديدان منهم الى ذلك المخلوق العلوي العظيم الانسان .

في هذه اللحظات الباهرة الزكية ، وبرغم غضبي المباح ، وسخطي اللائق تبدأ اجهزتي النفسية والجسدية في الاستعداد للنهار .

فالغضب والسخط يتحولان في هذه اللحظات الى سماحة وعفو .

يطل النهار في حياء . يقترب مني ويدور حولي ، ويسكب قطراته في عيني .

هذا هو الوجود ، وهؤلاء هم البشر ، يخرجون من العمائر التي كانت منذ قليل تشاركني وحدتي وانفرادي .

رويداً .. رويداً يقتربون . يمشون في هدوء وأدب ، وسرعان ما يمسهم الجنون ، ويغلبهم على أمرهم . فتتدافع اقدامهم ويلهثون .

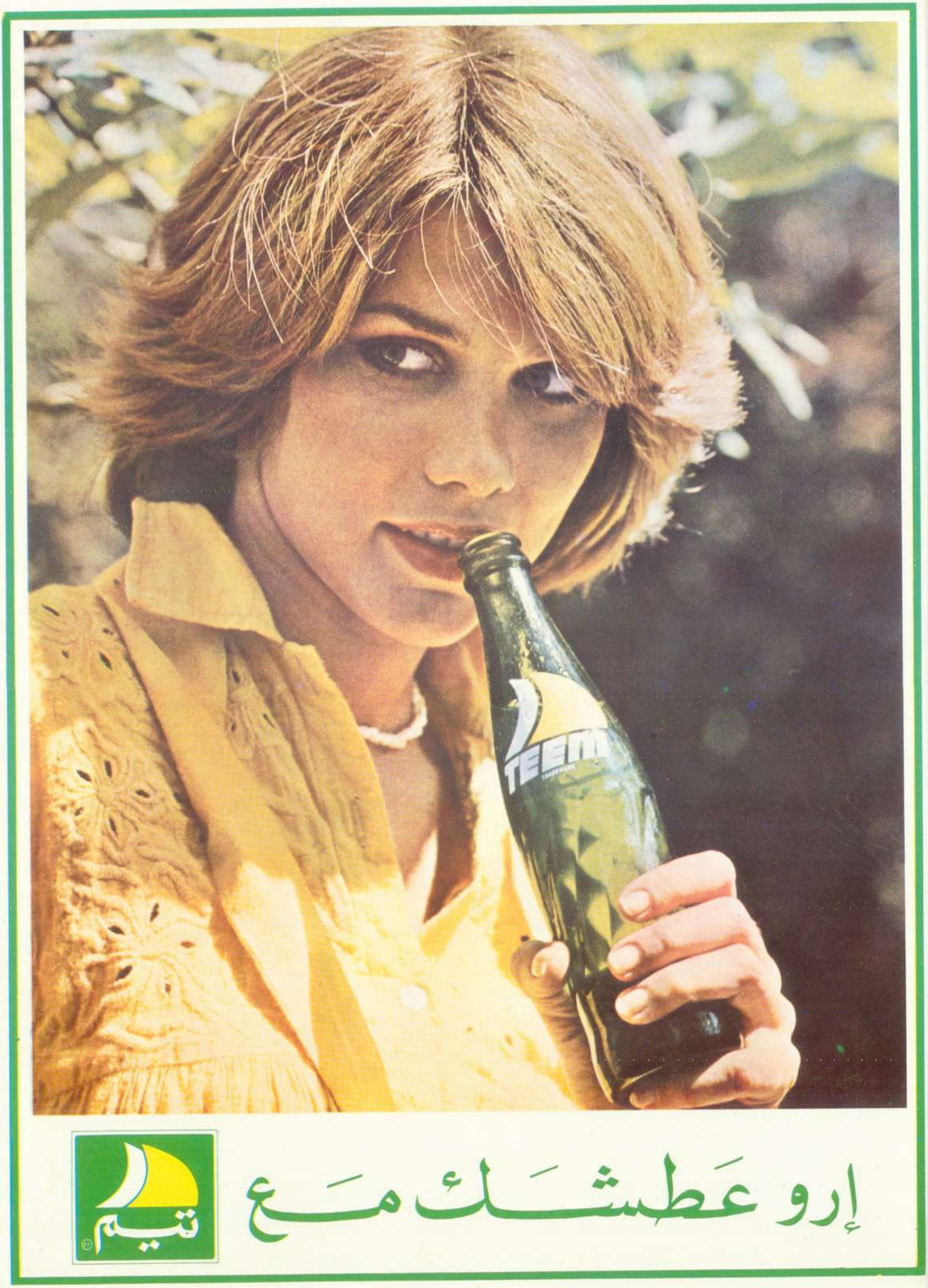
رويداً .. رويداً ابتسم لهم وأشد على أيديهم .. وأرضى .

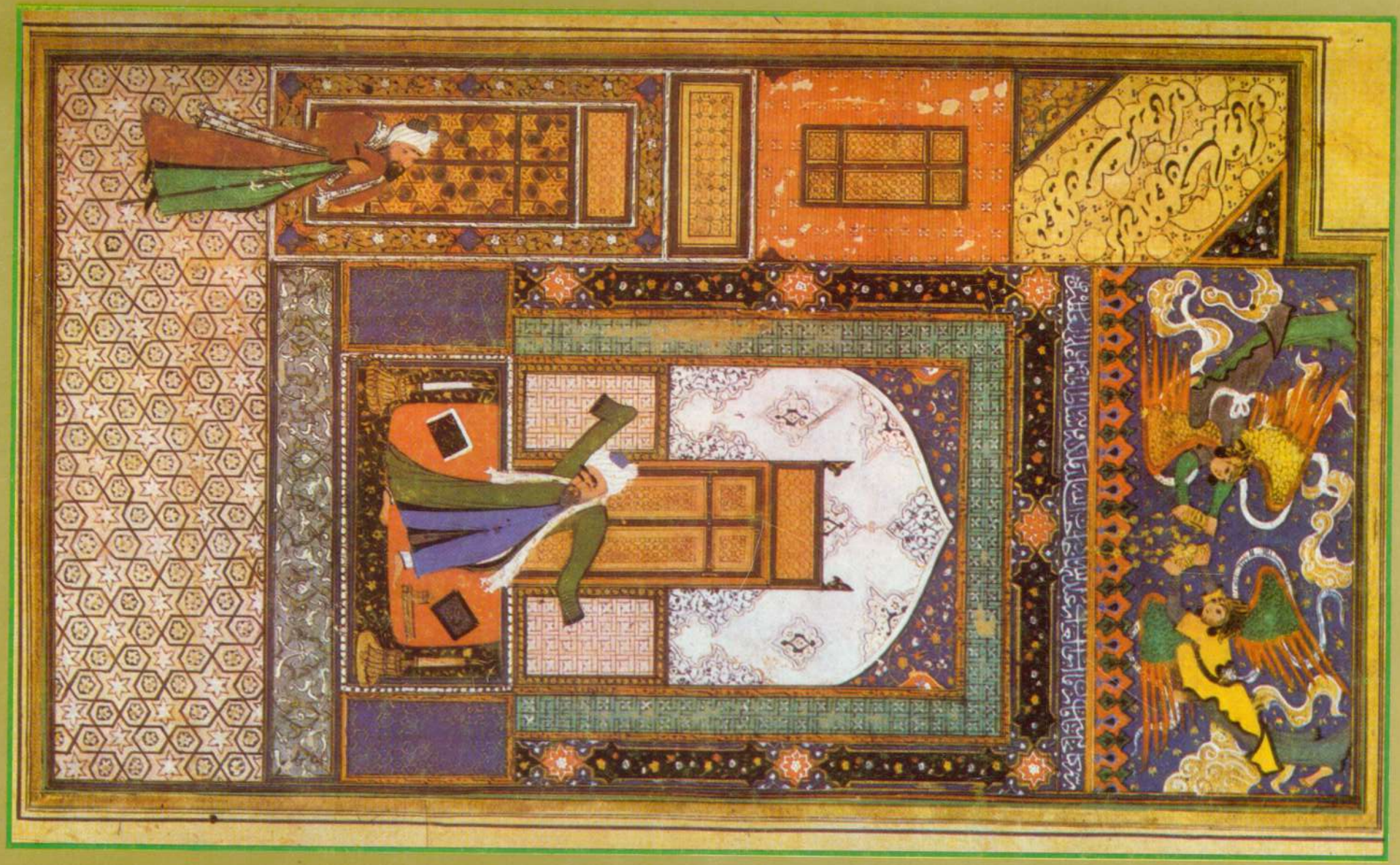
هذا هو الوجود .

ومهما كانت حاله . خيراً أو شراً قد أصبح مع الأيام كذلك شئنا أم أبينا . لابد أن يكون كذلك .

فوضى لا تستطيع أفهامنا أن تضع لها نهاية فالبداية والنهاية عند احكم الحاكمين علام الغيوب. الى أين أنتم ماضون .

خذوني معكم .


TEEM
تيم
إرو عَطشَكَ مَع



منمنمة من مخطوط إسلامي من القرن السادس عشر
دار الآثار الإسلامية - متحف الكويت